ومعه فِتْيَانٌ من بنى سالمٍ يَستَقُون ، [وعلى] [١] الماءِ جَمْعٌ من المُهاجرين والأنصار . فأَدْلى دَلْوَه ، وأدْلى جَهْجَاهُ بن مسعُود بن سَعْد بن حَرَام الغِفَارِىُّ — أَجِيرُ عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه — دَلْوَه ، فالْتَبَستْ دَلْوُ سِنانٍ وَدَلْوُ جَهْجاهٍ وتنازَعا . فضرَب جَهجاهٌ سِناناً فسالَ الدَّمُ فنادى : يا لَلْخَزرَج ! وثَارَتِ الرِّجالُ ، فهرَب جهجاهٌ وجعَل ينادى فى العَسكر : يا لَقُرَيْشٍ ! يا لَكِنَانة ! فأَقْبلت قُرَيشٌ وأقبلتِ الأَوْس والخَزرجُ وشهَرُوا السلاحَ حتى كادتْ تكون فِتنَةً عظيمةً ؛ فقامَ رجالٌ فى الصُّلح فترك سِنانٌ حَقَّه

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

وكان عبدُ الله بن أُبَىٍّ جالساً فى عَشرة من المُنافقين فغَضِب وقال : والله ما رأَيْتُ كاليوْم مَذَلَّة ! واللهِ إنْ كُنْتُ لَكارِهاً لوَجْهى هذا ولكنَّ قومى قد غَلَبُونى . قد نَعلوها ، قد نَافَرُونَا [٢] وكاثَرُونا فى بَلدنا ، وأنْكروا مِنَّتَنا [٣] . واللهِ ماصرْنا وجَلَايبُ [٤] قُرَيشٍ هذه إلاّ كما قال القائل : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » . واللهِ لَقَدْ ظننْتُ أنِّى سأَموتُ قَبْل أن أسمعَ هاتفاً يَهْتِفُ بما هتف به جَهجَاهُ وأنا حاضرٌ لا يكون لذلك مِنِّى غِيَرٌ [٥] . واللهِ لئنْ رجَعْنَا إلى المَدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعزُّ منهَا الأَذَلَّ . ثم أَقْبل على من حَضر من قومه فقال : هذا ما فَعَلتُم بأَنفُسكم ! أحلَلْتُموهم بلادَكم ، ونزَلوا منازلَكم ، وآسَيْتُموهم [٦] فى

تحريض عبد الله ابن أبىّ وما كانَ من مقالته فى ذلك

(١) زيادة للسياق

(٢) نافره : خاصمه وفاخره ؛ فيكون أحدهما أعز نفراً من صاحبه

(٣) المنّة : الإحسان والنعمة

(٤) الجلابُ : إزار يُشتمل به فيغطى الجسد ، وهو من خُشُن اللباس يلبسُه الفقراء ، وكان المهاجرون لما هاجروا — على ما هم عليه من الخَلة والعيْلة — كان ذلك أكثر لباسهم فيما يُرى ، فجعل المنافقون يسمونهم « الجلايب » ، كناية عن فقرهم وقلتهم وغربتهم ، وجعلوا ذلك نبزاً وتهزّؤاً

(٥) فى الأصل : « لا يكون ذلك منى غير » ، والغِيَرُ : الاسمُ من قولك غيّرت الشىء تغييراً ، يريد لا يكون منى لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص

(٦) آسيتموهم : يريد سوّيتم بينكم وبينهم فى هذه الأموال

أموالكم حتى استغنوا . أما والله لو أمسكتم [عنهم ما][1] بأيديكم لتحولوا[2] إلى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً[3] للمنايا فقتلتم دونهم ، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا

إبلاغ زيد بن أرقم رسولَ الله مقالة عبد الله ابن أبيّ

وكان زيدُ بن أرقم حاضراً — وهو غلامٌ لم يبلغ أو قد بلغ — فحدَّث رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وعنده نفرٌ من المهاجرين والأنصار ، فتغيَّر وجهُه ثم قال : يا غُلام ، لعلك غضِبْت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمِعتُ منه . قال : لعلَّه أخطأَ سمْعُك ! قال : لا يا نبيّ الله . قال : فلعلَّه شُبِّه عليك ؟ قال : لا والله ، لقد سمِعْتُ منه يا رسول الله . وشاع فى العسكر ما قال ابنُ أُبيّ ، حتى ما كان للناس حديثٌ إلَّا هو . وأنَّب جماعةٌ من الأنصار زيدَ بنَ أرقم فقال — فى جملة كلام — : وإنى لأرجو أن يُنزِّل الله على نبيِّه ، حتى تعلَموا أنِّى كاذبٌ أم غيْرى . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله ! مُرْ عبّاد بن بشر فَلْيأْتِك برأْسه . فكره ذلك وقال : لا يتحدَّثُ الناسُ أنّ محمداً يقتُل أصحابه . وبلَغ الخبرُ ابنَ أُبيّ ، فحلَف بالله ما قال من ذلك شيئاً ؛ ثم مشى[4] إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحلَف بالله ما قال . وأسرَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك السَّيْرَ ، ورحل فى ساعةٍ لم يكُن يرْتَحِلُ فيها . فأقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فَيْء شجرةٍ عنده غُلَيِّمٌ أُسَيْوِدُ يَنْمِزُ ظهْرَه[5] فقال : يا رسولَ الله ! كأنَّك تَشْتكى ظهرك !

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين

(١) فى الأصل : « لو أمسكتم بأيديكم » ، ولا بأس به ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٦
(٢) فى الأصل : « لتحلوا »
(٣) فى الأصل : « أعراضاً » . وفى الأصل أيضاً : « دونه »
(٤) فى الأصل : « مشى مشى » مكررة
(٥) غمْزُ الأعضاء : عصرُها وتكبيسُها لتلين ، يقال منه جارية غمَّازة حسنة الغمز للأعضاء

فقال : تَقَحَّمتْ بى النّاقةُ[١] اللَّيلَة . فقال عمر : يا رسول الله ، إيذنْ[٢] لى أن أضربَ عُنُقَ ابن أُبيّ فى مقالته . فقال : لا يتحدَّثُ الناس أنّ محمداً قَتل أصحابه

طلوع رسول الله على العسكر . ومقالة سعد بن عبادة

ويقالُ : لمْ يشعُر أهلُ العسكر إلَّا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد طلع على راحلته — : وكانوا فى حرٍّ شديد ، وكان لا يروح حتى يُبْرِدَ[٣] ، إلَّا أنّه لما جاءه ابنُ أبيٍّ رَحل فى تلك الساعة . فكان أوّلَ من لَقِيه سعدُ بن عبادة رضى الله عنه ، ويقال أُسَيْد بن حُضَيْر — فقال : خرجتَ يا رسولَ الله فى ساعةٍ ما كنت تروحُ فيها ! قال : أَوَ لَمْ يبْلُغك ما قال صاحبُكم ابنُ أبيٍّ ، زعم أنّه إن رجع إلى المدينةِ أخْرَج الأعزُّ منها الأذلَّ ؟ قال : فأنت يا رسولَ الله تُخْرِجُه إن شئْتَ ، فهو الأذَلّ وأنتَ الأعزُّ . يا رسولَ الله ! ارفُق به ، فوالله لقد جاء اللهُ بك وإنَّ قومَه لَيَنْظِمون له الخَرَزَ ، ما بقِيتْ عليهم إلَّا خرَزةٌ واحدةٌ عند يوشَعَ اليهوديِّ لِيُتَوِّجوه ، فما يرى إلا قد سلَبتَه مُلْكه

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

وبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسيرُ من يومِه ذلك — وزيدُ بن أرقم يعارضه براحلته يريد وَجهَه ، وزسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستَحِثُّ راحلتَه فهو مُغِذٌّ فى المسيرِ — إذْ نزَل عليه الوَحْى فَسُرِّىَ[٤] عنه ، فأخذَ بأُذُنِ زيدِ ابن أرقم حتَّى ارتفع من مَقعَدِه عن راحلَته وهو يقول : وَفَتْ[٥] أُذُنُك يا غلام ، وصدَّق اللهُ حديثَك ! ونزَل فى ابن أبيٍّ « إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ » (السورة كلها) .

(١) تقحَّمت بفلان دابته : إذا ندَّتْ به فلم يضبط رأسها ، وربما طوَّحت به فى وهدة

(٢) إيذن : هو الأمرُ من أذِن له يأذَنُ

(٣) أى يدخل فى البَرْد بعد هدأة الحرّ

(٤) سروْتُ الثوبُ : خلعتُه ونضوته ، ومنه سُرِّىَ عنه ، أى كُشف عنه ما كان يلقاهُ صلى الله عليه من غَشْية الوحى وجَهْده

(٥) قالوا فى قوله : « وفت أذُنك » : كأنه جعل أذنه فى السماع كالضامِنَة بتصديق ما حكت ، فلما نزل القرآن فى تحقيق ذلك الخبر ، صارت الأذنُ كأنها وافية بضمانها ، خارجة من التهمة فيما أدَّته إلى اللسانِ

وكان عُبادة بن الصّامت قبلَ ذلك قال لابن أُبيّ : إيتِ رسولَ الله يستغفرْ لكَ . فلَوى رأسه مُعرِضاً ، فقال له عبادة والله ليَنزِلَنَّ فى لَيِّ رأسك قُرآنٌ يصلَّى به . ومرَّ عُبادة بن الصّامت بابن أُبيّ — عشيَّةَ راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من المُرَيسيعِ ، وقد نزل فيه القرآنُ — فلَم يسلِّم عليه ؛ ثم مرَّ أوْسُ بن خَوْليّ فلم يسلِّمْ عليه ، فقال : إن هذا الأمرَ قد تمَالَأْتُما عليه . فرجعا إليه فأنَّباه[1] وبكّتاه بما صنع ، وبما نزَل من القرآنِ إكْذاباً لحديثه ، فقال : لا أعودُ أبداً

حديث عبد الله ابن عبد الله بن أبيّ عن أبيه وخبره

وجاء ابنُه عبدُ الله بن عبدِ الله بن أُبيّ فقال : يا رسول الله ، إن كنتَ تُريد أن تقْتُل[2] أبى فيما بلَغك عنه فمُرْنى به ، فوالله لأَحملَنَّ إليك رأسه قبل أن تقومَ من مجْلِسك هذا . والله لقد علمت الخزرجُ ما كان فيها[3] رجلٌ أبرُّ بوالدِه[4] منّى ، وإنى لأخشى — يا رسول الله — أن تأمُرَ غيرى فيقتُلَهُ ، فلا تدَعُنِي نفسى أن أنظُرَ إلى قاتلِ أبى يَمْشى فى الناس فأقتُلَه فأدخُلَ النار ؛ وعفْوُك أفضلُ ، ومَنُّك أعظم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أردتُ قتْلَه ، وما أمرْتُ به ، ولنُحْسِنَنَّ صُحْبتَه ما كان بين أظْهُرِنا . فقال : يا رسول الله ! إنّ أبى كانَتْ هذه البُحَيْرة قد اتَّسَقُوا[5] عليه ليُتوِّجُوه ، فجاء اللهُ بك فوضَعَهُ ورفَعَنا بك ، ومعه قومٌ يُطِيفون[6] به يُذَكِّرُونه أموراً قد غَلَب اللهُ عليها . وقال عبد الله فى ذلك شِعْراً

(١) فى الأصل : « فأنبآه »
(٢) فى الأصل : « يقتل »
(٣) فى الأصل : « ما كان فيها ما كان رجل »
(٤) فى الأصل : « بوالدى »
(٥) البحيرةُ تصغيرة البَحْرة ، وهى الأرض والبلدةُ ، والعربُ تسمى المدنَ والقرى البِحارَ ، والبُحيرة هنا هى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . واتسقوا : أى اصطلحوا على ذلك واجتمع أمرهم فيه
(٦) أطافوا به : أحاطوا به يسعَوْن عليه من نواحيه

سيرُ رسول الله

ولما خرَجوُا من المُرَيسيع قبل الزَّوالِ لم يُنِخْ[1] أحدٌ إلاَّ لحاجةٍ أو لصلاةٍ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستَحِثُّ راحلتَه بالسَّوْطِ فى تَرَاقيها[2] حتى أصْبحوا ، ومَدُّوا يومهم حتى انتَصفَ النَّهارُ ، ثم راحُوا مُرْدِفين[3] . فنَزَل

الريح التى أنذرت بموت كهف المنافقين : رفاعة ابن التابوت

من الغدِ ماءٍ يقال له بَقعَاء ، فأخَذتْهم ، ريحٌ شديدةٌ — اشتَدَّت إلى أن زَالَتِ الشّمس ثم سكَنَتْ آخرَ النهار — حتّى أشْفَقوا منها ، وسأَلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنْهَا ، وخَافُوا أن يكونَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ خَالف إلى المدينة ، وقالوا : لَم تَهِجْ هذه الرِّيحُ إلا مِن حَدَثٍ[4] . فقال صلى الله عليه وسلم : ليس عَلَيْكم بأْسٌ منها ، فمَا بالمدِينةِ من نَقْبٍ[5] إلاّ عليه مَلَكٌ يحرُسُه ، وما كان لِيدْخُلَها عدوٌّ حتى تأْتُوهَا ، ولـكنَّه ماتَ اليومَ مُنَافِقٌ عظيمُ النِّفاق بالمدينة ، فلذلك عَصفت الرِّيح . وكان موتُه للمُنَافقين غيظاً شديداً ، وهو رِفَاعَةُ بن زيْد[6] بن التَّابوت [أحد بنى قَينُقاع ، وكان عظيماً من عُظماء يَهُودَ ، وكَهْفًا للمنافقين][7] ، مات ذلك اليوم . وكانت هذه الريح أيضاً بالمدينة حتى دُفِن عدوُّالله فسكنت

جزع المنافقين لموته

وقال عُبادة بن الصّامت يومئذ لابن أُبَيّ : أبا حُبَابٍ ! ماتَ خليلُك . قال : أىُّ أخِلاَّئِى ؟ قال : مَنْ مَوْتُه فتحٌ للإسلام وأهله ! رِفاعةُ بن زَيد[6] بن

---

(١) فى الأصل : « ينح »

(٢) فى الأصل : « مراقيها » ، والتراقى جمع تَرْقُوة : وهى عظم يصل بين ثُغْرة النحر والعاتق من الجانبين تكون للناس وغيرهم ، وهما ترْقوتان

(٣) إذا عَدَا الفرَسُ فرجم الأرضَ رجماً قيل رَدَى يردِى ، وأرداهُ الرجلُ أسرع به : يريد مُسرعين

(٤) الحدَثُ : أمر عظيم أو نازلة منكرة تحدُث

(٥) النَّقبُ : الطريقُ بين الجبلين كأنه حُفر بينهما ، ويريد طُرقَ المدينة ومايفضى إليها من جهاتها

(٦) فى الأصل : « زيد بن رفاعة بن التابوت » ، وهذا صوابه من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٧ ، وصحيح مسلم

(٧) زيادة للإيضاح من ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٧ . وفى الأصل : « قال رفاعة ... »

التّابُوت ؛ قال : يَا وَيلاهْ ! كان والله وكان وكان ، وجعل يذْكُر . فقال له عُبادةُ : اعتصَمْتَ واللهِ بالذّنَبِ الأبتَرِ(١) ! قال : مَنْ خبَّرَك يا أبا الوَليد بموْته ؟ قال : رسول الله أخبرَنا الساعةَ أنه ماتَ هذه الساعةَ . فأسْقط فى يديْه وانصرفَ كئيباً حَزِيناً . فلما دَخلوا المدينةَ وجدُوا عدوَّ اللهِ ماتَ فى تلك السَّاعة

خبر ناقة رسول الله التى فقدت ، ومقالة المنافق

وفُقِدَتْ ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — القَصْوَاء — من بين الإبل وهى سارِحةٌ ، فتطَلَّبَها المسلمون فى كل وَجْهٍ ، فقال زَيْد بن اللُّصَيْت [القينقاعىّ](٢) وكان مُنافقًا : ألا يُخْبرُه الله بمكانِ ناقته ! فأنكرَ القومُ ذلك عليْه ، وأسمعوهُ كلَّ مكروهٍ ، وهمُّوا به ؛ فهرَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَعوِّذًا به وقد جاءه الوَحْىُ بما قال ، فقال — والمنافق يَسْمَع — : إنّ رجُلًا من المنافقين شَمِتَ أن ضلّت ناقةُ رسول الله وقال : ألا يُخْبرُه اللهُ بمكانِها ؟ فلَعَمْرِى إنّ محمداً لَيُخبرُ بأعْظَمَ من شأنِ النّاقةِ ! ولا يَعلَمُ الغَيْبَ إلّا الله ، وإنّ الله قد أخبرَنى بمكانِها ، وإنّها فى هذا الشِّعْبِ مُقابِلَكُمْ ، قد تعلّقَ زمامُها بشجَرَةٍ فاُعمِدُوا عَمْدَها . فذَهَبُوا فأتوْا بها من حيثُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حماية النقيع لخيل المسلمين

ولما مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّقيعِ(٣) رأى سَعَةً وكَلَأً وغُدُرًا كثيرةً ، فأمرَ حاطِبَ بن أبى بَلْتَعَةَ أنْ يَحْفِرَ به بئرًا ، وأمر بالنَّقيع أن يُحْمَى ، واستعملَ عليه بلالَ بن الحارثِ المُزَنىَّ ، قال : وكمْ أحْمِى منهُ يارسولَ الله ؟ قال : أقِمْ رجُلاً صَيِّتًا — إذا طلَعَ الفجْرُ — على هذا الجبلِ ، فحيثُ انتهَى صوتُه فأحْمِهِ لخيْلِ المسلمين وإبِلِهم التى يَغْزُون عليها . قال : يا رسولَ الله ، أفرأيْتَ

(١) الذنب الأبتر : أى المقطوع

(٢) ما بين القوسين زيادة من نسبه ، وفى الأصل : « بن اللصيب »

(٣) وهو موضع قريب من المدينة ، ثم حماهُ عمر بن الخطاب من بعده لخيول المسلمين

ما كان من سَوَائِم[1] المُسْلِمِين ؟ فقال : لا يدْخُلُها . قال : أرأيْتَ المرأةَ والرَّجُل الضعيفَ يكُون له الماشِيةُ اليسيرةُ وهو يَضْعُفُ عن التّحوُّلِ ؟ قال : دَعْهُ يَرْعَى

وسَبَّق صلى الله عليه وسلم يومئذٍ بين الخيْلِ والإبل ، فَسبَقَتِ القَصْوَاء الإبل وعليها بلالٌ ، وسَبَق فرسُه الظَّرِبُ وعليه أبُو أُسَيْدٍ الساعِدىّ

بَدْءُ حديث الإفْك

وكان حديثُ الإفْك[2] . وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نزَل مَنزِلًا ليس معَهُ ماء ، وسقَطَ عِقْدُ عائشةَ رضى الله عنها مِنْ عُنُقِها ، فأقام صلى الله عليه وسلم بالنّاسِ حتى أصْبَحُوا ؛ وضَجِرَ[3] النّاسُ وقالوا : حَبسْتنَا عائشةُ . فضاقَ

نزول آية التيمم

بذلك أبو بكْر رضى الله عنه وعاتَبَ عائشةَ عِتاباً شديداً ، ونزلت آيةُ التيمُّم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان مَنْ قَبْلكم لا يُصلُّون إلّا فى بِيَعِهم وكنائسِهِمْ ، وجُعِلَتْ لى الأرْضُ طهُورًا حَيْثُما أدْرَكتْنى الصلاة . ونزلت آيةُ التيمُّمِ طلوعَ الفَجْرِ ، فمسح المسلمون أيْدِيَهم بالأرض ، ثم مَسحُوا أيْدِيهُمْ إلى المَناكِب ظَهْرًا وبطْنًا . وكانُوا يَجْمعُون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصَّلاتين فى

مسابقة رسول الله عائشةَ

سفَره . ثمّ سارُوا ونزَلُوا موضعاً دَمِثًا[4] طَيِّبًا ذا أَرَاكٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة ! هلْ لكِ فى السِّباق ؟ قالت : نعمْ ! فتحزَّمَتْ ثيابَها ، وفعَلَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استَبَقا ، فسبَق صلى الله عليه وسلم عائشةَ رضى الله عنها ؛ فقال : هذِه بتلْكَ السَّبقَة التى كنتِ سبَقتنِى . وكان جاء إلى مَنْزِل أبى بكْرٍ رضى الله عنه ، ومع عائشةَ شىء فقال : هَلُمِّيه ! فأَبَتْ وسعَتْ وسعَى فى أثَرِها فَسبَقتْهُ[5] . خرَّج أبو داود من حديث هِشَام بن عُرْوَة عن

(١) السوائم جمع سائمة : وهى الإبل الراعية
(٢) الإفك : الكذب العظيم الموبق
(٣) فى الأصل : « ضحى »
(٤) الدّمِث : الوطىء اللّين
(٥) هلمّى : هاتيه ، وسعت : جرتْ

أبيه ، وعن أبى سلَمَةَ عن عائشة أنها كانت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرٍ : فَسابقتُهُ فَسبَقتهُ على رِجْلى ، فلما حَمَلْتُ اللَّحم سابقتُهُ فَسبَقَنى ، فقال : هذه بتلك السَّبْقَةِ . وخرَّجه ابن حِبَّان به ولفظُه : سابَقَنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسبقتُهُ ، فلَبِثْنَا حتَّى إذا أَرْهَقَنى اللَّحْمُ سابَقنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسبَقَنى ، فقال : هٰذه بتلْك . وكانت هٰذه الغَزْوَة قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ الحِجَابُ

تخلّف عائشة ومجىء صفوان « وحديثُ الإفْك »

وكان يَرْحَلُ بعيرَ عائشةَ رضى الله عنها أبُو مُوَيْهِبَةَ[1] ورجلٌ آخرُ ، وكانت تقعُدُ فى هَوْدَجٍ ، فَحَمَل الهودج وهو يظُنُّها فيه — لخفَّة النساء يومئذٍ من قلّة أكلهنَّ — وساروا وقد ذهبتْ عائشةُ لحاجَتِها وتجاوَزَت العسكرَ ، وفى عُنُقها عقْدٌ من جَزْع ظَفارِ[2] فانْسلَّ من عُنُقِها ولا تدرى به ، فرجَعتْ تلتمسُهُ حتى وجدَتْه ، ثم عادت وليس فى العسكر أَحَدٌ ، فاضْطَجَعت ونَامت ، فجاء صَفْوانُ بن المُعطَّل بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعىّ بن مُحارب بن مُرَّة بن فالج[3] بن ذَكْوان بن ثَعلبة بن بُهْثَةَ ابن سُلَيْم السُّلَمِىُّ ثم الذَّكوانىُّ أبُو عَمرٍو — وكان فى الساقةِ — فاسْتَرْجع لما رآها ، فاسْتَيْقظت وخَمَّرَت[4] وجهها بمِلْحَفتِها . فلمْ يكلِّمها ، وأناخَ بَعيرَه وولّى عنها حتى رَكِبَتْ ، وقاد بها حتى أَتى العَسكر . فقال أصحابُ الإفْكِ — وكبيرُهم عبدُ الله ابن أُبَىّ ابن سَلُول — ما قالوا ، حتى بلَغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيَّر لعائشة وهْى لا تَشْعُرُ ، حتى أَعْلمتها أُمُّ مِسْطَح ابنةُ أبى رُهْمِ بن المطَّلب بن عبد مَناف بن قُصَىّ ، وكانت أُمُّها خالةَ أبى بكر رضى الله عنه . فأتَتْ أبَوَيْها

(١) فى الأصل : « أبو مويهيه »

(٢) فى الأصل : « أظفار » ، وظَفار : مدينة باليمن قريبة من صنعاء ؛ والجزْع : خرز يمانى كريم فيه بياض وسواد مَقطَّع

(٣) فى الأصل : « فاتع »

(٤) خمَّرت وجهها : غطَّته بخمارها

لِتَسْتَيْقِنَ الخبرَ ، فوجدتْ عندها العِلْمَ بما قاله أهلُ الإفْك ، فبكَتْ ليلتَها حتى أصْبَحَتْ

استشارة رسول الله أصحابه فى فراق عائشة

واستَشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا وأُسامةَ فى فِراقِ عائشةَ ، فقال أُسامةُ : هذا الباطلُ والكذِبُ ولا نَعْلمُ إلّا خيرًا . وقال علىٌّ : لم يُضيِّقِ اللهُ عليكَ ، والنساءُ كثيرٌ ، وقد أحلَّ اللهُ لك وأَطاب ، فطلِّقْها وأنكِحْ غيرَها . وخَلَا صلى الله عليه وسلم ببَرِيرَةَ وسَاءلَهَا فقالتْ : هى أطْيب مِن طَيِّب الذَّهَب ، والله ما أعلمُ عليها إلّا خيْرًا ، والله يا رسولَ الله لئنْ كانت على غيْرِ ذلك ليُخْبرَنَّك اللهُ بذلك ، إلّا أنها جاريةٌ تَرْقُدُ عن العَجِين حتى تأتىَ الشّاةُ فتأْكُلَ عجينَها . وسألَ زَينَب بنتَ جَحْش فقالت : حاشَى سَمْعى وبَصَرِى ، ما علمتُ إلّا خيْرًا ؛ والله ما أُكلمها ، وإنِّى لَمهاجِرَتُها ، وما كنتُ أقول إلّا الحقَّ . وسأل أُمَّ أَيْمَنَ فقالت : حاشَى سَمْعى وبصرِى أنْ أكونَ علمتُ أو ظَننتُ بها قطُّ إلّا خيْرًا

خطبة النبىّ فى أمر الإفك ، واختلاف الأوس والخزرج

ثم صَعِدَ المِنْبر فحمِدَ اللهَ وأثْنى عليه ثم قال : مَنْ يَعذِرُنى ممَّنْ يُؤْذِينى فى أهْلى ؟ ويقولون لرجُلٍ : واللهِ ما علمتُ على ذلك الرَّجُل إلا خيْرًا ، وما كان يدْخُل بيتاً من بُيُوتى إلّا مَعى . ويقولون عليه غيْرَ الحقِّ ! فقامَ سعدُ بن مُعاذ فقال : أنَا أَعْذِرُك منهُ يا رسول الله ؛ إنْ يكُ من الأوْس آتكَ برأسه ، وإن يكُ من إخْواننا الخَزْرج فمُرْنا بأمْرِك يُمضَى لك . فقَام سعدُ بن عُبادة — وقد غضِبَ منهُ — فقال : كَذَبتَ لَعَمْرُ الله ، لا تَقْتُله ولا تَقْدرُ[1] على قَتْله . فقال أُسَيْد بن حُضَير : كَذبتَ ، والله لَيقْتلنَّهُ وأَنْفُك راغِمٌ . وكادتْ تكونُ فتْنةٌ ؛ فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى الأوْس والخزْرج أنِ اسكُتُوا ، ونزَل عن المِنبر ، فهدَّأهم وخفَّضَهُمْ حتى انْصرَفُوا

(١) فى الأصل : « لا يقتله ولا يقدر »

دخول رسول الله على عائشة وحديثهما

ودخل على عائشةَ — وقد مكثَ شهرًا قبل ذلك لا يُوحَى إليه فى شأنها — فتشهَّد ثم قال : أمّا بعد يا عائشةُ ، فإنَّه بلَغنى كذا وكذا ، فإن كُنتِ بريئةً يُبرِّئْكِ اللهُ ، وإن كُنتِ أَلْمَمتِ بشىءٍ ممَّا يقُولُ الناسُ فاسْتغفرِى اللهَ عزَّ وجلَّ ، فإنّ العبْدَ إذا اعترَف بذنْبِه ثم تابَ إلى الله تاب اللهُ عليه . فقالت لأبيها : أَجِبْ عنِّى رسول الله. قال : والله ما أَدْرى ما أقُول وما أُجيبُ به عنكِ ! فقالت لأمّها : أَجيبى عنِّى . فقالت : والله ما أدْرى ما أُجيبُ به ! فقالت : إنى والله قد علمتُ أنكم سَمعتُم بهذا الحديث ، فوقَع فى أَنْفُسكُم فصدَّقتُمْ به ؛ فلئنْ قلتُ لكم إنى بريئةٌ[1] لا تُصدِّقُونى ؛ ولَئنْ اعترَفتُ لكم بأمرٍ يعلمُ اللهُ أنِّى منه بريئةٌ لَتُصدِّقُنّنى . وإنى والله ما أجدُ لى مَثَلاً إلَّا أبا يُوسُفَ إذْ يقُولُ : « فصَبرٌ جميلٌ وَاللهُ المُستعَانُ عَلَى ما تَصفُونَ » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أعْلَمَ أهلَ بيتٍ من العرَب دخلَ عليهم ما دخلَ على آلِ أبى بكر ، والله ماقيلَ لنَا هذا فى الجاهليَّة حيثُ لا نَعْبُدُ[2] الله ، فيقَالُ لنا فى الإسلام ! وأقبل عليها مُغْضَباً فبكت

نزول القرآن ببراءة عائشة

فغَشِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغْشَاهُ وسُجِّىَ[3] بثوْبِه ، وجُعِتْ وِسادةٌ من أَدَمٍ تحت رأْسِه ، ثمّ كَشَفَ عنْ وَجْهه وهُو يضْحَكُ ويمسحُ جَبينَه وقال : يا عائشةُ ، إنّ اللهَ قد أَنزَل براءتَك . فأَنْزَل الله تعالى : « إنّ الَّذين جاءوا بالإفْكِ عُصبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شرًّا لكمْ بلْ هُوَ خيْرٌ لكُم لِكلِّ امْرِىءٍ منْهُمْ ما اكْتَسبَ مِنَ الإثْمِ والذى توَلَّى كِبْرَهُ منْهُمْ لَهُ عذَابٌ

(١) فى الأصل : « برية »
(٢) فى الأصل : « لا يعبد »
(٣) سُجِّى : غُطِّىَ

عظيمٌ » (النور : ١١)[1]. فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس مسرُورًا ، فصعد المِنبر وتلا على النّاسِ ما نُزِّلَ عليه فى براءةِ عائشة رضى الله عنها . ويُقال : كان نزُول براءةِ عائشة رضى الله عنها بعدَ قُدومهم المدينة بسبعٍ وثلاثين لَيلةً

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضُوا فى الإفْك مع ابنِ أُبَيّ : مِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنَةُ بنت جحْشٍ ، فضرَبهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحَدَّ . قال الواقدى : وقيل لمْ يضرِبْهُم ، وهو أثبتُ

إصلاح رسول الله بين الأوس والخزرج

ومكثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّامًا ، ثم أخَذ بيَدِ سَعْد بن مُعاذ فى نَفَر حتى دَخَل على سَعْد بن عبادة ومَنْ معه ، فتحدَّثُوا ساعةً ، وقرَّب لهم سَعْدُ بن عبادة طعامًا فأصابُوا منه ، وانْصرفوا . فمكَثَ أياماً ، ثم أخَذ بيَدِ سعْدِ بن عُبادة ونفَرٌ معه ، فانطلقَ به حتى دخَل منزِلَ سعدِ بن مُعاذ ، فتحدَّثوا ساعةً ، وقرَّب لهم سعدُ بن مُعاذ طعاماً فأصابُوا [منهُ][2] ، ثم خرَجوا ، فذهَب من أنْفُسهم ما كانا تقَاوَلَا من ذلك القوْل

مقالة عبد الله بن أبىّ فى جعيل ابن سراقة

وكان عبدُ الله بنُ أُبىّ ابنُ سَلُول [وسَلُول أُمُّه ؛ وإنما هو أُبَيُّ بن مالك ابن الحارث بن عُبَيْد بن مالك بن سَالم بن غَنْمِ بن عمْرو بن الخَزْرج] لمَّا قال : — وذَكَرَ جُعَيْلَ بن سُرَاقة الغِفَارِىّ ، ويقال الضَّمْرِىّ ، وجَهْجَاهَ بن مَسعود ؛ ويقال ابن سُعَيْد بن سَعد بن حَرام بن غِفَار الغِفَارِىّ ، وكانَا من فُقراء المهاجرين — قال : ومثلُ هٰذَيْن يُكَثِّر على قوْمى ، وقد أنزلْنا محمداً فى دِرْوة كِنانة وعِزِّها ؟ والله لقد كان جُعَيْل يَرْضَى أنْ يَسكُت فلا يتكلَّم ، فصارَ اليومَ يتكلَّم !

(١) فى الأصل إلى قوله : « عصبة منكم ، الآية » . والذى نزّل على رسول الله يومئذ عشر آيات من قوله « إن الذين جاءوا بالإفك » إلى قوله « رءوف رحيم » (النور : من ١١ إلى ٢٠)

(٢) زيادة لا بد منها للسياق

مقالته فى صفوان

ثم كان من كلامه — فى صَفْوان بن المُعطَّل بن رُبَيْعَة[١] بن خُزَاعِيّ بن مُحارب بن مرّة بن فالج[٢] بن ذَكْوان بن ثَعلَبة بن بُهْثة[٣] بن سُلَيْم السلمىّ —

شعر حسّان فى صفوان

ما كان ، ورمْيِهِ بالإفْك : قال[٤] حسانُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عَمْرو ابن زَيْد مناة بن عُدَىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار الأنصارىُّ رضى الله عنه :

٥ أَمْسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا وابن الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[٥]

خبر صفوان بن المعطّل فى ضرب حسان بن ثابت

فى أبيات أُخَر . فجاء صَفْوانُ بن المُعَطَّل — بعد ما قَدِموا المدينة — إلى جُعَيْل بن سُرَاقَة فقال : انطَلِق بنا نَضْرِبْ حسّانَ ، فوالله ما أرَاد غيْرَك وغَيْرِى ؛ ولنَحْنُ أقرَبُ إلى رسول الله منه . فأبَى جُعَيْلٌ أن يذهبَ إلا بأمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرج صَفْوانُ مُصْلِتاً السَّيفَ ، حتى ضرَب حسانَ بن ثابت

١٠ فى نادى قوْمه . فوثَبَ الأنْصار فأوْثَقوه رِباطاً ، ووَلِىَ ذلك منه ثابتُ بن قَيْس ابن شمّاس [بن زُهَير][٦] بن مالك بن امرئ القَيْس بن مالك الأغرّ الأنصارىُّ — فمرّ به عُمارة بن حَزْم بن زَيْد بن لَوْذان بن عَمْرو بن عبْد عَوْف بن غَنْم بن مالك ابن النجّار الأنصارىُّ[٧] فخَلَّى عنه . وجاء به وبحسّان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حسّان : يا رسول الله ! شَهَرَ علىّ السيفَ فى نادِى قوْمى ، ثم

١٥ ضرَبنى لأنْ أَمُوتَ ، ولا أُرانِى إلا ميِّتاً من جِراحاتِى ! فقال [صلى الله عليه

(١) مضى فى ص (٢٠٧) «رُبَيضة» بالضاد ، وكذلك ورد فى شرح العينى على البخارى وورد فى بعض الكتب « ربَيعة »

(٢) فى الأصل : « فالح »

(٣) فى الأصل : « بهتة »

(٤) يريدُ : « لما قال عبد الله بن أبى هذه الأقوال — قال حسان ... الخ »

(٥) فى الأصل : « قد راعوا وقد كثروا » ، وهذه هى الرواية ، انظر ديوانه ص١٠٤

(٦) زيادة من نسبه

(٧) فى هذا الموضع كرّر الناسخ من قوله « فمرّ به عمارة ... » إلى قوله « بن النجّار الأنصارى » . وفى الأصل بعده : « وجاء به وبثابت »

وسلم][1] لصَفْوان : ولم ضربتَهُ وحَمَلْتَ السِّلاح عليه ؟ وتَغَيَّظَ صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ! آذانى وهَجانى وسَفَهَ علىّ[2] وحسَدنى على الإسلام ! فقال لحسّان : أَسَفِهت على قومٍ أَسْلَموا ؟ ثم قال : احبِسُوا صَفْوانَ ؛ فإن مات حسّانُ فاقْتُلُوه به . فخرجُوا بصفوانَ ؛ وبلغَ ذلك سَعدَ بن عُبادة ، فأقبل على قومِه من الخَزْرج فقال : عمَدْتُم إلى رجُلٍ من قوم رسول الله تؤْذُونه ، وتَهجُونَه بالشِّعر ، وتشتمونه ، فغَضِبَ لما قِيل له ، ثم أسَرتمُوه أَقْبح الأسْر ورسولُ الله بين أَظْهُرِكم ؟ قالوا : فإن رسول الله أمرَنا بحبْسِه وقال : إنْ مات صاحبُكم فاقْتلوه . قال سَعد : واللهِ إنَّ أَحَبَّ الأمرَيْن إلى رسول الله العفوُ ، ولكنّ رسولَ الله قد قَضى لكم بالحقِّ ، وإنّ رسول الله لَيُحِبُّ أَنْ يُتْرَكَ صَفْوان ؛ والله لا أَبْرَحُ حتى يُطْلق . فقال حسان : ما كانَ لى من حقٍّ فهو لكَ . وأَتى قومَه ، فغضبَ قيسُ بن سَعد [بن عُبادة][3] وقال : عجباً لكم ! ما رأيتُ كاليوم ! إن حسّان قد تَرَكَ حقَّه وتأبَوْن أنتُم ؟ ما ظننْتُ أحداً من الخَزرج يرُدُّ أبا ثابتٍ فى أَمرٍ يَهوَاه ! فاستحيَا القومُ وأَطلَقُوا صفْوَانَ من الوَثاقِ . فذهب به سَعدٌ إلى بيتِه فكَساهُ حُلَّةً ؛ ثم خرجَ به إلى المسجد ليُصلِّىَ فيه ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صفْوَانُ ؟ قالوا : نعمْ يا رسول الله ! قال : من كَساهُ ؟ قالوا : سعدُ بن عُبادة . قال : كَساهُ الله من ثِياب الجنَّة

حبس صفوان وما كان من أمر سعد فى إطلاقه

ثم كُلِّم بعد حسانُ حتى أَقبل فى قومِه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، كلُّ حقٍ لى قِبَلَ صفْوان بن مُعَطَّل فهو لَك . قال : قد

عفو حسّان عن حقه قِبَل صفوان

(١) زيادة للإيضاح

(٢) سفه عليه : من السفاهة ، أى جهلَ عليه وسبّه

(٣) زيادة للإيضاح

أحسنْتَ وقَبِلْتُ ذٰلك . وأعطى حسانَ أرْضاً بَرَاحًا[1] وهى بَيْرَحا ، وسِيرِينَ أُخْتَ مارِيةَ[2] . وأعطاهُ سعدُ بن عُبادة حائطاً كان يَجُدُّ[3] مالاً كثيراً ، عِوَضاً بما عفَا عن حقّه . ويروَى أن حسانَ — لما حُبِس صفوان — أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حسّانُ أَحْسِنْ فيما أصابك . فقال : هولكَ يا رسول الله ! فأعطاه بَيْرَحَا[4] وسِيرِينَ عوَضاً

خبر عبد الله بن رواحة وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه

وكان جابرُ بنُ عبد الله رفيقَ عبدِ الله بنِ رَوَاحَة فى غزوة المُرَيْسِيع ، فأقبلا حتى انتهَيَا إلى وادى العَقيق فى وَسَط الليل ، والناسُ مُعَرِّسون[5] ، فتقَدَّم ابنُ رَوَاحة إلى المدينةِ فطَرق أَهْلَه ، فإذا مع امرأَتِه إنْسانٌ طويلٌ . فظنَّ أنه رجلٌ ، وندِم على تقدُّمِه . واقتحم البيتَ رافعاً سيْفَه يريد أنْ يضرِبَهما ، ثم فكَرَّ وَادَّكَرَ ، فغمَز امرأَتَه برجله فاستيقَظَت وصاحتْ ، فقال : أنا عبدُ الله ، فَمَنْ هذا ؟ قالت : رحيلة[6] ، سمِعْنا بقُدُومكم[7] فدعَوْتُها تُمَشِّطُنى فبَاتَتْ عندى . فباتَ وأصبح ، فخرَجَ يَلْقى[8] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائرٌ بين أبى بكر الصِّدِّيق ، وبَشير بن سَعْد بن ثَعْلَبة بن خَلّاس بن زَيد بن مالك بن ثعلبة ابن كَعب بن الخَزْرج الأنصارىِّ رضى الله عنهما ، فالْتفَتَ صلى الله عليه وسلم

(١) فى الأصل « أرضا براحا » . والبراحُ : الأرض الظاهرة الواسعة لا نبات بها ولا عمران

(٢) أم إبراهيم عليه السلام ، ولد رسول الله

(٣) الجِدادُ صِرامُ النخل ، وهو قطع ثمرها . يقال منه : جدَّ من نخله كذا وكذا وسقاً ، أى أخذ من ثمرتها واقتطع ، وأخرجتْ له ذلك

(٤) فى الأصل : « براحاً »

(٥) عَرَّس المسافرون : نزلوا منزلا يستريحون ، وذلك فى آخر الليل فى وجهِ السَّحر

(٦) هكذا ، ولم أعرف ضبطه ولا صحته ، وهى اسمُ الماشطة التى كانت معها

(٧) فى الأصل : « تقدمكم »

(٨) فى الأصل : « تلقى »

إلى بشير فقال : يا أبا النُّعمان ، إنَّ وجْهَ عبدِ الله ليُخْبِرُك أنه كَره طُروقَ أهلِه . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسولُ الله : خَبَرَكَ يا ابْنَ رَوَاحة ! فأَخْبَرَه فقال صلى الله عليه وسلم : لا تَطْرُقوا النِّساءَ ليلا . فكانَ ذلك أوَّلَ ما نهى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

النهى عن طروق النساء ليلا

وكان قُدُومُه صلى الله عليه وسلم من المُرَيْسِيع إلى المدينة لهلالِ رمضان فغابَ شهراً إلا لَيْلَتَيْن

تحرير الخلاف فى تاريخ غزوة بنى المصطلق

(تنبيه) : قد اخْتُلف فى غَزوة المُرَيْسِيع : فذهب الواقدىُّ — كما تقدّم — إلى[1] أنها كانت فى شعبان سنة خمسٍ ؛ وقال ابن إسحاق فى شعبان من السَّنة السادسة وصحَّحَه جماعةٌ . وفيه إشْكالٌ ، فإنه وقع فى الصَّحِيحين وغيرِهما أنَّ المُقَاوَلَ لسعْد بن عُبادة سعدُ بن مُعاذ ، كما تقدَّم عند خُطْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أهل الإفْكِ . ولا يختلفُ أحدٌ فى أنَّ سعدَ بن مُعاذ ماتَ إثْرَ قُرَيْظَة ، وقد كانت عَقِب الخَنْدق ، وهى فى سنة خمسٍ على الصحيح . ثم حديثُ الإفْك لا يَشُكُّ أحدٌ من علماء الآثار أنه فى غَزوة بنى المُصطَلِق هذه ، وهى غزوة المُرَيْسِيع . وقد اخْتَلف النَّاسُ فى الجواب عن هذا ، فقال موسى بن عُقْبة — فيما حكاهُ البُخَارىُّ عنه — إن غزوةَ المُرَيسيع كانت فى سنة أربع ؛ وهذا خلافُ الجمهور . ثم فى الحديث ما يَنفى ما قال : لأنها قالت : « وذلك بعد ما نَزَلَ الحجاب » ، ولا خلافَ أنَّ الحجاب نزلَ صَبيحةَ دُخُول رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينبَ بنت جَحْشٍ ؛ وقد سألَ صلى الله عليه وسلم زينب عن شأْنِ عائشةَ فى ذلك فقالت : « أَحْمِى سَمْعى وبَصَرِى » . قالت عائشةُ : « وهى الّتى كانت تُسَامينى من أزْوَاجِ النبى صلى الله عليه وسلم » . وقد ذكر

(١) فى الأصل : « إلا »

عُلماء الأخبار أنَّ تزويجَه صلى الله عليه وسلم بزَينَب كان فى ذى القَعْدة سنة خمْسٍ، فبَطَلَ ما قال موسى بن عُقْبة ، ولم يَنْحَلَّ الإشكالُ . وقال ابن إسحاق : إنَّ المُرَيسيع كانت فى سنة ستٍّ ، وذكر فيها حديثَ الإفْك ، إلاَّ أنه قال عن الزُّهرى ، عن عبيد الله بن عَبْد الله [بن عُتْبة][1] ، عن عائشة ، فذكر الحديث — قالَ : فقامَ أُسَيْدُ بن الحُضَيْر فقال : « أنا أَعْذِرُكَ منه » ، ولم يذكُرْ سعدَ بن مُعاذ

قال الحافظُ أبو محمد علىُّ بن[2] أحمد بن سَعيد بن حَزم : وفى مَرْجع النَّاس من غزوة بنى المُصطَلَق قالَ أَهلُ الإفك ما قالوا ، وأنْزَلَ الله تعالى فى ذلك من بَراءة عائشةَ رضى الله عنها ما أَنْزل ، وقَد رَوَينا من طُرُقٍ صِحاحٍ أن سَعْد بن مُعاذ كانت له فى شىء من ذلك مُراجَعَةٌ مع سَعد بن عُبادة . وهذا عندنا وَهَمٌ[3]، لأن سَعد بن مُعاذ ماتَ إثرَ فَتحِ بنى قُرَيظَةَ بلا شك ، وفتحُ بنى قُرَيظَةَ فى آخر ذى القَعدة من السنة الرابعة من الهجرة ، وغَزوةُ بنى المُصطلِق فى شعبان من السنة السادسة — بعد سنةٍ وثمانية أشهرٍ من موته ، وكانَتِ المُقاوَلَةُ بين الرَّجُلين المذكورين بعدَ الرُّجوع من غزوة بنى المصطلِق بأَزْيد من خمسين ليلة . وذكر ابنُ إسْحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، وغيره ، أنَّ المُقاوِل لسَعْد بن عادة إنما كان أُسَيْد بن الحُضَيْر ؛ وهذا هو الصَّحيح . والوَهَمُ لم يَعْرَ[4] منه أحدٌ من بنى آدَم . والله أعلم

غزوة الخندق (الأحزاب)

ثم كانت غَزوة الخَندَقِ : وتُسَمَّى الأحْزاب . وهى الغَزَاةُ التى ابتلَى اللهُ

(١) زيادة للبيان ، ابن هشام ج ٢ ص ٧٣١

(٢) فى الأصل : « باب »

(٣) الوَهَمُ : بالتحريك الغَلَطُ

(٤) فى الأصل . « يصر » ، وقوله ، يَعْر : يريد لم يَخْل ولم يَبرأ

سُبْحانه فِيها عبادَهُ المؤمنين وزَلْزَلَهُمْ ، وثبَّتَ الإيمانَ فى قلوب أَوْليائِهِ ، وأظْهَر ما كان يُبْطنُهُ أهلُ النِّفاق وفَضَحهم وقرَّعهم . ثم أَنزَل تعالَى نصْرَه ونصْرَ عَبدِه ، وهَزَم الأحزابَ وحدَه ، وأعزَّ جُندَه ، ورَدَّ الكفَرة بغَيظِهم ، ووَقَى المؤمنين شرَّ كَيْدهم ، وحرَّم عليهم — شَرْعاً وقدَراً أن يَغْزُوا المؤمنين بَعدها ؛ بل جَعلهم المغلُوبين ، وجعل حِزبَه هم الغالبين ، بمنِّه وفَضْله

بدؤها وكان من خَبَرها : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَسْكَرَ يوم الثُّلاثاء لثمانٍ مَضَتْ من ذى القَعدة سنة خمْس ، وقيل : كانت فى شوّال منها ؛ وقال موسى بن عُقْبة : كانت فى سنة أربع ، وصَحَّحه ابن حَزم . وقال ابنُ إسحاق فى شوّال سنة خمس ؛ وذكرها البُخارىُّ قبل غَزوة ذات الرِّقاع . واستَعْمَل على المدينةِ ابن أُمّ مكتُوم

سببها وسببُ ذلك أنّه صلى الله عليه وسلم لمّا أجلى بنى النّضير ساروا إلى خَيْبَر ، وبها من يهودَ قومٌ أهلُ عدد وجلَد ، وليستْ لهم من البُيوت والأحساب ما لبنى النّضير . فخرج [سلَّامُ بن أبى الحُقَيْق ، و][1] حُيَىُّ بن أخطب ، وكِنانةُ ابن أبى الحُقَيْق ، وهَوْذةُ بن قيْسٍ الوائلىّ : من الأَوْس ، وأبو عامر الراهب[2] ، فى بضعة عشر رجلًا إلى مكة يدْعون قريشاً وأتباعَها إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا لقُرَيش : نحنُ معكم حتى نَستأْصِل محمداً ؛ جئْنا لنُحالفَكم على عداوتِه وقتاله . فَنَشِطَتْ قُرَيش لذلك ، وتذكَّروا أحقادَهم[3] ببدرٍ ، فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلًا ! أحبُّ الناسِ إلينا من أعاننا على عداوَةِ محمدٍ .

(١) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٩

(٢) هكذا هو فى الأصل ، وكلهم يقول فى مكانه « وأبو عمّار الوائلى » . ولم أجد ذكر أبى عامر الفاسق (الراهب) فى حديث بعد خبره يوم أحُد ، إلا خبر موته عند هرقل وذلك عام حجة الوداع

(٣) فى الأصل . « أحفادهم »

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلًا من بُطون قريش كُلِّها وتحالفوا وتعاقَدوا — وقد ألصقوا أكبادَهُم[1] بالكعْبة ، وهم بينها وبيْن أستارِها — : ألَّا يَخْذُل بعضُهم بعضاً ، ولتكونُنَّ كلمتُهم واحدةً على محمدٍ ما بقِي منهم رجل . ثم قال أبو سفْيان : يامعْشَر يهود ! أنتم أهلُ الكتابِ الأوّلِ والعلْمِ ، أخبرونا عمّا أصبحنا [نَخْتلِفُ] فيه[2] نحنُ ومحمدٌ ، أدينُنا خيرٌ أمْ دينُ محمد ؟ فنحن عُمّارُ البيْتِ ، وننْحر الكُومَ[3] ، ونَسقِي الحَجيجَ ، ونعْبدُ الأصنام ! فقالت يهودُ : اللّهم أنتُم أوْلَى بالحقِّ منه ؛ إنّكم لتُعَظِّمونَ هـذا البيتَ ، وتَقومون على السِّقاية ، وتنْحَرون البُدْنَ[4] ، وتعبُدون ما كان عليهِ آباؤُكم ، فأنتم أوْلى بالحقِّ منه . فأنزَل الله تعالى فى ذلك « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا » (النساء : ٥١)[5]

خبر اليهود فى نصرة المشركين

الخروج إلى القتال

واتّعدوا لوقْت وقّتوه ، وخرجتْ يهودُ إلى غَطفَان ، وجَعلت لهم ثَمر خَيْبَر سَنةً إن هم نَصَروهُم . وتَجَهَّزتْ قريش ، وسَيَّرت تدْعو العرَبَ إلى نَصرها ،

---

(١) فى الأصل . « أكبادهم » . الكبدُ من باطن ، وموضعها من ظاهر يسمَّى « كبداً » أيضاً ، وفى الحديث « فوضع يده على كبِدى » وإنما يريدُ : وضعها على ظاهر جنبى مما يلى الكبد . وكذلك هذا ، فهم ألصقوا جنوبهم من جهة أكبادهم ، وتلك كانت عادتهم فى إعظام اليمين

(٢) فى الأصل : « أخبرونا عما أصبحنا نحن فيه ومحمد » ، وهى عبارة هالكة ، وهذه هى الجيدة ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٩

(٣) العمّار جمع عامر . وهو الذى يعمُر البيتَ ويقوم عليه ، واسم ذلك العمارة ، وقد كانت تستطيل بها قريش ، فأنزل الله تعالى : « أجعَلتمْ سِقايةَ الحاجِّ وعِمارَةَ المسجدِ الحرام كمن آمنَ بالله واليوم الآخر وجاهدَ فى سبيلِ الله لا يستوون عندَ الله ، والله لا يهدِى القوم الظالمين » (التوبة : ١٩) . والكومُ جمعُ كوماء : وهى الناقة المشرفة السنام العاليتُه

(٤) البُدْن جمع بَدَنة : وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم ، تهدى إلى مكة لتنحر ، وسميت كذلك لأنهم كانوا يسمنونها فتكون بادنة

(٥) الآيات التى نزلت فى شأنهم فى سورة النساء من (٥١) إلى (٥٥)

الأحزاب ومنازلهم

وألّبوا[1] أحابيشَهم[2] ومن تبِعَهم . وأتَت يهودُ بنى سُلَيْم فوَعدوهم السَّيْرَ معهم ؛ ولم يَكُن أحدٌ أسرعَ إلى ذٰلك من عُيَيْنَةَ بن حِصن بن حُذَيْفة بن بَدر بن عمرو ابن جُرَيّة[3] بن لَوْذان بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان [ويقال له ابنُ اللَّقيطة : يعْنى لا تُعْرَف له أُمٌّ][4] الفزَارِىُّ . وخَرَجتْ قريشٌ ومن تبِعها من أحابِيشها فى أربعةِ آلافٍ ، وعقدوا اللواء فى دار النَّدْوَة ، وحمله عُثمان بن طَلْحةَ بن أبى طَلْحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فَرَسٍ وكان معهم ألفُ بعيرٍ وخمسمائة بعير . ولاقَتْهُمْ سُلَيم بمَرِّ الظَّهْران فى سبعمائة ، يقودهم سُفْيان بن عبدِ شمس [حليفُ حَرْب بن أُمَيّة وهو][5] أبو أبى الأعور السُّلَمِىُّ الذى كان مع معاويةَ ابن أبى سفيان بصِفِّين . وكان أبو سفيان بن حرب قائدَ قريش . وخرجتْ بنو أَسَدٍ وقائدُها طُلَيْحة بن خُوَيلِد الأَسَدِىّ . وخرجتْ بنو فَزارة فى ألفٍ يقُودهم عُيَيْنة بن حِصن . وخرجت أَشْجَعُ فى أربعمائة يقودهم مَسْعود بن رُخَيْلة ابن عائذ بن مالك بن حُبَيْب بن نُبَيْح بن ثَعلبة بن قُنْفُذ بن خَلاوة بن سُبَيْع بن

(١) فى الأصل : « وألبوا »

(٢) حُبْشِى جبل بأسفل مكة ، اجتمع عنده فى الجاهلية بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله : إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار ، وما أرسى حُبشى مكانه . فسمى هؤلاء « أحابيش قريش » باسم الجبل

(٣) فى الأصل : « جوثة »

(٤) اللقيطة : هى أم حصن بن بدر وإخوته — وهم خمسة : حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشريك — واسمها « نضيرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك ابن سعد بن عدىّ بن فزارة » ، ويُقال فى خبر تلقيبها باللقيطة أخبار ، أجودها أن حُذيفة ابن بدرٍ التقطها فى جوارٍ قد أضرَّت بهنَّ السَّنة — الجدبُ — فضمها إليه ، ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوَّجها . وأما قول المقريزى ، ولا أدرى من أين نقله ؛ فهو خطأ ، فاسدُ التوجيه فى العربية ، وإلاّ فهو اللقيط

(٥) زيادة للبيان من ابن سعد ج ٢ ص ٤٧

بكْر بن أشْجَع بن رَيْث[١] بن غَطَفَان بن سَعد بن قَيس بن عَيْلان[٢] [وقال ابن إسحاق : هو مِسْعر بن رُخَيْلة بن نُوَيْرة بن طَرِيف بن سُحْمَة[٣] بن عبد الله بن هِلال بن خَلاَوَةَ بن أشْجع]. وخرجت بنو مُرَّةَ فى أربعمائة يقودُهم الحارثُ [بن عَوْف][٤] بن أبى حارثة بن مرّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مرّة بن عَوف [بن سَعد][٤] بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان ؛ وقيل لم يحضُر بنو مرّة . وكانوا جميعاً عشرة آلاف ، [وأقبلت قريشٌ فى أحابِيشها ومن تبعها من بنى كِنانة][٥] حتى نزَلت وادى العقيق ، ونزلت غَطفان بجانب أُحُد ومعها ثلاثمائة فَرَس . فسَرَّحَت قريش رِكابها فى عِضَاهِ[٦] وادى العقيق ، ولم تجد لخيلها هُناك شيئاً إلّا ما حَمَلت من علَفها ، وهو الذُّرة . وسَرَّحت غَطَفان إبلها إلى الغابةِ فى أثْلها وطَرْفائها[٧] . وكان الناسُ قد حَصدوا زَرعهم قبل ذلك بشهر . وأدخلوا حَصادَهم وأتْبانَهم . وكادتْ خيلُ غَطَفان وإبلُها تَهلِك من الهُزال . وكانت المدينةُ إذ ذاك جَدِيبة

مشورة رسول الله حين بلغه خبر خروج الأحزاب . وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خُزاعة عند ما خرجت من مكة : أتى رَكْبُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فى أربع ليالٍ — حتى أخبروه ، فندَب الناسَ وأخبرهم خبرَ عَدُوِّهم ، وشاوَرَهم : أيَبرُزُ من المدينة ، أم يكونُ فيها ويُخَنْدِقُ عليها ، أم يكونُ قريباً والجبلُ وراءهم ؟ فاختلَفوا . وكان سَلْمان الفارسىُّ يرَى رسولَ الله صلى الله عليه

(١) فى الأصل : « أيت »
(٢) فى الأصل : « غيلان »
(٣) فى الأصل : « سمحة » ، ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٠
(٤) زيادة لا بد منها ، من نسبه
(٥) زيادة لابد منها يقتضيها السياق ، واعتمدنا فى تحريرها على ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٣
(٦) العضاهُ : ضروب من الشجر عظام لها شوك ترعاهُ الإبل فيؤذى شفاهها
(٧) الأثل والطرفاء : شجران متشابهان ، ليس لهما شوك

وسلم يَهُمُّ بالمُقام بالمدينة — ويُريدُ[1] أن يَترُكهم حتى يَرِدُوا ، ثم يُحارِبهم على المدينة وفى طُرُقها — فأشار بالخَنْدَقِ فأعجبَهُم ذلك ، وذكَروا يوم أُحُدٍ فأحبُّوا الثباتَ فى المدينة . وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجِدِّ ، ووعدَهم النَّصْرَ إن هم صَبَرُوا واتَّقَوْا وأمرهم بالطَّاعة

خبر حفر الخندق

وركِبَ فرساً له — ومعه عِدَّةٌ من المُهاجرين والأنصار — فارْتَادَ موضِعاً يَنْزِلُه ، وجَعَلَ سَلْعاً[2] خَلْفَ ظهْرِه ، وعَمِلَ فى [حَفْرِ][3] الخندق لِيُنَشِّطَهم ، ونَدَبَ النَّاس وخَبَّرهم بدُنُوِّ عَدُوِّهم ، وعَيَّنَ حَفْر الخَنْدق فى المَرَاد[4] وعَسْكَر بهم إلى سَفْح سَلْع . فتَبَادَرَ المسلمون فى العَمل ، وقد استَعارُوا من بنى قُرَيْظَة آلَةً كثيرةً — من مَسَاحِى وكَرَازِينَ ومَكَاتِلَ[5] — للحَفْر فى الخندق ؛ ووكَّل صلى الله عليه وسلم بكُلِّ جانبٍ من الخَنْدق قوماً يَحْفِرُونه . وكان الشَّبابُ ينقُلُون الترابَ ، ويخرُجُ المهاجرونَ والأنصارُ فى نَقْلِ الترابِ وعلى رُءوسهم المَكاتِل ، ويرجعون بها بعد إلْقَاء التُّرابِ منها وَقَدْ مَلاوهَا حِجارةً من جبل سَلْعٍ : وهى أعظَمُ سِلاحِهم ، يَرْمُونَ بها

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحْمل التُّراب فى المكاتِل والقَوْمُ يَرْتَجِزون[6] ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

هَذَا الجمَالُ لا جمَالُ خَيْبَرْ هٰـذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

(١) هذا الحرف فى الأصل مما يقرأ بين « يريد » و « يدبّر » ، فأثبتنا الأولى
(٢) سلع : جبل قريب من المدينة
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) فى الأصل : « المزاد » ، والمراد : الموضع الذى ارتادهُ لهم لحفر الخندق
(٥) المساحى جمع مِسحاة : وهى المِجْرَفة من حديد . والكرازينُ جمع كِرزين : وهى الفأس لها رأس واحد . والمَكاتِلُ جمع مِكتل : وهو الزِّنبيلُ أو القُفَّة
(٦) أى يترنَّمون بالرَّجَز من أوزان الشعر

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجَعَل المسلمُون إذَا رَأَوْا من الرَّجُل فُتُوراً ضَحِكوا منه . وتَنَافَس الناس فى سَلْمَانَ الفارسىّ ، فقال المهاجرون : سَلْمَانُ مِنَّا — وكان قَوِيًّا عارِفاً بحَفر الخنادق — وقالت الأنصارُ : هُو منَّا ونحن آخِرَتُهُ[1] . فقال صلى الله عليه وسلم : سلمانُ منَّا أهلَ البَيْتِ . ولقد كان يَعملُ عَملَ عشرة رجالٍ حَتى عانَهُ[2] قيسُ ابن أبى صَعْصَعة فَلُبِطَ به[3] فقال صلى الله عليه وسلم : مُرُوهُ فَلْيَتَوَضَّأ ، ولْيَغْتَسِلْ به ؛ ويَكْفِإِ الإناءَ خَلْفَه ؛ ففَعَلَ فكأنما حُلَّ من عِقَالٍ . وجعل لسَلْمان خمس أذْرُعٍ طُولاً وخمساً فى الأرض فَفَرَّغَها وحدَهُ وهو يقول : اللَّهُمَّ لاعَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخرة . وحَفَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَمَلَ التُّرابَ على ظَهْره . وفى حديث سُلَيمان التَّيْمىّ ، عن أبى عثمان النَّهْدى : أنّه عليه السلام حين ضَرَب فى الخَندق قال :

بسم الله وبه بدينا ولو عَبَدْنا غيره شَقِينا
حبذا ربًّا وحبذا دينا[4]

وكان بنو سَلِمَةَ ناحيةً يَحفِرونَ ويَرتجزون ، فعزَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على كَعْبِ بن مالك ألاَّ يَقُول شَيْئاً ، وعزَمَ عَلَى حَسَّان بن ثابت ، وقال : لا يغضب أحدٌ مما قال صاحبُه ، لا يريد بذلك سوءا ، إلا ما قال كعبٌ وحسَّان فإنهما يَجدانِ ذلك[5]

(١) فى الأصل : « إخوته » ، وآخرته : يريدون أنهم كانوا آخر من نزل بهم بعد تطوافه فى بلاد الله

(٢) عانَ الرَّجلَ يعينه عيناً : أصابه بالعين حَسَداً

(٣) يقال ، لُبط بفلانٍ : إذا صُرِع من عينٍ أو حمَّى أو أمرٍ يغشاهُ مفاجأة

(٤) هذا كلام لم أجده فيما بين يدىّ من أصول الكتب ، ولا أدرى ما هو

(٥) هذا خبر ناقص مضطرب ، ولم أعرف أصله ولا كيف سِياقه

تغيير اسم جُعَيْل وتسميته (عمراً)

وكان جُعَيْل بن سُرَاقة رجلا صالحا ، وكان [اسمه](١) ذَمِيما قبيحاً ، وكان يعمل فى الخَندق ، فغيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه يومئذٍ وسمَّاه عَمراً ؛ وجعل المسلمون يرْتجزون ويقولون :

سمَّاهُ مِن بَعد جُعَيلٍ عمرًا وكان للبَائسِ يَوْمًا ظهرًا

سبب النهى عن أن يروّع المسلم أو يؤخذ سلاحه

وكان زَيد بن ثابت بن الضَحَّاك الأنصارىُّ فيمن ينقُل التراب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا إنه نعمَ الغُلام ! وغلبَته عينَاه فنام فى الخَندَق — وكان القُرُّ شديداً(٢) — فأخذ عُمارة بن حَزْم سلاحَه وهو لا يشعُر ؛ فلما قام فَزِعَ . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا رُقاد ! نِمْتَ حتى ذهَب سِلاحك ! ثم قال : مَنْ له علْمٌ بسلاح هذا الغُلام ؟ فقال عمارة : يا رسول الله ، هو عِندِى . فقال : فرُدَّه عليه . ونهى أنْ يُرَوَّعَ المسلم ، و[لا](٣) يُؤخَذَ مَتاعُه [جادًّا ولا](٣) لاعبًا

ولم يتأَخَّرْ عن العملِ فى الخَندق أحدٌ من المسلمين ؛ وكان أبو بكرٍ وعمر رضى الله عنهما يَنْقُلان التُّرابَ فى ثيابهما من العَجَلَةِ ، إذْ(٤) لَمْ يَجِدَا مكاتِل — لعَجَلَةِ المسلمين — ؛ وكانا لا يَتفرَّقان فى عَمَلٍ ولا مَسِيرٍ ولا مَنْزِل . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو يَعْمل فى الخندق :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَاصَلَّيْنَا

[فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وجعيل : تصغيرُ جُعَل : وهو شبيه بالخنفساء ، يتتبَّع القَذَر يعكفُ عليه

(٢) القرُّ : البرْد

(٣) زيادة للسياق ، من الإصابة فى ترجمة « زيد بن ثابت »

(٤) فى الأصل : « إذا »

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا [(١)]

يردِّد ذلك

خبر نبوءته عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضَرَبَ بالكِرْزِين فصادَفَ حَجراً فَصَلَّ(٢) الحَجَر ، فضَحِكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : مِمَّ تَضْحَكُ يا رسولَ الله ؟ قال : أَضْحَكُ من قومٍ يُؤْتَى بهم من المَشْرِقِ فى الكُبُولِ(٣) ، يُسَاقُون إلى الجنَّة وهُمْ كارهون . وضربَ عُمَرُ بن الخطّاب رضى الله عنه بالمِعْوَل فصادف حَجَرًا صَلْدًا ، فأَخَذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه المِعْول فضرب ضَرْبةً فذهبتْ أَوَّلُها بَرْقَةً إلى اليمن ، ثم ضَرَبَ أُخْرى فذهبتْ بَرْقَةً إلى الشَّأْم ، ثم ضَرَبَ أُخْرى فذهبت برقةً نحو المشرق ، وكُسِرَ الحَجَرُ عند الثَّالثة . فقال صلى الله عليه وسلم : إنّى رأيتُ فى الأُولى قُصُورَ اليمن ، ثم رأيتُ فى الثانية قُصُور الشَّأْمِ ، ورأيتُ فى الثالثة قَصرَ كِسرى الأَبْيضَ بالمدائن . وجعل يَصِفُه لسَلْمان فقال : صَدَقْتَ ! والذى بعثك بالحق إنَّ هٰذه لَصِفَتُه ! وأَشهدُ أَنَّك رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـذه فُتُوحٌ يَفْتَحها الله عَلَيْكم بَعْدِى ؛ يا سَلْمان لَتَفْتَحُنَّ الشَّأْم ويَهْرُبُ هِرَقْلُ إلى أَقصى مملكتِه ، وتَظْهَرُون على الشَّأْم ولا يُنَازِعُكم أَحَدٌ ، ولتفتَحُنَّ اليمن ، ولَتَفْتَحُنَّ هذا المشرق ويُقْتَلُ كِسْرى فلا يكون كِسْرى بَعْدَه

ولما كمل الخَنْدَقُ صَارت المدينة كالحِصْن ، ورَفَع المُسْلِمون النِّساء والصِّبْيَانَ فى الآطامِ

البركة فى طعام جابر

ورأى جابرُ بن عبد الله رضى الله عنه رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَحفِر ،

---

(١) زيادة : البخارى ج ٥ ص ١١٠

(٢) صَلَّ الحجر : سمع صوته يتردَّدُ فى صَلِيل الفأسِ

(٣) الكبول ، جمع كَبْل : وهو القيدُ من الحديد أعظم ما يكون

ورآه خَمِيصاً[١] ، فأتَى امرأتَهُ فأخْبَرها ما رأى من خَمَص رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله ما عِنْدَنا شيء إلا هـذه الشاةُ ومُدٌّ من شَعِير ، قال : فاطْحَنى وأَصْلِحى . فطَبَخُوا بَعْضها ، وشَوَوْا بعضَها ، وخبَزُوا الشَّعير . ثم أتَى جابرٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! قد صنعتُ لك طعامًا فأْتِ أنْتَ ومَن أَحْبَبْتَ من أَصْحابك . فشَبَّك صلى الله عليه وسلم أصابعَه بين أصابع جابرٍ ثم قال : أجيبوا جابراً يَدْعُوكم . فأقْبَلُوا معه ، فقال جابر فى نفسه : والله إنَّها الفَضِيحةُ ! وأتَى المرأةَ فأخْبرها فقالت : أنْتَ دَعَوتَهُم أوْ هُو ؟ فقال : بَلْ هُو دَعاهم ! قالت : دَعْهُم، فهو أعْلَم . وأقْبَـل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأمَرَ أصحابه ، وكانوا فرقا : عشرةً عشرةً . ثم قال لجابر : أغْرِفُوا وغطُّوا البُرْمَةَ ، وأَخْرجوا من التَّنُّور الخُبزَ ثم غطُّوه . ففعلُوا ، وجعلوا يغرِفُون ويُغَطُّون البُرْمة ثم يَفْتَحُونها فما يَرَوْنَها[٢] نَقَصَتْ شيئاً ؛ ويُخْرجون الخُبز من التَّنُّور ويُغَطُّونه فما يرونَه يَنْقُص شيئاً ، فأكلُوا حتَّى شبِعُوا ، وأكل جابرٌ وأهلُه

عرض الغلمان وإجازتهم

وعَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغِلْمانَ وهو يَحفِرُ الخَنْدَق ، فأجازَ مَنْ أجازَ وردَّ مَنْ ردَّ . فكان ممن أجازَ [عبدُ الله][٣] بن عمر [بن الخطّاب][٣] ، وزيدُ بن ثابت ؛ والبَرَاء بن عَازب[٤] ؛ وما منهم إلَّا ابنُ خمسِ عشرة سَنَة . وكان الغلمانُ الذين لم يبلغوا يعملون مَعَه ثم أمَرَهم[٥] فرَجَعُوا إلى أهلِيهم

عدّة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثةَ آلاف ؛ وزعم ابنُ إسحاق أنَّه إنما كان فى سَبْعمائة ؛ وهذا غلَطٌ . وقال ابن حزم : وخَرَج رسولُ الله — يعنى فى الخندق —

(١) الخميصُ : الضامِرُ البطن من الجوع ، والخَمَص : ضُمْر البطن من الجوع
(٢) فى الأصل : « يروها »
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) وكذلك قال ابن هشام فى خبر أحُد ج ٢ ص ٥٦٠
(٥) فى الأصل : « أمر بهم »

فى ثلاثة آلافٍ ، وقد قيل فى تسعمائة فقط ؛ وهو الصحيح الذى لا شك فيه ؛ والأوَّلُ وَهَم

اجتهاد رسول الله فى العمل يوم الخندق

ومن شِدّة اجتهادِهِ صلى الله عليه وسلم فى العَمَل : كانَ يَضرِبُ مَرَّة بالمِعْول ومَرَّةً بالمِسْحاةِ يَغرف بها التُّرابَ ؛ ومرةً يحمل التُّراب فى المِكتل . وبَلَغ يومًا منه التَّعَبُ مبلغاً فجلس ؛ ثُمّ اتكأَ على حَجَرٍ بشقّه الأيسر فنام ، فقامَ أبو بكر وعُمَر رضى الله عنهما عَلَى رأسه يمنعانِ النّاسَ أن يمرُّوا به فيُنَبِّهوه ؛ ثم فَزِع وَوثَبَ فقال : أَلَا أَفْزَعتُمونى ! وأَخذ الكرْزِين يضربُ به وهو يقول : اللّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخرة ، فاغفِر للأنصارِ[1] والمُهاجِرة ؛ اللّهُمَّ ألْعَن عَضَلاً والقَارة . فَهُمْ كلَّفُونى أنْقُلُ الحجارَةَ[2] . وفرغَ حَفْرُ الخندق فى ستّة أيامٍ

مواقف المسلمين

وعَسْكر فجعل سَلْعاً خلفَ ظَهْره والخندق أمَامَه . ودَفَع لواءَ المهاجرين إلى زَيد بن حارثة ؛ ولواء الأنصار إلى سَعْد بن عُبَادة . وضرب له قُبّةً من أدَمٍ . وعاقَبَ بين ثلاثٍ من نسائه ؛ وكانت عائشةُ أياما ؛ ثم أمُّ سَلَمة ؛ ثم زَينَبُ بنت جَحْشٍ ؛ وبَقِيَّةُ نسائه فى الآطامِ

خبر حيى بن أخطب وأبى سفيان

وكان حُيَيُّ بن أخطب يقولُ — لأبى سُفيان بن حَرْب ولقريش فى مسيره مَعهم — : إنَّ قومى قُرَيْظَةَ معكم ، وهم أهلُ حَلْقَة وافرَةٍ ، وهم سبعمائة مُقاتِلٍ وخمسون مُقاتلاً . فلمَّا دَنَوْا قال له أبو سفيان : إئْتِ قومَك حتى ينقضُوا العهدَ الذى بينهم وبين محمَّدٍ . فأتى بنى قُرَيظَةَ — وكانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينةَ صالَح قريظة والنَّضِيرَ ومن معهم من يَهُودَ ألاّ يَكُونوا معه ولا

عهد بنى قريظة

(١) فى الأصل : « لى الأنصار »

(٢) هكذا رَوى ! وقد روى الثّقاتُ ، ولم يذكروا هذا الكلام من قوله : « اللهم العن ... » الخ ، وهو كلام هالك ليس بشىء

عَليه ؛ ويقالُ : صالَحهم على أنْ ينصُروه مِمَّنْ دَهَمَهُ[١] ، ويُقيموا على مَعاقِلِهم[٢] الأُولى التى بين الأَوْس والخَزْرج — فأتَى كعْبَ بن أَسَدٍ ، وكان صاحِبَ عَقْد بنى قُرَيظَةَ وعَهْدِها[٣] . فَكَرِهت قريظة دُخولَ حُيَيٍّ بن أخطب إلى دارِهم ، فإنَّه كان يُحِبُّ الرياسة والشَّرَف عليهم ، وكان يُشَبَّهُ بأبى جَهْلٍ فى قريشٍ[٤] . فلقِيَه عَزَّالُ بن سَمْوأَل[٥] أوَّلَ النَّاس ، فقال له حُيَيٌّ : قد جئتُك بما تَسْتَرِيحُ به من مُحَمَّد ، هذه قريشٌ قد دَخَلت وادى العَقيق ، وغَطَفانُ بالزُّغابة ! فقال عَزَّال[٥] : جِئْتَنَا واللهِ بِذُلِّ الدَّهر ! فقال : لا تَقُلْ هذَا ! ثمّ أتى كعبَ بنَ أَسَد فقال له : إنك امرُؤٌ مَشئومٌ ، وقدْ شَأَمْتَ[٦] قومَك حتى أَهلكتَهُمْ ، فارجِعْ عنَّا ! فما زال به حُيَيٌّ حتى لاَنَ له ونَقَضَ العَهدَ ، وشَقُّوا الكتابَ الذى كَتَبَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم [بَينَهُ وَ][٧] بينهم ، واستدعى رُؤَسَاءهم — وهم : الزُّبَيْرُ بن باطَا ، ونَبَّاشُ بن قَيْس ، وعَزَّال بن سَمْوأَل[٥] ، وعُقْبة بن زيد ، وكَعْب ابن زيد — وأَعْلَمَهم بما صَنَع من نَقضِ العَهد ؛ فَلَحَمَهُ[٨] الأمرُ لِمَا أَراد الله بهم من هَلاكِهم

نقض بنى قريظة العهد ومجاهرتهم بالعداوة

فبَيْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قُبَّته ، — والمسلمون على خَنْدقهم يَتَناوَبونَه ، معهم بِضْعٌ وثلاثون فرَساً ، والفرسانُ يَطُوفون على الخندق — إذْ

(١) فى الأصل : « دهمه منهم » ، ودهمه : غشيه وفاجأه

(٢) معاقلهم جمع مَعقِلَة : أى على مراتب آبائهم ، وأصل ذلك من المعاقل التى هى الدِّياتُ ، وكانت تؤدَّى على المراتبِ فى الجاهلية

(٣) فى الأصل : فى هذا المكان : « حُيى بن أخطب » ، وهو تكرار لا معنى له

(٤) فى الأصل : « وكان يشبّه فى قريش بأبى جهل » والذى أثبتناه هو عربية الكلام

(٥) فى الأصل : « غزال »

(٦) فى الأصل : « شوم ، وقد شمت »

(٧) زيادة لابد منها

(٨) لحمه : ضيَّق عليه حتى نَشِب فيه وكزق به . وفى الأصل « لجمه »

جاء عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! بلَغنى أنَّ بنى قرَيظة قد نقَضَت العهدَ وحَارَبتْ . فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : حَسْبُنا اللهُ ونعم الوَكيل . وبعث الزُّبير بن العوّام رضى الله عنه إليهم لِيَنْظر ، فعادَ بأنهم يُصْلحون حصونَهم ، ويُدزِّبون [1] طُرُقَهم وقد جمعُوا ما شيَّهم ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ لكل نبىٍّ حَوَارِيًّا ، وإنَّ حوَارِىَّ [2] الزُّبَيْر . ثم بعث سعدَ بن مُعاذ ، وسعدَ بن عُبادة ، وأُسَيْد بن حُضَيْر لينظُروا ما بلَغه عن بنى قُرَيظة ، وأَوْصاهم — إن كان حقًّا — أنْ يَلْحَنُوا له [أى يُلْغِزُوا] لِئَلاَّ [3] يَفُتّ ذلك فى أَعْضَاد المسلمين ويُورِثَ وَهَنًا . فوَجَدوهم مُجَاهرين بالعَداوة والغَدر ، فتَسَابُّوا . ونالَ اليهودُ — عليهم لَعَائن [4] الله — من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّهم سعدُ بن مُعاذ وانصَرَفوا عنهم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماوَراءَكم ؟ قالوا : عَضَلٌ والقَارَة ! [يعنُون غَدرَهم بأصحَاب الرَّجِيع] . فكبّر صلى الله عليه وسلم وقال : أبْشِرُوا بنصر الله وعَوْنه

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بنى قريظة ، وتسميته (حَوارىّ رسول الله)

وانتهَى الخبرُ إلى المسلمين ، فاشْتَدّ الخوفُ وعظُمَ البَلاء ، ونَجَمَ النِّفَاق وفَشِلَ الناس : وكانوا كما قال الله تعالى « إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بالله الظنونَا هُنَالِكَ ابتُلِىَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً » (الأحزاب : ١١) [5] وتكلَّمَ قومٌ بكلامٍ

رعب المسلمين يوم الأحزاب

مقالة المنافقين

(١) درَّبَ الطريق : ذلله ووطَّأهُ ، من الدَّرْب وهو الطريق . ولم أجدهُ ، واللغةُ لا تأباه كما قالوا من الطريق طرَّق ، ومن الباب بوَّب

(٢) فى الأصل : « حَوَارِيِّىَ » ، والذى أثبتناه أجود

(٣) فى الأصل : « لئن لا »

(٤) هكذا بالأصل : يريد جمع لَعْنَة ، وهى لا تجمع إلا على لِعانٍ ولعنات . وأما هذه فعامية

(٥) فى الأصل : إلى قوله تعالى « الحناجر »

قبيح ، فقال مُعتِّبُ بن قُشَيْر [1] [ويقال له ابن بِشْر ، ويقال ابن بُشَيْر] بن حُلَيْل [ويقال ابن مُلَيْل] بن زَيد بن [2] العَطَّاف بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك ابن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس الأنصاريُّ : يَعِدُنا محمدٌ [أن نأكُلَ] [3] كُنوزَ كِسرى وقَيصرَ ، وأَحَدُنَا لا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهبَ لحاجَتِـه ! مَاوَعدنا اللهُ ورسوله إلاَّ غُرُوراً ! ٥

من أخبار يهود يوم الأحزاب

وهَمَّت بنو قُرَيظة أنْ يُغيروا على المدينة ليلاً ؛ وبَعَثَ حيَيّ بن أخطب إلى قريشٍ أن يأتيَه منهم ألفُ رجلٍ ومن غطفانَ ألفٌ ، فيُغيروا بهم. فجاء الخبَرُ بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فعَظُمَ البلاء . وبعثَ سَلَمَةَ بن أسْلم بن حَرِيش بن عُدَيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزرج بن عمرو بن مالك بن الأوْس الأنصاريّ — فى مِئتى رجُل ، وزيدَ بن حارثة فى ثلاثمائة رجلٍ يَحْرُسون المدينة ١٠ ويُظهرون التَـكْبير ، ومعهم خَيْلُ المسلمين ؛ وكانوا يَبِيتون بالخَندق خائفين ، فإذا أصبحوا أَمِنُوا . وكان الخوفُ على الذَّراريّ بالمدينـة من بنى قُرَيظةَ أشدّ من الخوف من قريشٍ وغَطَفان ، إلا أنَّ اللهَ ردّ بنى قريظة عن المدينة بأنها كانت تُحْرَسُ. وبعثَ رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم خَوَّاتَ بنَ جُبَير بن النُّعْمان ابن أُمَيَّـة بن امرئ القَيس بن ثَعْلبة بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ١٥ الأنصاريّ لينظُرَ غِرَّةً لبنى قُرَيظةَ ، فَـكَمَنَ [4] لهم ، فحمله رجلٌ منهم وقد أخَذَه النّومُ ، فأَمْكنَه اللهُ من الرَّجُل وقتَلَه ؛ ولَحِقَ بالنبى صلى الله عليه وسلم فأخبرَه .

---

(١) فى الأصل : « قريش »

(٢) فى الأصل : بعد قوله « ابن مليل » ما نصه : [بن الأزعر العطّاف] ، وهو خطأ ، فإن مُمليلا هذا ، هو أخو الأزْعر ، وكلاهما ابن زيد بن العطّاف

(٣) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٣٥٧ ، ج ٢ ص ٦٧٥

(٤) فى الأصل : « فأكمن »

وخرجَ نَبَّاشُ بن قَيس فى عشرةٍ من اليهود يريد المدينـةَ ؛ فَفطِن بهم نَفَرٌ من أصحابِ سَلَمة بن أسْلم فرَمَوْهم حتى هَزَموهم . ومرَّ سَلَمة فيمَن معَه فأَطافَ بحصونِ يهودَ فخافوه ؛ وظنُّوا أنّه البيَاتُ

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبَعثَتْ بنو حارثةَ بأَوْس بن قَيْظِيّ بن عَمْرو بن زَيد بن جُشَم بن حارثةَ الأنصارِيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ ؛ وليسَ دارٌ من دُور الأنصارِ مثـلَ دارنا ؛ ليسَ بيننا وبين غَطَفان أحدٌ يَرُدُّهم عنّا ؛ فأْذَنْ لنَا فلْنَرْجِـع إلى دُورنا فنمنعَ ذَرارِينَا ونسَاءَنا . فأذن لهم صلى الله عليـه وسلم . فبلَغَ سـعدَ بن معاذٍ ذلك فقال : يارسولَ الله ! لاتأْذَنْ لهم ؟ إنَّا والله ما أصَابَنَا وإيّاهم شِدّةٌ قطُّ إلا صَنَعُوا هكذا . فرَدّهمْ . وقال ابن الـكَلْبيّ : وأبو مُلَيْل[1] بن الأزْعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعة شَهِد بدراً ؛ وهو الذى قَالَ : « بُيُوتُنا عَوْرَةٌ » يوم الخَنْدق . وقال ابن عبد البر : أبو مُلَيْل سُلَيْك ابن الأعزّ[2]

حراسة رسول الله ثلمة يخافها من الخندق

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْتلفُ إلى ثُلْمَةٍ فى الخندق يَحْرُسها[3] ، فإذا آذَاه البردُ دخل قُبَّتَه فأَدْفأَته عائشةُ رضى الله عنها فى حِضْنِها ، فإذا دَفِئَ خرجَ إلى تلك الثُّلْمةِ يحرُسُها ويقولُ : ما أخْشَى على الناس إلاّ منْها . فبَيْنَا هو ليلةً فى حِضْنِ عائشةَ قد دفِئَ وهو يقول : ليتَ رجلاً صالحاً يَحْرُسُنى اللَّيلةَ ! فجاء سعدُ بن أبى وقّاصٍ رضى الله عنه فقال : عَلَيْك بهذه الثُّلْمةِ فاحْرُسها . ونامَ ،

---

(١) فى الأصل : « وابن مليل »

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ، ثم قال : « وأنا أخشى أن يكون هو الذى بعده ، وقع فيه تصحيف وتحريف . وجوّز ابن فتحون أن يكون هو الذى بعده » . «والذى بعده» هو : أبو مليل بن الأزعر

(٣) فى الأصل : « ويحرسها »

وقام صلى الله عليه وسلم ليله فى قُبَّتِه يُصَلِّى . ثم خرَج فقال : هذه خَيْلُ المشركين تُطِيفُ بالخَنْدق ! ثم نادى : ياعَبَّاد بن بشر ! قال : لبّيك ! قال : مَعَك أحَدٌ ؟ قال : نعَمْ ، أنا فى نفَرٍ حولَ قُبّتِكَ . فبعثَه يُطِيف بالخَنْدق ، وأعلمه بخَيل تُطِيفُ بهم . ثم قال : اللّهُمَّ ادفَعْ عنّا شَرَّهم وانصُرْنا عليهم ، واغلِبْهُمْ لا يَغْلِبُهُمْ غيرُك

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يَتناوَبون بيْنهم : فيَغْدُو أبو سُفيان بن حرب فى أصحابه يوماً ، ويَغْدو خالدُ بن الوليد يوماً ، ويَغْدو عَمْرو بن العاص يوماً ، ويغدو هُبَيرة ابن أبى وَهبٍ يوماً ، ويغدو عِكْرِمة بن أبى جهل يوماً ، ويغدو ضِرَار بن الخطّاب الفِهْرِىّ يَوْماً ، فلا يزالون يُجِيلون خَيْلَهم ، ويتفرّقون مرّةً ويجتمعون مرّةً أُخْرى ، ويُنَاوِشون المسلمين ، ويُقَدِّمون رُمَاتِهِمْ فيرْمون . وإذا أبو سُفيان فى خيلٍ يُطِيفون بمَضِيقٍ من الخَندق ، فرَاماهم المُسلمون حتّى رَجَعوا

طلب المشركين مضيقاً من الخندق وردّهم

وكان عَبّاد بن بشر أَلْزَم الناس لقُبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحْرُسها . وكانَ أُسَيْد بن حُضَيْر يحرس فى جماعةٍ ، فإذا عَمرو بن العاص فى نحو المائةِ يُرِيدون العُبور من الخَندق ، فرَاماهم حتّى ولّوْا ، وكان المسلمون يَتناوَبون الحِراسةَ ، وكانوا فى قُرٍّ شديدٍ وجُوع . وكان عمرُو بنُ العاص وخالدُ بن الوليد كثيراً ما يَطْلُبَانِ غِرَّةً ، ومَضيقاً من الخندق يَقْتَحِمَانه ، فكانت للمسلمين مَعَهُما وَقَائعُ فى تلك اللّيالى . وكان شِعارُ المُهاجرين : يا خَيْلَ الله . وجاء فى بَعض اللّيالى عمرُو بنُ عبد [بن أبى قيس] (١) فى خيلِ المشركين ، ومعه مَسعود بن رُخَيْلة (٢) ابن نُوَيرَة بن طَرِيف بن سُحْمَة بن عبدِ الله بن هِلال بن خَلَاوة بن أشجع بن

شعار المهاجرين

(١) زيادة للإيضاح ؛ ويقال فيه أيضاً : « عمرو بن عبد وُدّ بن أبى قيس »

(٢) فى الأصل : « دخيلة » ، وانظر ص (٢١٨ — ٢١٩)

رَيْث بن غَطَفان فى خَيْلِ غَطَفان ، فرَاماهم المسلمون . ولَبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم درْعَهُ ومِغْفَرَه ، وركب فَرَسه وخَرَجَ ، فَصرفَهم الله وقَد كَثُرَتْ فيهم الجِرَاحة . فرجَع صلى الله عليه وسلم ونام ؛ وإذا بِضِرار بن الخطَّاب وعُيَيْنَةَ بن حِصنٍ فى عِدَّةٍ ؛ فَرَكِب عليه السلامُ بِسِلاحِهِ ثانياً ؛ فرَاماهم المسلمُون حتّى وَلَّوا وفيهم جِرَاحَاتٌ كثيرةٌ

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضى الله عنها : شهدتُ مَعَه مشاهدَ فيها قتالٌ وخوفٌ — المُرَيْسِيعَ وخَيبَر ، وكنَّا بالحُدَيْبِية ، وفى الفَتْحِ ، وحُنَيْنٍ — لم يَكُنْ من ذٰلك أتعبَ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخْوفَ عِنْدَنا من الخَنْدَق . وذلك أنَّ المسلمين كانُوا فى مِثْلِ الحَرَجَة ، وأن قُرَيْظة لا نَأْمَنُها على الذَّرَارِىّ : فالمدينةُ تُحْرَس حَتَّى الصَّباح ، نَسْمع تكْبير المسلمين فيها حتَّى يُصْبِحُوا خَوْفاً ، حتى ردَّهم الله بغَيْظهم لَمْ[1] يَنَالُوا خيْرًا . وقال محمد بن مَسْلَمَة وغيره : كان ليلُنَا بالخَنْدق نهارًا ، وكان المشركون يتناوَبُون بينهم ، فيَغْدُو أبوسفيان بن حَرْب فى أصحابه يومًا ، ويغدو خالدُ بن الوليد يوما ، ويَغْدُو عمرو بن العاص يومًا ، ويَغْدُو هُبيرة بن أبى وَهْب[2] يومًا ، ويغدو عِكْرِمةُ بن أبى جَهْل يومًا ، ويَغْدُو ضِرَارُ بن الخطَّاب يوما ، حتى عُظم البلاءُ وخَافَ النَّاس خوفاً شديداً . وكان معهم رُمَاةٌ يُقدِّمونهم إذا غَدَوْا ، مُتَفرِّقين أو مُجْتمعين بين أيْدِيهم : وهم حِبَّانُ بن العَرِقَة وأبو أُسَامَة الجُشَمِىُّ فى آخرين . فتَناوَشُوا يومًا بالنَّبْل ساعةً ، وهم جميعاً فى وجْهٍ واحِدٍ وِجَاهَ قُبَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله قائمٌ بسلاحِه على فَرَسِه . فرمَى

رماة المشركين

(١) فى الأصل : « لن »

(٢) فى الأصل : « بن أبى لهب » ، وهو خطأ صرف

إصابة سعد بن معاذ وهى الاصابة التى قتلته

حِبَّانُ بن العَرِقَة سَعْدَ بنَ مُعاذ بسَهْمٍ فأصاب أَكْحَلَهُ[1] وقال : خُذْها وأَنا ابنُ العَرِقَة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : عَرَّقَ اللهُ وَجْهَهُ فِي النَّار . ويقال : بَلْ رَمَاه أبو أُسَامة الجُشَمِيُّ

اقتحام المشركين مضيقاً من الخندق ، وقتالهم وردّهم

ثم أجمع رؤساء المشركين أَنْ يَغْدُوا جميعاً ، وجاءوا يُرِيدون مَضِيقاً يُقْحِمُون خَيْلَهم إلى النَّبى صلى الله عليه وسلّم ، حتى أَتَوْا مكاناً ضَيِّقا أَغفَله المُسْلِمون فلَمْ تَدْخله خُيُولهم . وعَبَرَهُ عِكْرِمة بن أبى جَهْل ، ونَوْفَلُ بن عبد الله المخزُومىّ ، وضِرارُ بن الخطاب [هو ضرار بن الخطّاب بن مِرْدَاس بن كبير بن عَمْرو آكل السَّقْب بن حَبيب بن عمرو بن شَيْبان بن مُحَارب[2] بن فِهْر بن مَالك الفِهْرِىُّ ، أَسْلَمَ يومَ الفَتْح] ، وهُبيرةُ ابن أَبى وَهب ، وعمرو بن عبدٍ — وقام سائرهم وراء الخَنْدق . فدَعَا عمرو بن عبْدٍ إلى البِرازِ — وكان قَد بَلَغَ تِسعين سَنَةً ، وحرَّم الدُّهنَ حتى يَثْأَر بمحمدٍ وأَصحابِه — ، فأَعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضى الله عنه سَيْفَه وعمَّمهُ وقال : اللّهُمَّ أَعِنْهُ عليه ! فخرج له وهو راجِلٌ وعمرو فارِساً ، فَسخر به عمرو ، ودَنا منه علىٌّ ، فلم يكُن بأَسرعَ من أَنْ قَتله علىٌّ ، فولَّى أصحابه الأَدبارَ . وسقَط نَوْفَلُ بن عبد الله عن فَرَسه فى الخَنْدق ، فرُمِىَ بالحجارة حتى قُتل . ومَرَّ[3] عمرُ بن الخطاب والزُّبير فِي إِثْرِ القَوْم فناوَشُوهم ساعةً ؛ وسقطت درْعُ هُبيرةَ بن أبى وَهب ، فأَخَذَها الزُّبير رضى الله عنه

تعبئة المسلمين

ثم وَافَى المشركُون سَحراً ، وعَبَّأَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَصحابَه ،

(١) الأكحل : عِرق فى اليد ، يقال له عِرْق الحياة ، ونهرُ البدَن ، وفى كلّ عضو منه شُعبة ، فإذا قُطع لم يرقأ الدّم ، وفى كلّ عضو له اسم على حدة . فهو فى الفخذ النَّسا ، وفى الظَّهر الأبهر ... »

(٢) فى الأصل : « مجار »

(٣) يقالُ مرّ فى أثره : أى أسرع

فقاتلوا يَومهم إلى هَوِيٍّ من اللَّيْل : وما يَقْدرُ رسول الله ولا أحدٌ من المسلمين أَنْ يَزُولُوا من مَوضِعهم ، وما قدَرَ صلى الله عليه وسلم على صلاة ظُهْرٍ ولا عصرٍ ولا مَغْربٍ ولا عشاء ؛ فجَعل أصحابه يقولون : يارسولَ الله ! مَا صَلَّينَا ! فيقول : ولا أنا والله ما صَلَّيتُ ! حتّى كَشَف الله المشركين ؛ ورجَع كلٌّ من الفَرِيقين إلى مَنْزِله . وقامَ أُسَيْدُ بن حضَير فى مائتين على شَفِير الخنْدق ؛ فَكَرَّتْ خيلٌ للمشركين يَطْلُبون غِرَّة — وعليها خالدُ بن الوليد — فناوشهم ساعةً ؛ فزَرَق[1] وحشيٌّ الطُّفَيلَ بن النعمان [وقيل الطُّفَيل بن مالك بن النُّعمان][2] بن خنْسَاء الأنصارى السُّلَمىّ بمزرَاقه ، فقَتله كما قَتَل حمزة رضى الله عنه بأُحدٍ

تخلّف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

فلما صار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى موضِع قُبَّته أمر بلالاً فأَذَّنَ وأقامَ للظهر ، وأقام بَعْدُ لكلِّ صلاةٍ إقامةً ، فصلَّى كلَّ صلاةٍ كأَحْسَنِ ما كانَ يُصَلِّيها فى وَقْتها ؛ وذلك قبل أن تَنْزِلَ صلاةُ الخوْفِ ، [وذلك قولُه تعالى : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانتين « ٢٣٨ » ؛ فإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ » (البقرة : ٢٣٩)][3] . وقال يَومَئِذٍ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : شَغَلَنَا المشركون عن صَلاةِ الوُسْطى صَلاةِ العصر ، مَلأَ الله أَجْوَافَهم وقبُورَهم نَاراً . وفى حديث جابرٍ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما شُغِلَ يومئذٍ عن صلاةِ العصر . وفى حديث أبى سعيدٍ وعبد الله بن مَسعود : أنَّه شُغِلَ يومئذٍ عن أربع صلَواتٍ ، الظُّهرِ والعصرِ والمَغرِبِ والعشاء . وفى مُرسَل سَعيد بن المُسَيَّب : أنّه شُغِل عن

إقامة الصلاة التى شغلوا عنها

(١) المِزْرَاقُ : رمح قصير ، وزَرَقَ به : رماه به فطعنه

(٢) قال ابن حجر حين ذكر « الطفيل بن النعمان » و « الطفيل بن مالك بن النعمان » : وأنهما اثنان ، وأن الثانى ابن عم الأول

(٣) فى الأصل : « قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالا أو ركباناً ... »

الظُّهْر والعَصْر. فاحْتمل أن يكون كُلُّه صحيحاً، لأنَّهم حُوصِرُوا فى الخَنْدق وشُغلوا بالأَحْزَاب أيَّامًا. ومثلُ حديثِ جابرٍ فى ذلك حديثُ علىٍّ رضى الله عنه، وهو حديثٌ ثابتٌ من طُرُقٍ عنه، أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال: شَغَلُونا عن صلاةِ الوُسْطَى صلاةِ العَصْر حتى غَرَبَت الشمْسُ، مَلأَ الله قُلُوبَهم وبُطُونهم — أو بُيُوتَهُم — نَاراً

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأَرْسلتْ بنُو مَخْزومٍ يطلُبون جِيفَةَ نَوْفَلِ بن عبد الله: يَشْتَرُونها، وأَعْطَوْا فيها عشرةَ آلافِ درهمٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّما هى جِيفَةُ حِمَار! وكَرِهَ ثمنَه، فخُلِّىَ بَيْنَهم وبَيْنَه. وفى روايةٍ أنَّ أبا سُفْيان بَعَثَ بِدِيَتِه مائةً من الإبِل، فأَبَى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فقال: خُذُوه، فإنَّه خَبِيثُ الدِّيَةِ خَبِيثُ الجُثَّةِ

اقتتال الطليعتين من المسلمين

وخَرَجتْ طَلِيعَتَان للمسلمين ليلاً فالتقيَا — ولا يَشْعرُ بعضُهم ببعضٍ، ولا يَظُنُّون إلَّا أنَّهم العَدُوّ — فكانتْ بينهم جِراحَةٌ وقتلٌ، ثم نَادَوْا بِشِعارِ الإسلام « حم لَا يُنْصرُون »، فكفَّ بَعْضهم عن بعضٍ. وجاءوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جِراحُكُمْ فى سَبِيل الله، ومن قُتِل منكم فإنَّه شهيدٌ. فكَانُوا بَعْد ذَلك إذا دَنَا المسلمون بعضُهم من بعضٍ نَادَوْا بِشِعارِهم

خبر الفتى الذى ذهب إلى أهله

وكان رجالٌ يَسْتأذِنون أن يَطْلُعوا إلى أَهْلِيهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنِّى أَخافُ عليكم بَنِى قُرَيظة. فإذَا أَلَحُّوا يقولُ: مَنْ ذَهَب منكم فَلْيأْخُذْ سِلاحَه. وكان فَتًى حديثَ عَهْد بعُرْسٍ، فأَخذ سلاحه وذَهَب، فإذَا امرأَتُه قائمةٌ بين البَابَيْن، فهيَّأَ لها الرُّمْحَ ليَطْعُنَها فقالت: اُكْفُفْ حتَّى ترى ما فى بَيْتِك! فإذا بِحَيَّةٍ على فِراشِه، فرَكَزَ فيها رُمْحَه فاضْطَربَتْ، وخَرَّ الفتى مَيِّتاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لمَّا أُخْبِر بذلك —: إنَّ بالمدينةِ جِنًّا قد

أَسْلَمُوا ، فإذا رأيتُمْ منهم شَيْئًا فَآذِنُوه ثلاثةَ أيَّامٍ ، فإنْ بَدَا لكُمْ بعد ذلك فاقْتُلُوه فإنَّما هو شَيْطانٌ

جوع المسلمين وخبر البركة فى الطعام

وكان المسلمُون قد أصابَهم مَجَاعةٌ شَديدةٌ ، وكان أَهْلُوهم يَبْعثُون إليهم بما قَدَرُوا عليهِ ، فأرسلت عَمْرةُ ابنةُ رَواحة ابنتَها بجَفْنةِ تَمْرٍ عَجْوةٍ فى ثَوْبِها إلى زَوْجِها بَشِير بن سَعْد بن ثَعْلَبة الأنصارىِّ ، وإلى أَخيها عبدِ الله بن رَوَاحة — فوجدتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى أصحابه فقال : تَعالَىْ يا بُنَيَّةُ ! ما هذا مَعَكِ ؟ فأَخبرَتْه ، فأَخذه فى كَفَّيه ونَثَره على ثَوْبٍ بُسِط له ، وقال لجَمَّال ابن سُراقَة : اصرُخْ ، يا أَهْلَ الخندقِ أَنْ هَلُمَّ إلى الغَدَاء . فاجْتَمعوا عليه يأكلون منه حتى صَدَرَ أَهلُ الخندق وإنّه لَيَفِيضُ من أَطْراف الثوب . وأرسلتْ أُمُّ مُعتِّبِ الأشْهَلِيَّةُ[1] بقَعْبة فيها حَيْس[2] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُوَ فى قُبَّته مع أُمِّ سَلَمة ، فأَكلَتْ حاجَتَها ، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هَلُمَّ إلى عَشَائِه ! فأكل أهلُ الخَنْدَقِ حتَّى نَهِلوا وهى كما هى

موادعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقامَ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه محصورِين بضعَ عشرة ليلةً حتى اشْتَدَّ الكَرْب ، وَقال صلى الله عليه وسلم : اللّهمَّ إنِّى أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَك ؛ اللّهم إنَّك إن تَشَأْ لا تُعْبَد . وأَرسَل إلى عُيَيْنة بن حصْن ، والحارثِ بن عَوفٍ — وهما رئيسَا غَطَفان — أن يَجعَل لَهُما ثُلُثَ ثمَرِ المدينةِ ويَرجِعَان بمن مَعَهُما ، فَطَلَبا نصفَ الثَّمَرِ فأبَى عليهمْ إلّا الثّلُثَ ، فَرَضِيَا . وجَاءا فى عشرة من قومِهِمَا حتى تَقَارَبَ الأَمْر ، وأُحْضِرت الصَّحِيفَةُ والدَّواةُ لِيَكْتُبَ عُثْمانُ بن عَفَّان رضى الله عنه الصُّلحَ — وعبَّادُ بن بشر قائمٌ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقَنَّعٌ

(١) لم أجد لها ترجمة ولا خبراً

(٢) القعبة : حقة مطبقة يوضَعُ فيها السويقُ والحيْس . والحيْسُ : من طعامهم متخذ من التمر والسمن والدقيق والفتيت يخلط بعضه ببعض

فى الحديد — ، فأقبل أُسَيْدُ بن حُضَيْر ، وعُيَيْنَةُ مادٌّ رِجْلَيه فقال له : يا عَيْنَ الهِجْرِس[1] ، اقبِضْ رجلَيْك . أَتَمُدُّ رجليكَ بَيْن يَدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لولا رسول الله لأنفَذتُ حِضْنَيْك بالرُّمح ! ثم قال : يارسول الله صلى الله عليكَ ، إن كانَ أمراً من السَّماءِ فامْضِ لَهُ ، و إن كان غَيْرَ ذَلك فوَالله لا نُعطِيهم إلاَّ السيْفَ . مَتَى طَمِعتُم بهذا مِنَّا ؟ فدَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن مُعاذ وسعدَ بن عُبادة فاسْتَشَارهما خُفْيَةً ، فقالا : [2] إنْ كان هذا أمراً من السَّماءِ فامْضِ له ، و إن كان أمراً لم تُؤْمَر فِيهِ ولَكَ فيه هَوًى فسمعٌ وطَاعةٌ ، و إن كان إنَّما هو الرأْىُ فَما لهم عندَنا إلا السيْف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنِّى رأيتُ العَرَب رَمَتْكُم عَنْ قَوْسٍ واحدةٍ فقلتُ أُرضِيهم ولا أُقَاتلُهم . فقالا : يا رسولَ الله ، والله إنْ كانوا لَيأْكلون العِلْهِزَ[3] فى الجاهلية من الجَهْدِ ، ماطمِعُوا بهذَا مِنَّا قَطُّ : أن يَأْخُذُوا ثمرَةً إلا بِشِرَاءٍ أو قِرًى ! فحِينَ أتَانا الله بكَ وأكْرَمَنا بك ؛ وهَدَانَا بكَ ، نُعْطى الدَّنيَّة ! لا نعْطِيهم أَبَداً إلا السيْفَ . فقال صلى الله عليه وسلم : شُقَّ الكِتَابَ . فشقَّه سعدٌ ، فقَام عُيَيْنَةُ والحارِثُ . فقال صلى الله عليه وسلم : ارجِعُوا ، بيْننا السيفُ — : رافعاً صوْتَه

خبر نعيم بن مسعود الأشجعىّ فى تخذيل الأحزاب

وكان نُعَيْمُ بن مَسْعُود بن عامر بن أُنَيْف بن ثَعْلبة الأشْجَعِىُّ صديقاً لبنى قُرَيْظة ، وقَدِم مع قومه من الأحْزاب حينَ أجْدَب الجَنَابُ[4] وهَلَك

(١) الهِجْرِس : ولد الثعلب ، وقيل ضرب دون الثعلب وفوق اليربوع . ويقال هو القِرِدُ

(٢) فى الأصل : « فقال »

(٣) العِلْهِزُ : وَبَر يخلطُ بدماء الحَلَم والقُراد والإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . كان أهل الجاهلية يتخذونه فى سنى المجاعة والقحط

(٤) فى الأصل : « حتى أحدب الحباب » ، ولعلّ الذى أثبتناهُ هو الصوابُ . والجنابُ : الناحية والمنزل

الخُفُّ والكُرَاع[١] ، فقذَف اللهُ فى قلبه الإسْلام . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيْلًا فأَسْلَمَ ، فأَمرَهُ أنْ يُخَذِّل الناسَ . وأَذِنَ له أن يَقُولَ[٢] . فتوجَّه إلى بنى قُرَيْظَة ، وأشار عليهم أَلَّا يُقَاتلوا مع قريش وغَطَفَانَ حتى يأخُذُوا منهم رُهُناً من أشْرَافهم فقَبلوا رأْيه ، واستكتَمهم مجيئَه إليهم . ثم جاء إلى أبى سُفْيان فى رجالِ قرَيش ، وأَعْلمهم أَنَّ قُرَيظةَ قد نَدِمَت على ما كان منها ، وأنَّهم رَاسَلُوا محمداً بأنهم يأخذونَ[٣] من أشراف قريشٍ وغَطَفَان سبعين رجُلا يُسْلِمُونَهُمْ[٤] إليه ليضْرِبَ أعناقَهم ، حتى يَرُدَّ بنى النَّضير إلى دِيارِهم ، ويكونُونَ معه حتى يردُّوا قريشاً عنه ، وأشَار عليهم أَلَّا يُجيبُوا قُرَيظة إلى إعْطاء الرُّهُن ، وسألهم كِتْمانَ أَمْرِه . ثم جاء إلى غَطَفَان وأَعْلمَهم عن بنى قُرَيْظة بما أَعْلَمَ به قريشاً عنهم، وحذرَهم أن يدفَعوا إليهم رُهُناً . فأرسَلتْ يَهُودُ عَزَّالَ[٥] بن سَمَوْأَل إلى قريش بأنَّ الثَّوَاء قد طال ولم يَصْنَعوا شيئاً ، والرأىُ أن يَتواعَدُوا على يومٍ تَزْحَفُ فيه قريشٌ وغَطَفَان وهُمْ ، ولكنَّهم لا يَخْرُجون لذلك معهم حتى يُرْسِلوا إليهم برَهائنَ من أشرافِهم ، فإنهم يَخافُون : إن أصابكُم ماتكرَهُون رَجَعْتم وتركتُمونا . فلم يرجِعوا إليهم بجواب . وجاءَ نُعَيْم إلى بنى قُرَيظة وقال لهم : إنّى عندَ أبى سفيان وقد جاءهُ رسولُكم يَطْلُب منه الرِّهانَ فلمْ يَرُدَّ عليه شيئاً ، فلما وَلَّى رسولُكم قال : لو طَلَبُوا منى عَنَاقاً[٦] ما رهَنْتُها ! فلا تُقاتِلوا معه حتى تَأْخُذوا الرُّهُن ؛ فإنكم إن لم تُقاتِلوا محمداً — وانصرفَ أبو سفيان — تكونُوا على مُوادَعَتِكم

(١) يريد : هلكتْ مواشيهم وأنعامهم
(٢) أى أن يقول ما يشاءُ إذا طلب الحيلة والخُدْعَة
(٣) فى الأصل : « يأخذوا »
(٤) فى الأصل : « يسلموهم »
(٥) فى الأصل : « غزال »
(٦) العَناق : الأنثى من أولاد المِعْزى إذا أتت عليها سنة

الأولى . فلما كان ليلة السبت بعثَ أبو سفيان بعِكْرِمة بن أبى جَهْلٍ إلى بنى قُرَيظة أن يَخْرُجوا غداً لِيُناجِزُوا محمداً جميعاً ، فقالوا : إن غداً السَّبْتُ ، لا نُقاتل فيه ولا نَعمل عملاً ، وإنّا مع ذَلك لا نُقاتِل مَعكم حتى تُعْطُونا رِهاناً من رجالكم لئلا تَبرَحُوا ، فإنا نَخْشَى إن أصابَتْكم الحرْبُ أن تُشَمِّروا[1] إلى بلادكمُ وتدَعونا إلى محمدٍ ، ولا طاقَةَ لنا به . فتحقّقتْ قريشٌ صِدْقَ ما قال لهم نُعَيْم . وأرسلَتْ غَطَفان إلى بنى قرَيْظة بمَسْعود بن رُخَيْلة فى رجالٍ بمثلِ ما راسلَهُم أبو سفيان ، فأجابوهم بمثْلِ[2] ما أجابُوا عِكْرِمةَ . فتحقّقَتْ غَطَفان وبنُو قُرَيظة ما قاله نُعيْم ، ويئس كلٌّ منهم من الآخر ، واختلفَ أمْرُهُم

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلُومُونَ حُيَيَّ بن أَخْطب ، فأتَى بنى قرَيظة فلم يجد منهم مُوَافقةً له ، وأبَوْا أنْ يُقاتلوا مع قريشٍ حتى يَأخذوا سَبعين رجلاً من قُرَيش وغَطَفان رِهَاناً عندهُم

دعاءُ رسول الله على الأحزاب وهبوب الريح عليهم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعا على الأحزابِ فقال : اللهُمَّ مُنَزِّلَ الكتابِ ، سَرِيعَ الحِساب ، اُهْزِمِ الأَحزَابَ ، اللهُمَّ اُهْزِمْهُم . وكان دعاؤه عليهم يوم الاثْنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستُجِيبَ له بين الظُّهر والعصرِ يوم الأربعاء ، فعُرِفَ السُّرور فى وَجْهه . فلمّا كان ليلة السبت ، بعثَ اللهُ الرِّيحَ على الأحزابِ حتى ما يكادُ أحدُهم يَهْتَدِى لموضعِ رَحلِه ، ولا يَقِرُّ لهم قِدْرٌ ولا بِناء . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى إلى أنْ ذَهَب ثُلُثُ الليل . وكذلك فَعَلَ لَيْلَةَ قَتْلِ كعْب بن الأشرَف . وكان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ الأمرُ أكثرَ من الصلاة

(١) شمَّر إلى بلده : تهيأ لخفَّ فرَّ فأسرعَ السيرَ

(٢) فى الأصل : « بمثل ماما »

خبر الريح، وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعثَ حذَيْفةَ بن اليمان رضى الله عنه لينظرَ ما فعل القومُ وما يقولون . فدخل عسكرَهم فى ليلة شديدة البَرْد فإذا هُم مُصطَلُون على نارٍ لهم والرِّيحُ لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا بناءً ؛ وهم يَشْتَوِرُون[1] فى الرَّحيل حتى ارْتَحلُوا . وأقام عمرُو بن العاص وخالدُ بن الوليد فى مائتى فارس جَرِيدَةً[2] . ثم ذَهَب حذَيْفةُ إلى غَطَفَان فوجدَهم قد ارتحلُوا ؛ فأخبرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بذلك . فلما كان السَّحَرُ لَحِقَ عَمرٌو وخالدٌ بقريشٍ ، ولَحِقَت كلُّ قبيلةٍ بمحلَّتِها[3] .

مدة حصار الخندق

فكانت مدةُ حصار الخَنْدَق خمسةَ عشر يومًا ، وقيل عشرينَ يوماً ، وقيل قريبًا من شهر . وأصبحَ صلى الله عليه وسلم بعدَ رحيل الأحزاب ، فأذِنَ للمسلمين فى الأنْصراف ، فلَحِقوا بمنازِلهم

كتاب أبى سفيان إلى رسول الله ، ورد رسول الله

وكتبَ أبُو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا فيه : « باسمِكَ اللَّهُمَّ . فإنى أحلِفُ باللاَّتِ وَالعُزَّى ، لقَد سرتُ إليك فى جَمْعِنا وإنَّا نُريدُ أَلاَّ نَعُودَ[4] أبداً حتى نَستأصِلَكم[5] ، فرأيتُكَ قد كرِهْتَ لقاءَنا ، وجَعَلْتَ مَضايِق وخَنادِقَ ؛ فلَيْتَ شِعرى من عَلَّمك هٰذا ؟ فإنْ نَرْجِعْ عنكمُ فلكمُ منَّا يومٌ كيومِ أُحُدٍ » . وبعثَ به معَ أبى أُسامة الجُشَمِىّ ، فقرأه أُبَىُّ بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قُبته ، وكتب إليه : « من محمدٍ رسولِ الله إلى أبى سفيان بن حرب . أمَّا بَعْد ، فقديماً غرَّك بالله الغرُور . أمَّا ما ذكرتَ —

(١) قلنا قبل إنها عامية ، يتخذها المؤلف مكان « يتشاورون » ، انظر ص (٥٦) و (١٣١) و (١٦٧)

(٢) يقالُ : « خيل جريدة » : لا رجّالة فيها

(٣) المحلة : منزل القوم حيث يحُلون

(٤) فى الأصل : « ألا نعودَ إليك » ، والصوابُ حذف « إليك » ، وإلاّ فسَد المعنى

(٥) فى الأصل : « نستأصلهم »

أَنَّك سِرْتَ إلينا فى جمعكم، وأنَّك لا تُريدُ أَنْ تعُودَ حتى تَسْتَأْصِلَنا — فذلكَ أمرٌ يَحُولُ اللهُ بينَك وبينهُ ، ويجعلُ لنا العاقبةَ حتى لاتَذْكر اللَّاتَ والعُزَّى . وأما قولُك : مَنْ عَلَّمَكَ الذى صنَعْنا من الخَنْدَق ؟ فإنَّ اللهَ أَلْهَمَنى ذلك لِمَا أَرَاد من غيْظِك وغيْظِ أصحابك ؛ وليأْتِيَنَّ عليك يومٌ تُدَافعُنى بالرَّاحِ ، وليأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ أَكْسِرُ فيه اللَّاتَ والعُزَّى وإِسَافَ ونَائِلَةَ وَهُبَلَ[1] ، حتى أُذَكِّرَك ذلك»

وُيقالُ كان فى كتاب أبى سفيان : « ولَقَدْ عَلِمْتَ أنى لَقِيتُ أَصحابك نَاجِياً[2] وأنَا فى عيرٍ لِقُرَيش فما خَصَّ أصحابَكَ مِنَّا شَعْرَةٌ ، ورَضُوا منَّا بمُدَافعتنا بالرَّاح . ثم أقبلتُ فى عيرِ قُرَيش حتى لقيتُ قَوْمى — فلَمْ تَلْقَنا — فأوقعْتَ بقَوْمِى ولَمْ أَشْهَدْها من وقعةٍ . ثم غزَوْتكمُ فى عُقْرِ دَارِكم فقتلْتُ وحرَّقتُ [يعنى غزْوَةَ السَّوِيقِ] . ثمّ غزوتُك فى جَمْعنا يومَ أُحُدٍ ، فكانتْ وَقعتُنا فيكُمْ مثلَ وَقعتِكم بنا ببَدْرٍ . ثمّ سِرْنا إليكم فى جمعنا ومَنْ تَأَلَّبَ إلينا يومَ الخَنْدق ، فلزِمتُمُ الصَّيَاصِى وخَنْدقتُم الخنادِقَ »

ماانزل من القرآن فى شأن الخندق

وأنزَل الله تعالى — فى شأْن الخندق يذكُرُ نعمَتَه وكِفَايتهُ عدُوَّهُمْ، بعد سُوء الظَّنِّ منهُم ، ومَقَالَةَ من تكلَّم بالنِّفاق — قوله عزّ وجلَّ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليْكُمْ إذْ جَاءتكمُ جُنُودٌ فَأَرسَلْنَا عليهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لم تَرَوْها وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصيراً » (الأحزاب : ٩) الآيات (من ٩ — إلى ٢٧)[3]

ذكر من قتل من المسلمين

وقتِل منَ المسلمين يومئذٍ ستَّةُ نَفَرٍ ، ثلاثةٌ من بَنِى عبد الأشهل هم : سَعدُ بن مُعاذ ، وأَنَسُ بن أَوْس بن عتيك بن عمرو ، وعبْدُ الله بن سهل ؛ واثنَان من بنى

(١) هذه أسماء أصنام كلها

(٢) فى الأصل : « باصا »

(٣) فى الأصل : إلى قوله تعالى : « لم تروها ، الآيات »

جُشَم بن الخزْرَج ثم من بنى سَلَمَة هما : الطُّفَيْل بن النُّعمان ، وثعلَبةُ بنُ عنمَةَ[١]؛ وواحد من بنى النجَّار ثم من بنى دينار [هو][٢] : كعْبُ بن زَيد أصابه سهمٌ غَرْبٌ فقتَلَه[٣] . وقُتل من المُشركين ثلاثةُ نَفَرٍ هم : مُنبِّه بن عثمان بن عبَيْد بن السبَّاق بن عبد الدَّار أصابه سهم فماتَ منهُ بمكةَ ، ونَوْفَل بن عبد الله بن المُغيرة ابن مَخْزوم ، وعَمْرو بن عبْد وُدٍّ قتله على رضى الله عنه . ولم تَغْزُ كُفارُ قريش المسلمين بعد الخَنْدَق

من قتل من الكفّار

غزوة بنى قريظة

ثم كانت غزوَةُ بنى قُرَيْظة : خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأرْبعاء لسبع خَلَوْنَ من ذى الحجة سنة خمس ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحَصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وقيل خمسة عشر يوما ، وقيل شهراً .

سببها

وسببُ ذلك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما رَجَع من الخَنْدَق دخل بيْتَ عائشةَ رضى الله عنها[٤] فاغْتَسل ، ودَعا بالمِجْمَرَةِ ليَتَجَمَّرَ[٥] ، وقد صلَّى الظُّهر . فأتاهُ جِبْرِيل عليه السلام وقتَ الظُّهْر — على بَغْلةٍ عليها رِحَالةٌ ، عليْها[٦] قَطِيفةٌ ، وعلى ثَنَاياه النَّقْعُ[٧] — فوَقفَ عند مَوْضع الجَنَائز فنادَى : عَذِيرَكَ[٨] من مُحَارِب . فخرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَزِعًا ، فقال : أَلَا أَرَاكَ وضَعْتَ اللَّأْمة ولم تَضَعْها الملائكةُ بعدُ ؟ لقدْ طَرَدناهم إلى حَمْراءِ الأسَد . إنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تَسيرَ إلى بَنى قُرَيظَة ، فإنّى عامدٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم حُصونَهم . [ويقال

(١) فى الأصل : « غنمة »
(٢) زيادة
(٣) غرْب : أى لا يعرفُ رامِيه ، أو أتاهُ من حيثُ لا يدرى
(٤) فى الأصل : « عنه »
(٥) المِجْمرة : التى يوضع فيها الجمرُ والبخورُ . ويتجمَّر : يتبخّر بالعود
(٦) فى الأصل : « وعليها » . وهذه أولى وأجود
(٧) النقعُ : الغُبَار
(٨) عذيرَك : أى هات مَنْ يعذرك وينصرك ، وهو هنا تنبيه وتحذير

الخروج إلى قريظة

جاءه على فرَسٍ أَبْلَق] . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضى الله عنه فدَفَع إليه لِواءه ، وكان اللِّواء على حالِه لم يُحلَّ من مَرْجِعه من الخَنْدق . وبعث بلالًا رضى الله عنه فأذَّن فى الناس : إنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم يأمُرُكم ألَّا تُصَلُّوا العصْرَ إلَّا فى بنى قُرَيْظة

وعن قَتَادة قال : بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذٍ مُنَاديا : يا خَيْلَ الله ارْكَبى . ولَبس الدِّرْع والمِغْفَر والبَيْضَةَ ، وأخذَ قَنَاةً بيدَه ، وتقلّد التُرْسَ ، وركِب فرسَه . وحَفَّ به أصحابه وقد لبِسُوا السِّلاح وركبُوا الخَيْل : وكانت ستّة وثلاثين فرساً ، وكانت له صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ أفْراسٍ معه . وقيل خرَج صلى الله عليه وسلّم وهو راكبٌ على حِمارٍ عُرْى[1] . وسارَ فمرَّ بنفَرٍ من بنى النَّجَّار قد صَفُّوا وعليهم السِّلاحُ ، فقال : هَلْ مَرَّ بكمْ أحدٌ قالوا : نعم ! دِحْيَةُ الكَلْبىُّ ؛ مرَّ على بَغْلة عليها رِحَالةٌ ، عليْها[2] قَطيفَةٌ من إستَبْرَق ، فأمرنا بلُبْسِ السِّلاح ، فأَخَذْنا سلَاحنا وصَفَفنَا ، وقال لنا : هَذا رسول الله يَطْلُع عليكمُ الآنَ! فقال : ذلكَ جِبريل

وصول علىّ إلى حصن بنى قريظة وسفاهة يهود

وانتهَى إلى بنى قُرَيْظة ، وقد سبَق علىٌّ فى نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار ، وغَرَزَ الرَّاية عند أصْل الحِصْن . فاستقبلهم يَهُودُ يَشْتُمُون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجَه ، فسكَتَ المُسْلمون وقالوا : السَّيفُ بيننَا وبينَكم . فلما رأى علىٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجَع إليه ، وأمرَ أبا قتَادة الأنصارى أن يَلزَم اللِّوَاء

مسيره إليهم وما قاله

وسارَ صلى الله عليه وسلم إلى يَهُودَ ، وقال يومئذٍ : الحرْبُ خُدْعَةٌ .

(١) حمار عُرْى ، وفرس عُرْى : لا سَرْج عليه

(٢) فى الأصل : « وعليها »

وتقدَّمه أُسيْد بن حُضَيْر فقال : يا أعداءَ الله ! لا نَبْرَحُ حصْنَكُمْ حتى تموتُوا جُوعا ، إنما أنتُمْ بمنزلة ثَعْلَب فى جُحْرٍ . قالوا : يا ابْنَ الحُضَيْر ! نحْنُ مَوَاليكَ دونَ الخزرَج ! وخارُوا . فقال : لا عَهْدَ بَيْنى وبينكم ولا إلّ[1] . ودَنَا صلى الله عليه وسلم منهم وقد تَرَّس عنه أصحابه . فقال : يا إخوَةَ القِرَدَةِ والخَنَازِيرِ وعَبَدَةَ الطَّوَاغيت ! أتشْتُمُونِّى ؟ فجعلوا يَحلِفون : ما فَعَلنَا ! ويقولون : يا أبَا القاسم ما كُنْتَ جَهُولاً ! وتقدَّمَتِ الرُّماةُ من المسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقَّاص : يا سعْد ، تَقَدَّمْ فارمِهِمْ . فرَماهم والمسلمُون ساعةً ، ويهودُ تُرَاميهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ على فرَسه فِيمَن مَعه ، ثم انصرفُوا إلى منازِلهم . وبَاتُوا وقد بعثَ إليهم سعد بن عُبادة بأحمالِ تمْرٍ فأكلوا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأكلُ منه : نِعمَ الطعامُ التمرُ

تقدم الرماة ، وبدءُ المراماة

واجتمع المسلمُون عنده عِشَاءً ؛ ومنهم من صلَّى ، ومنهم من لم يُصَلِّ حتَّى جَاء بَنِى قُرَيظةَ ، فما عابَ على أحدٍ من الفَرِيقين . ثم غَدَا سَحَراً وقدَّم الرُّماةَ وعَبَّأَ أصحابَهُ ، فأحاطوا بحُصونِ يهود ورَامَوْهم بالنَّبْل والحِجارة وهم يَرْمُون من حُصُونهم حتى أمسَوْا ، فباتُوا حول الحُصون . فنزل نَبَّاشُ بن قَيْس وَكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم : على أنْ ينْزِلوا على ما نزَلَتْ عليه بنُو النَّضِير : لهُ الأموالُ والحَلْقَة ، ويَحْقِنُ دمَاءهم ، ويخرُجُون من المدينةِ بالنِّساء والذَّرَارِىِّ ، ولهُمْ ماحملتِ الإبل إلا الحلْقَة ؛ فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حُكْمِه . وعادَ نَبَّاشٌ إليهم بذلك ، فأشار عليهم كعبُ بن أسَدٍ بأنْ يدخُلُوا فِى الإسلام ، وذكَّرهم بما عنْدهم من العِلْمِ بنُبُوَّته ، فلم يقْبَلوا رَأْيه . فأشَار عليهم أن يَقْتُلوا أبْنَاءهم ونِساءهم ثم يَخْرُجوا فيقَاتِلُوا حتى يُقْتَلوا أو يَظْفَرُوا ، فأبَوْا ذلك . فأشار عليهم

تعبئة المسلمين حول الحصون

مفاوضة يهود للصلح

مشورة كعب بن أسد اليهودى

(١) الإلّ : العَهْد والحلف والقَرَابة والجِوار

أَن يَخْرُجُوا ليْلة السبتِ والمُسلمون آمِنون فَيُبَيِّتُونهم فقالوا : لا نُحِلُّ السَّبْتَ . واختلفوا ونَدِموا على ما صَنَعُوا

ذكر من أسلم من يهود يوم بنى قريظة

ونزل منهم [ثَعْلَبة بن سَعْيَة ، وأُسَيْدُ بن سعْيَة] (١) ، وأَسَدُ بن عُبَيْد وأسلموا ؛ وأَمَّنُوا عَلَى أنفسِهم وأَهْليهم وأَمْوَالهم . ونزل عَمْرو بن سُعْدَى ، [وكان أَبَى أن يدخُلَ مع بنى قُرَيْظَةَ فى غَدْرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لَا أَغْدِرُ بمحمّدٍ أبداً . فبات فى مَسْجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة . ثم ذَهب] (٢) فَلم يُدْرَ أَيْنَ هُوَ ! وقيل : [إنه كانَ أُوثِقَ برُمَّةٍ فيمنْ أُوثِقَ من بنى قُرَيْظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَصْبَحت رُمَّته مُلْقَاة ولا يُدْرى أَيْنَ ذَهَب !] (٣)

خبر أبى لبابة فى مشورة اليهود

فلمَّا اشتَدَّ عليهم الحصارُ طلبوا أبا لُبَابة بن عبد المُنْذِر (٤) ، فدخَل عليهم فقالوا له : مَا تَرَى ؟ إنَّ مُحَمَّدا قد أَبَى إلَّا أَن نَنْزِل على حكْمِه ! قال : فَأَنْزِلوا . وأومأ إلى حَلْقِه ، هو الذَّبْح ، ثم نزل — والنَّاس يَنْتَظرونه — وقد نَدِم على مَا كان مِنْهُ ، فمرَّ على وجهه حتَّى ارتبطَ فى المَسْجِد إلى سارِيَةٍ . وبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما صَنَع وذَهَابُه ، فقال : دَعُوه حتَّى يُحْدِث اللهُ فيه ما يشاء ، ولوْ جَاءنى استغفَرْتُ له ، وأَمَّا إِذْ (٥) لم يَأْتِنِى وذَهَب فدَعُوه . فكان كذلك

(١) فى الأصل فى مكان ما بين القوسين : « ثعلبة بن أسيد ابنا سعيد » ، وقال ابن إسحاق بعد ذكر هؤلاء الثلاثة « وهمْ نفر من هَدَل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبُهم فوق ذلك : هم بنو عم القوم » ج ٢ ص ٦٨٧

(٢) فى الأصل : « ونزل عمرو بن سعدى فلم يدر أين هو » . وهذا قول غير بيّن فاستوفيناه من ابن هشام ج ٢ ص ٦٨٧

(٣) فى الأصل : « وقيل وجدتْ رمته » فاستوفيناه من ابن هشام ج ٢ ص ٦٨٨ ، والرُّمَّة : قطعةُ حَبْل يُشَدّ بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القتل للقصاص

(٤) وذلك أنهم كانوا حلفاء أبى لبابة ، وكان لهم نصيحاً ، فرقَّ لهم حين استشاروه

(٥) فى الأصل : « إذا »

خمس عشرة ليلةً ، — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على القِتَال ، فاستعمل بَدَله أُسَيْد بن حُضير — ولم يزَلْ مُرْتَبِطاً حتى تابَ الله عليه ، وأنزَلَ فيه : «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عملاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عليهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (التوبة : ١٠٢)[١] . ويقال نزَلت : «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأنتُمْ تَعْلَمُونَ»(الأنفال: ٢٧)[٢] . ويقال نزلتْ فيه : « يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» (المائدة : ٤١)[٣] . والأوّل أثبتُ .

نزول بنى قريظة على حكم رسول الله . وكتائبهم وما وجد عندهم

ثم نزلتْ يهودُ على حكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بأسْراهم فكُتِّفوا رِبَاطاً — وجَعَل على كِتَافِهم محمَّدَ بن مسلمة — ونُحُّوا نَاحِيَةً ، وأَخْرج النِّساء والذّرِّيةَ من الحصُون فكانوا ناحيةً ، واستَعْمل عليهم عبد الله بن سلَامٍ . وجُمِعَت أمْتِعَتُهم وما وُجِد فى حصونهم من الحلْقة والأَثَاث والثياب ، فوُجد فيها ألفُ وخمسمائة سيف، وثلاثمائة دِرْع ، وألفَا رُمْح ، وألف وخمسمائة تُرْس وحَجَفَة، وأثاثٌ كثيرٌ وآنيةٌ كثيرةٌ ، وخمرٌ وجِرَارُ سَكَرٍ[٤]، فهُريقَ ذلك كلّه[٥] ولم يُخمَس . ووُجِدَ من الجمال النَّواضحِ[٦] عِدَّةٌ ، ومن الماشيةِ شىءٌ كثيرٌ ، فجُمِع هذا كلّه

طلب الأوس حلفاءهم بنى قريظة

وطلبتِ الاوْسُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَهَبَ لهم بنى قُرَيْظة

---

(١) فى الأصل : « ... يتوب عليهم ، الآية »
(٢) فى الأصل : « ... والرسول ، الآية »
(٣) فى الأصل : « بأفواههم ، الآية »
(٤) السكر : النبيذ من التمر أو غيره مما يُسْكِر
(٥) فى الأصل : « كلها »
(٦) النواضح جمع ناضح : وهو البعير أو الحمارُ أو الثور الذى يُسْتَقَى عليه الماء

تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة

فإنَّهُم حُلَفاؤُهم ، كما وَهَب لابْنِ أُبَيٍّ [بنى] قَيْنُقَاع[1] حُلَفاءَهُ. فقال : أما تَرضَوْن أن يَكُون الحُكْمُ فيهم إلَى رَجُلٍ مِنْكُم ؟ قالوا : بَلى ! قال : فذَلِك إلى سَعْد ابن مُعاذٍ . . وسعدٌ يومئذٍ فى المَسْجد فى خَيْمةِ رُفَيْدة ؛ ويقال كُعَيْبَة[2] بنت سَعد بن سعد بن كَعْب بن عبدِ الأَشْلَيَّة ، وكانت تُدَاوى الجَرْحى وتَلُمُّ الشَّعَثَ ، وتَقُوم على الضَّائع الَّذى لا أَحَد لَهُ ، وكانَ لها خَيْمةٌ فى المَسْجد ، وكان رَسُول الله صلى الله عليه وسلم جَعَل سَعْد بن مُعَاذٍ فيها مُنْذُ جُرِح . فخرجت الأَوْس فحملوه على حِمَارٍ ، وجَعَلوا وهم حَوْلَهُ يقولُون له : يا أَبَا عمرٍو ! إنّ رسولَ الله قد ولاَّكَ أَمْرَ مَواليك لتُحْسِنَ فِيهم فأَحْسِنْ ، فقد رأيتَ ابنَ أُبَيٍّ وما صَنَع فى حُلَفائه . وأَكثرُوا فى هذا وشِبْهه ، وهو لا يَتكلَّم ، ثم قال : قد آنَ لسَعْدٍ أَلاَّ تَأْخُذَه فى الله لَوْمةُ لائِمٍ . فقال الضَحَّاكُ بن خَلِيفَة بن ثَعْلبة بن عَدِىّ بن كَعْب ابن عَبْد الأَشْهل الأَنْصارىُّ : وَاقَوْمَاهْ ! وقال غَيْرُه منهم نَحْوَ ذلك ، ثم رَجَع إلى الأَوْس فنَعَى لَهُمْ قُرَيْظَة . فلما جاء سعدٌ إلى رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم والنَّاسُ حَوْله قال : قُوموا إلى سَيِّدِكُم ! فقامُوا له على أَرْجُلهم صَفَّين يُحَيِّيه كلٌّ منهم . [ويقال إنّما عَنَى صلى الله عليه وسلم بقوله : « قوموا لسَيِّدكم » الأَنصارَ دون قريش] . وقالت الأوس الَّذين حَضَروا : يا أبا عَمْرو ! إنَّ رسولَ الله قد ولاَّكَ الحُكْمَ فأَحْسِنْ فيهمْ ، واذْكُر بَلاءَهُم عندك . فقال سعدٌ : أترضَوْن بحُكْمى لِبَنِى قُرَيْظَة ؟ قالوا : نعم ! فأَخَذَ عليهم عَهْدَ الله ومِيثاقَه أَنَّ الحُكْمَ ماحَكَمَ ، ثم قال : فإنِّى أَحْكُمُ فِيهم أنْ يُقْتَلَ من جَرَتْ عليه المَواسِى ، وتُسْبَى النِّساء والذُّرِّيَّة ، وتُقْسَمَ الأَموالُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خيمة رفيدة التى كانت تداوى الجرحى

قدوم سعد وحكمه فى بنى قريظة

(١) زيادة للإيضاح

(٢) فى الأصل : « كفيتة »

لقد حَكَمْت بحُكْم اللهِ من فَوْق سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ(١)

خبر قريظة بعد حكم سعد ، وما جرى فى قتلهم

فأَمَرَ بالسَّبْيِ فَسِيقُوا إلى دَارِ أُسَامة بن زَيْد ، والنِّساء والذُّرِّيَّةُ إلى دَارِ ابْنَةِ الحارثِ ؛ وقد اختلف فى اسْمِها فقيل : كَبِيشَةُ بنتُ الحارث بن كُرَيْز بن [رَبيعة](٢) بن حُبَيْب بن عبد شمس ، وكانت تَحْتَ مُسَيْلمة الكَذَّاب ، ثم خَلَف عليها عَبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز . وأمر بأَحْمال التَّمْر فَنُثِرَتْ على بَنِي قُرَيْظَة ،فباتوا يَكدُمُونها كَدْمَ الحُمُر(٣) . وأَمَرَ بالسِّلاح والأَثَاثِ والمَتَاع والثِّيابِ فَحُمِل ، وبالإبل والغَنَمِ فتُرِكَت(٤) هناكَ تَرْعى الشَّجَر . ثم غدَا صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المَدِينة فى يوم الخميس السَّابع من ذى الحجة والأَسْرَى مَعَه ، وأتى إلى السُّوق ، فأمر بخُدُودٍ فخُدَّت(٥) ، وحفَر فيها هو وأصحابُه ، وجلس ومعه عَلِيٌّ أصحابه ، ودَعا(٦) برجالِ بنى قُرَيظَة فكانوا يخرجون أرْسَالاً تُضْرَبُ أَعناقُهم .

مقالة حيي بن أخطب عند قتله

وكان الَّذِين يَلُون قتْلَهم عليٌّ والزُّبَيرُ رضى الله عنهما . ولما جِئَ بعَدُوِّ اللهِ حُيَيِّ ابن أَخْطب [بن سَعْيَة بن ثَعلَبة بن عُبَيد بن كعب بن الخَزْرج بن أبى حبيبِ ابن النَّضِير بن النَّحام بن نَاخوم من بنى إسرائيل من سبْط لاَوِى بن يَعقوب ، ثم من ولد هارون بن عِمران أخى موسى صلى الله عليه](٧) ، قَال له رسولُ الله

(١) فى الأصل : « سبع أرقعة » ، والرواية ما أثبتناه ، وقد قالوا : جاء به على التذكير كأنه ذهب إلى معنى السقف . والأرقعةُ : السموات ، جمع رَقِيع وهى السماء تليها السماء كأنها ترقَعُها طَبَقاً بعدَ طبَق

(٢) هذه الزيادة من نسب « عبد الله بن عامر بن كريز » ، إذا صحّ أنها ابنة عمّه

(٣) كَدَم يكدِم : قبض على الشىء بأدنى فمه يعَضّه ويقضمُه كما يكدم الحمار . وكان ذلك فعلهم إذ كانوا فى كِتَافهم ، لا تخلص إلى التمر أيديهم

(٤) فى الأصل : « فبركت »

(٥) الخدود جمع خَدّ ، كالأخدود : الحفرة فى الأرض ، وخدَّه يَخُدّه : حفره

(٦) فى الأصل : « دعى »

(٧) فى الأصل فى مكان ما بين القوسين فى نسب حيي بن أخطب « بن رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن نجم بن عدى بن أشرس بن شيث بن السكون » . =

صلى الله عليه وسلم : أَلَم يُمَكِّن اللهُ منكَ يا عَدُوَّ الله ؟ فقال : بلى ! والله ما لُمتُ نفسى فى عداوتك ، ولقد التَمستُ العزَّ فى مَظَانِّه ، وأبَى اللهُ إلاَّ أن يُمَكِّنَك مِنّى ، ولقد قَلْقَلْتُ كل مُقَلقَلٍ ، ولكنَّهُ من يخذُلِ اللهُ يُخذَلِ . ثم أقبل على الناسِ فقال : أيها الناس ! لا بَأْسَ بأمرِ الله ، قدَرٌ وكتَابٌ ، مَلْحَمةٌ كُتِبَت على بَنى إسرائيل ! فأمَرَ فَضُرِبت عنُقه . ثم أُتِىَ بعَزَّال[1] بن سَمَوأَل ، ونَبَّاش ابن قَيسٍ فضرِبت أعناقُهُما . وقد جابَذَ[2] نَبَّاشٌ الذى جاء به ، حتى قَاتله ودَقَّ أنفَه فأرعفَه[3] ، فقالَ صلى الله عليه وسلم لِلَّذى جاء به : لِمَ صَنَعت به هذا ؟ أما كان السَّيفُ كفايةً ! ثم قال : أحسِنوا إسارَهُم ، وقَيِّلُوهم وأسقوهم[4] ، لا تجمعوا عليهم حرَّ الشمس وحرَّ السلاح . وكان يوماً صائفاً ، فقيَّلُوهم وسقَوْهم وأطعموهم ؛ فلما أبرَدُوا راحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقتل من بَقِى منهم

أمر رسول الله بالاحسان إلى الأسرى

وسألت أم المنذر سَلْمى بنت قَيْس بن عمرو بن عُبَيْد بن مالك بن عَدِىّ بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النّجّار الأنصارية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى رِفاعة بن سَمَوْأَل فقال : هو لكَ ؟ فأَسْلم . وجاء سعدُ بن عُبادة والحُباب بن المُنذر فقالا : يا رسول الله ، إنّ الأوسَ قد كَرِهت قَتْلَ بنى قُرَيظة لِمكان حِلفِهم . فقال سعد ابن مُعاذ : ما كَرِهه من الأَوْس أحدٌ فيه خيرٌ ، فمن كَرِهَهُ فلا أرضاه الله . فقام أُسيد بن حُضَيْر فقال : يا رسولَ الله ، لا تَبْقَيَنَّ دارٌ من دُور الأوس إلاَّ فرَّقتهم فيها . ففرقهم فى دور الأنصار فقتَلوهم . وضرَبَ رسول الله عُنُق كَعْب بن أسد بيْنَ

إسلام رفاعة بن سموأل

كراهة بعض الأوس قتل قريظة ، ثم تفريق الأسرى فى الأوس

وهذا تخليط كله . وقد نقلنا لك نسبه من نسب أم المؤمنين زوج رسول الله « صفية بنت حيي ابن أخطب » رضى الله عنها

(١) فى الأصل « بغزل »

(٢) جابذ : جاذب

(٣) أرعفه : أسال الدم من أنفه ، والرعاف : سيل الدم منه

(٤) قيَّلوهم : أريحوهم بالقيلولة ، وهى راحةُ نصف النهار عند حرّ الشمس

قتل بنانة اليهودية وسببه

يَدَيه . وأمر ببُنَانَة امرأةِ الحَكَم القُرظىّ — وهى من السَّبْى — فقُتِلَت، لأنها ألقَتْ من حِصْن الزُّبَيْر بن باطَا رَحًى[1] بإشَارةِ زَوْجها عَلَى نفرٍ من المُسْلمين كانوا يَسْتَظِلون فى فَيئِه ، فشَدَخَتْ رأْسَ خَلَّادِ بن سُوَيْد بن ثَعْلبة بن عمرو بن حارِثة بن امْرِئ القيس بن مَالك الأغَرّ فماتَ . وأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَتل كل من أنْبَتَ مِنْهُم ، وتَرْك من لم يُنْبِتْ ، وتَمادَى القَتْلُ فيهم إلى اللَّيل فقُتِلوا عَلَى شُعَلِ السَّعَفِ ، ثم رُدَّ عليهم التُّرابُ فى الخنادق . وكانَ من شُكَّ فيه منهم أنْ يكونَ بَلَغ ، نُظِر إلى مُؤْتَزَرِه : فإن كَان أنْبَت قُتِل ، وإلاَّ تُرِك فى السَّبْى . وكانوا ستمائة ، [وقيل مابين الستمائة إلى السبعمائة ، وقيل كانوا سبعمائة وخمسين] ، ولمَّا قُتِلوا صَاحَتْ نِساؤُهم ، وشَقَّتْ جُيُوبها ، ونَشَرَتْ شُعُورَها ، وضَرَبَتْ خُدُودَها ، وملأتِ المدينةَ

قتل كل من أنبت ، وبكاء نساء يهود

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثَابتُ بن قَيْس بن شمَّاس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الزُّبَيْر بن بَاطَا فقال : هو لكَ . فلم يَرْضَ بالحياةِ وطَلَب أنْ يُلْحِقوه بأَحِبَّتِه ، فضرَبَ الزُّبَيْرُ بن العَوّام عُنُقَه . وطَلَبَ ثابتُ بن قَيْس أهلَه وولده فرُدُّوا إلَيْه إلاَّ الحَلْقَة ، فكانوا مع آل ثَابت بن قيس . وأخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَيْحَانَةَ بنتَ زيدٍ لنفسه صَفِيًّا وعَزَلَها حتى تُسْلِم ، فما زالَ بها [ثَعْلبة بن سَعْيَة][2] حتى أسلمت ، فبعثها إلى بيت أمِّ المنذر سَلْمى بنت قَيْس حتَّى حاضَتْ ثم طَهُرَتْ . فجاءها وخَيَّرها : أُعْتِقُها وَيَتزَوَّجها أو تَكون فى مِلْكِه يَطَؤُها بالمِلْك ؟ فاخْتارت أن تكونَ فى مِلْكه ، وقيل أعْتَقَها وتزَوَّجها

إسلام ريحانة بنت زيد

(١) فى الأصل بعد قوله « باطا » راء مفردة فى آخر السطر ، وفى أول السطر الذى يليه ألف موصولة هكذا (ا) ، وأول هذا السطر ضائع فى التصوير الشمسى ، ولعلّ الكلمة هى « رَحاً » كما كتبنا

(٢) فى الأصل مكان بين القوسين : « ابن سعيد »

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر بالمتاع فبيع في مَنْ يَزِيدُ ، وبيع السَّبيُ ، وقُسِمت النَّخْل أسهُماً . وكانت الخيلُ ستًّا وثلاثين فرساً ، فأسهَمَ : للفرس سهمان ، ولصاحبه سهمٌ ، وللراجل سهم . وقادَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثَلاَثَةَ أفْراس فلم يَضْرِب إلاَّ سهماً واحداً . وأسهَم لخَلَّاد بن سُوَيْد بن ثَعلبة بن عَمْرو ، وقد قُتل تحتَ الحِصْن طُرِحت عليه رَحًى فَشدَختْه شدْخًا شَدِيداً . وأسهم لأبي سِنان بن مِحْصن [واسمه وَهب بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن وَهب ، ويقال عامر ؛ ولا يصحّ ، ويقال . اسمُه وَهب بن مِحْصن] بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كَبير بن غنْم بن دُودَان بن أسَد بن خزيمة ، وعلى هذا فهو أخو عُكَّاشة بن مِحصن ، وهو أصح ماقيل فيه . ومَات ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحاصِرهم ، وكان يُقاتِل مع المسلمين . وكان المسلمون ثلاثةَ [1] آلافٍ ، فكانت سُهمانُ الخيلِ والرِّجَال على ثلاثةِ آلاف واثْنَيْن وسَبعين سهماً : للفَرَس سهمان ولصاحبه سهمٌ . وأسهم يَومئذٍ على الأموال فجُزِّئَت خمسةَ أجْزاء ، وكتَب في سهمٍ منها لله ، فخرجَت السُّهمان ، وكذلك الرِّثَّةُ [2] والإبل والغنَمُ والسَّبي ؛ ثم فَضَّ أربعةَ أسهمٍ على النَّاس

ترك فيء رسول الله للنساء

وأخَذَ فَيْء رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّسَاء اللاَّتي حَضَرتِ القِتَال ولم يُسهِم لَهُنَّ . وهُنّ : صَفِيَّةُ بنتُ عبد المطَّلب ، وأم عمَارة ، وأم سَلِيطٍ ، وأمُّ العلاء الأنصاريَّةُ ، والسُّمَيراء بنتُ قَيس الأنصارية ، وأم سعد بن معاذٍ ؛ وهي : كَبْشةُ بنتُ رافع بن عبيد بن ثَعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خُدْرَةُ ، بن عوف بن الحارث بن الخَزرج

أمر السَّبْي

ولما بيعت السَّبايا والذُّريَّةُ بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بطائفةٍ إلى

(١) في الأصل : « ثلاثة ، ثلاثة » مكررة

(٢) الرِّثَّة : متاع البيت الرديء الدون

الشَّأم مع سعد بن عُبادة[1] ، يبيعُهم ويشترِى بهم سلاحاً وخَيْلا . واشترى عثمانُ ابن عفان وعبدُ الرحمن بن عوْف رضى الله عنهما طائفةً ، فكان يوجد عند العَجائز المالُ ولا يوجَد عند الشَّوابِّ ، فربح عثمان مالًا كثيراً لأنّه صار فى سهم العجائز . ويقال لمَّا قسم صلى الله عليه وسلم جَعل الشَّوابَّ على حدَةٍ ، والعجائز على حِدَةٍ ، وخيَّر عبد الرحمن وعثمان فأخذ عُثمان العجائز . واشترى أبو الشَّحْم اليهودىُّ امرأتين — مع كلٍّ واحدة ثلاثةُ أطفال — بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : ألَستُنَّ على دينِ يهودَ ؟ فتقول المرأتان : لا نُفارِق دينَ قَومِنا حتى نموتَ عليه ؛ وهُنَّ يَبكينَ . وكان السَّبْىُ ألفاً من النساء والصِّبيان ، فأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خُمُسَهُ قبل بَيْع المَغنَم ، فجزّأ السبْىَ خمسةَ أجزاء : فأخذَ خُمُساً ، فكان يَعتِقُ منه ، ويَهَبُ منه ، ويُخْدِم منه من أراد . وكذلك صنَع بما أصاب من رِئَتِهم : قُسِمَت قبلَ أن تُباع . وكذلك النَّخلُ عزَل خمُسَه . وكلُّ ذلك يُسهِمُ عليه خمسة أجزاء ويكتب فى سهم منها فيْئَه ، ثم[2] يُخْرِجُ السهمَ ، فحيثُ طارَ سهمُه أخذَه ولم يتَخيَّر . وصار الخُمُس إلى مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبيْدى ، وهو الذى قسَم المَغْنَمَ بين المسلمين . ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُفرَّق فى القَسْم والبيْع بين النساء والذُّرِيّة ، وقال . لا يُفرَّقُ بين الأُمِّ وولَدِها حتى يَبلُغوا ؛ فقيل : يا رسولَ الله ! وما بلُوغُهم ؟ قال : تَحيضُ الجارية ويَحْتَلِمُ الغلام . وكان يفرّق يومئذٍ بين الأُختَين إذا بَلَغتا ، وبين الأُمّ وابنتِها إذا بلغت .

النهى عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

(١) هكذا فى الأصل ، ولم أجده فى غيره من كتب أصحاب السير فى غزوة بنى قريظة . بل الذى أعرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث « سعدَ بن زيد الأشهلىّ » بسبايا من سبايا بنى قريظةَ إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . ذكر ذلك صاحب أسد الغابة فى ترجمته

(٢) فى الأصل : « ويكتب فى سهم منها فعد م » الكلمات الأخيرة غير منقوطة ولا بينة ، وهكذا قرأناها

وكانت الامُّ وولدُها الصِّغارُ تُباع من المشركين من العرَب ، ومن يهود المدينة وتيْماء وخيْبَر ، يخرجون بهم . وإذا كان الوَلدُ صغيراً ليْس معه أمٌّ لم يُبَعْ من المشركين ولا من يهود إلَّا من المسلمين . فكانت أموالُ بَنِي قُرَيظة أوّلَ فَيْء وقعَ فيه السُّهمان والخُمُس

موت سعد بن معاذ ، وبكاء أمّه ، وحزن رسول الله على سعد ثم دفنه

ولما حَكم سعدُ بن مُعاذ رضى الله عنه فى بنى قُرَيظة ، رجَع إلى خيْمة رُفَيدَة بنت سعد الأسْلَميّة — وكان قد كوى جُرحَه بالنار فانتفَختْ يدُه ، وسال الدَّم فحَسمه أُخرَى فانتفختْ يدُه ، فسألَ اللهَ أن يُبقِيَه حتى يقاتل بنى قُرَيظة — فانفجرَ جُرحُه وماتَ بعد ما عادَه النبى صلى الله عليه وسلم فحُمِل إلى منزله . وغسَّله الحارثُ بن أوْس بن مُعاذ ، وأُسَيْد بن حُضيْر ، وسلَمة بن سلامة بن وقَش بحضرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمُّ سعد تبكى وتقول :

[وَيْلُ أُمِّ سَعْد سَعْدَا صَرَامَةً وحَـدَّا
وسُـؤْدُداً ومَجْدَا وفارسـاً مُعِدَّا
سُدَّ به مَسَـدَّا يَقُـدُّها ما قَدَّا] (١)

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ البَواكى يكذِبْن إلَّا أمّ سعد . ثم كفِّنَ فى ثلاثةِ أثواب وحُمِل فى سَرير . فحَملَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [جِنازَته] (٢) وهو بين عَمودَى سريرِه حتى رُفعَ من داره إلى أن خرج ، ومشى أمام جِنازَته ، ثم صلَّى عليه . ونزَل فى قبره أربعةُ نَفرٍ : الحارثُ بن أوْس بن

(١) فى الأصل مكان هذه النّدبة ما نصه : « ويل سعد سعدا ، براعة وجدا ، بعد أيادى له ومجدا ، مقدم سدّ به مسدّا » ، وهى إحدى روايات الخبر . وهذا الذى أثبتناه هو الذى اجتمعت عليه الرواية

(٢) زيادة للسياق من ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٠ . والجنازة : سرير الميت ، أو الميت نَفسُه

مُعاذ ، وأُسيد بن حُضَيْر ، وأبو نائلة ، وسلَمة بن سلامة ؛ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ على قَدَمَيْه على قبره . ولما وُضِع فى لحدِه تغيَّر وجهُه وسبَّح ثلاثاً ، فسبَّح المسلمون ثلاثاً حتى ارْتجَّ البَقيع[1] ، ثم كبَّر ثلاثاً وكبّر أصحابُه حتى ارْتَجَّ البقيعُ . فسُئِل عن ذلك فقال : تَضايق على صاحبكم قبْرُه ، وضُمَّ ضَمّةً لو نجا منها أحدٌ لنَجا منها سعدٌ ، ثم فَرّج الله عنه . وجاءت أمُّ سعد تنظر إليه فى اللحدِ وقالت : أَحتَسِبُك عند الله . وعزّاها[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قبرِه . وجَلس ناحيةً والمسلمون يرُدُّون تراب القبر حتى سُوِّى ورُشّ عليه الماء ، ثم وقَفَ صلى الله عليه وسلم فدَعا ، ثم انصرَف

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بنى النّضير

وسار حُسَيْل بن نُوَيْرَة الأَشْجَعىُّ يوْمَين حتى قَدِم خيْبر ، فأعلَم سلَّام بن مِشكم ، وكِنانة بن الرّبيع بن أبى الحُقَيْق ، ويهودَ بنى النّضير ، ويهود خَيْبر : بأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد قَتل مُقاتلةَ قُرَيظة صَبْراً بالسيف ، وسبى النساء والذُّريّة . فقال سلَّام بن مِشْكَم ، وكانت له رياسة بَنى النّضير بعد يوم بُعاث[3] : هذا كلُّه عملُ حيَيِّ بن أخطَب ، لا قامتْ يهوديَّةٌ بالحجازِ أبداً ! وصاح نساؤُهم وأَمْن المآتم ، وفَزِعت اليهودُ إلى سلَّام ليرَوْا رَأْيَه . فأشار عليهم بأن يسيروا معه ، ويهودُ تَيماء وفَدَك ووادى القُرى — ولا يُجْلِبوا معهم أحداً من العرَب — حتى يغْزوا محمداً فى عُقْرِ داره ، فوافقوه على ذلك

زواجه زينب بنت جحش

وفى هذه السَّنة الخامسةِ تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيْنب بنت جَحْشٍ ، فى قول طائفة

---

(١) البقيع : بقيعُ الغَرْقَد ، وهو مدافن أهل المدينة ، وكان داخل المدينة

(٢) فى الأصل : « وعزها »

(٣) فى الأصل : « بُغَاث »

فرض الحجّ

وفيها فُرِضَ الحجُّ ، وقيل سنة ستٍّ ، وقيل سنة سبع ، وقيل سنة ثمانٍ ، وقيل غيرُ ذلك

سريّة عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد ابن نُبَيح الهذلىّ

ثم كانتْ سَرِيَّةُ عَبدِ الله بن أُنَيْس بن أَسْعَد[1] بن حرام بن حُبَيْب بن مالك بن غَنْم بن كعب بن تَيْم بن نُفَاثَة بن إياس[2] بن يَرْبوع بن البَرْكِ بن وَبَرة [ويُعْرَفُ بالجُهَنىّ وليس بجُهَنِيٍّ ، ولكنه من وَبَرَة من قُضَاعة ، وجُهَيْنَةُ أيضاً من قضاعة][3] — إلى سُفْيان بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلِيِّ ، ثم اللِّحْيَانِيِّ

خروجه إليه وسببه

خرجَ إليها يوم الاثنين لخمس خَلَوْن من المحرم على رَأْس أربعةٍ وخَمْسين شهرا[4] ، فغابَ اثنتى عشرةَ ليلةً وقدِم يوم السَّبت لسَبْعٍ بقين من المحرَّم . وكان قد بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ سُفْيانَ بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلىَّ ثم اللِّحْيانىَّ نَزَلَ عُرَنَةَ وما حولها فى ناسٍ فجَمَع لحرْبه ، وضَوَى إليه[5] بَشَر كثيرٌ من أفْنَاء العرب . فبعثَ عبدَ الله بن أُنَيْسٍ وحدَه ليقْتُلَه ، وقال له : صفة ابن نبيح أُنْتَسِبْ إلى خُزاعة . [فقال عبد الله بن أُنَيْس : يا رسولَ الله ! انْعَتْهُ لى حتى

---

(١) فى الأصل : « ابن إسحاق » . وانظر أسد الغابة والإصابة

(٢) فى الأصل : « أنيس »

(٣) هذا الذى بين الأقواس كان فى الأصل بعد قوله : « الهذلى ثم اللحيانىّ » . وهذا هو حقُّ مكانه . وعبد الله بن أنيس يقال له : الأنصارى والسَّلمىّ والجهنىّ والقضاعىّ . وعرف بالجهنى لأنّ ولدَ البَرْك بن وبرة دخلوا فى جهينة من قضاعة فكانوا فى عِدَادهم

(٤) قال ابن سعد ج ٢ ص ٣٥ — ٣٦ : « على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وهو الصواب . وقد فاتنا أن ننبّه إلى ذلك فى ص (١٧٤) فى خبر سرية مرثد بن أبى مرثد ، فإنه ذكر أن سبب السرية هو قتل سفيان ابن نبيح الهذلىّ ، فكان الصواب أن يكون خبر سرية عبد الله بن أنيس هذه فى موضعها قبل سرية يوم الرجيع . وكانت على رأس ستة وثلاثين شهراً

(٥) ضوى إليه : مال إليه وانضمّ

أعرفه][1] قال إذا رَأَيْتَهُ هِبْتَه وفَرِقْتَ منه وذكرْتَ الشَّيطَانَ ، وآية [ما بينك وبينه][2] أن تجد له قُشَعْرِيرَةً إذا رَأَيْتَه . وأذِنَ له أن يقُول ما بَدَا لَهُ ، وكانَ أُنَيْسٌ لا يهابُ الرِّجال . فأخذ سيفه وخرج ، حتى [إذا][3] كان ببطْن عُرَنَةَ لَقِى سفْيانَ يمشى : وراءه الأحابيشُ ، فهابهُ ، وعرفه بالنَّعت الذى نعتَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقد دخل وقتُ العصر ، فصلَّى وهو يمشى يُومئُ إيماءً برأسه . فلما دنَا منه قال : مَنِ الرَّجُل ؟ قال : رجُل من خزَاعة ؛ سمعتُ بجمعك لمحمَّدٍ فجئتُك لأكونَ معك . ومشى معه يحادثهُ ويُنشِدُه ، وقال : عجباً لما أَحْدَثَ محمَّد من هذا الدِّين المُحْدَث ، فارَق الآباء وسفَّهَ أحلامهم ! فقال سفيان : لم يلق محمَّد أحداً يُشْبِهُنى ! حتى انتهى إلى خِبائه وتفرَّق عنه أصحابهُ . فقال : هَلُمَّ يا أخا خزَاعة . فدَنَا منه وجَلس عنده حتى نامَ النَّاس ، فقَتَله وأَخَذ رأسه واختفى فى غارٍ ، والخيلُ تطلُبه فى كلِّ وجهٍ . ثم سارَ اللَّيلَ وتوَارَى فى النَّهار إلى أَنْ قَدِم المدينةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجِد فقال : أَفْلَحَ الوَجْهُ ! قال : أفلحَ وجهُك يا رسولَ الله ! ووضع الرأس بين يَدَيْه ، وأخبرَه الخبرَ ، فَدفع إليه عصاً وقال : تَخَصَّرْ[4] بهذه فى الجنَّة ، فإن المُتخصِّرِينَ فى الجنَّة قليلٌ . وكانتْ عنده حتى أُدْرِجت فى أَكْفَانِهِ بعدَ موْتِه

قتله

(١) زيادة يقتضيها السياق ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩٨١ ، وابن سعد ج ٢ ص ٣٦

(٢) فى الأصل : « وآية ذلك أن تجد » ، وهذه أدلّ على السياق

(٣) زيادة للسياق

(٤) تخصر : حمل المخصرة فى يده ، والمخصرة : العصا يتوكأ عليها ، أو يحملها الملك يشير بها

غزوة القُرَطاء

ثم كانت غزوةُ القُرَطاء من بنى بكر[١] بن كِلاب ، بناحية ضَرِيَّةَ بالبَكَرات ، وبين ضرِيَّةَ والمدينة سبْعُ ليالٍ . خرجَ فيها محمد بن مَسلمة لعَشْرٍ خلَوْن من المحرَّم ، فغاب تسع عشرة ليلة ، وقَدِم لِلَيْلَةٍ بقِيتْ من المحرَّم . وكان فى ثلاثين رجلاً ، فسارَ الليل وكمَنَ النَّهارَ[٢] ، [حتى إذا][٣] كان بالشَرَبَّةِ[٤] لقِى ظُعُناً من مُحارِبٍ ؛ فأغارَ عليهم وقَتَلَ نفراً منهم وفرَّ سائرُهم ، واستاق نَعَماً وشاءً ، ومضى . وقدَّمَ عَبّادَ بن بِشْرٍ عَيْناً لينظُرَ بنى بكر[١] بن كِلاب ، فلما أتاه بخبرهم شَنَّ الغارةَ عليهم ، وقتل منهم عشرة ، واستاق النَّعَم والشَّاء ، وقَدِم المدينةَ : وهى خمسون ومائة بعيرٍ ، وثلاثة آلاف شاةٍ . فخمَّس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقَسمَ ما بَقِىَ ، فعُدِّلَ الجَزور بعشرٍ من الغَنَم

غزوة بنى لحيان

ثم كانت غَزوَةُ بنى لِحْيانَ بن هُذَيْل بن مُدرِكة ، بناحية عُسْفَان . خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لِهلال رَبيع الأول سنة ستٍّ فى مائتىْ رجُلٍ ، ومعهم عشرون فرساً ، يُريد بنى لِحْيان ليأخُذَ بثأْر أصحاب الرَّجيع[٥] . فعسكَر من نَاحية الجُرُفِ فى أوَّل نهارِه ، وأظهرَ أنَّه يُريد الشَّأْم ، ثم راح مُبرِداً حتى انتهى إلى حَيثُ كان مُصاب عاصِم بن ثابِتٍ وأصحابِه بين أَمَجٍ وعُسْفَان ببطن غُرَان[٦] ؛ وبينها وبين عُسفَان خمسة أمْيال . وقد هرَبَ بنو لِحيان ،

(١) فى الأصل : « من بنى أبى بكر »
(٢) فى الأصل : « وأكمن »
(٣) زيادة للسياق
(٤) الشربَّة : موضع فى طريق نجد ، وضريَّة التى ذكرها قبل من نجد ، وفى الأصل : « الضرية »
(٥) مضى خبرهم فى ص (١٧٤)
(٦) فى الأصل : « عمران »

فأقام يومًا أو يومين وبثَّ السَّرايا فلم يَقدِر على أحدٍ . فأتى عُسفان فى مائتى راكبٍ من أصحابه ، ثم بعث فارسَين حتى بَلَغا كُرَاعَ الغَميم ثم كرَّا . وقال الواقدىُّ : بعثَ أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوَارِسَ فبلَغ كُراع الغَميم ورَجَع ، ولم يَلق أحداً . فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا يَبلُغ قُرَيشاً فيَذْعَرُهم ، ويَخافُونَ أن نكُون نُريدهم . وكان خُبَيْب بن عَدِىٍّ يومئذ فى أيْديهم ، فخافوا أن يكون قد جاء ليُخَلِّصه . وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينةِ ، وقد غابَ أربع عشرة ليلة ، وكان يَخْلُفه على المدينة ابنُ أمّ مَكْتوم . وقال فى مُنصَرَفِه إلى المدينة : آئبون تائبُون عابِدُون ، لرَبِّنا حامِدون . اللَّهُمَّ أنْتَ الصَّاحبُ فى السَّفَر ، والخليفةُ عَلَى الأهل ! اللهُمَّ أعُوذُ بكَ من وَعْثاءِ السَّفَر ، وكآبةِ المُنْقَلَب ، وسُوءِ المنظَر فى الأهْل والمالِ . اللهُمَّ بَلِّغنا بَلاغا صالحاً يَبْلُغ إلى خَيْرٍ ، مَغْفِرَةً منك ورضوَاناً . وهذا أوَّلُ ما قالَ هذا الدُّعاء

دعاء رسول الله

وصَحَّح جماعةٌ أنَّ غزوةَ بنى لِحْيان هذه كانت بعْد قُرَيْظة بستة أشهُر ، وأنَّها كانت فى جُمَادى الأُولى . وصحح ابنُ حزم أنها فى الخامسة

وكانت غزوة الغابة : ويقال غزاة ذى قَرَد [ويقال قُرُد بضمَّتين] ، وهو ماء على بَريدٍ من المدينة ، فى ربيع الأول . وقال ابن عبد البرِّ : (١) كانت بعد بنى لحيان بليال . وقال البُخَارىّ : كانت قبْل خيبر بثَلَاثة أيامٍ ، وفى مسلم نحوه . وفيه نظرٌ لإجماع أهل السيَر على خلافه

غزوة الغابة

وسببها أن لِقَاح (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكانت عشرينَ لِقْحةً : منها ما أصاب فى ذَاتِ الرِّقَاع ، ومنها ما قدِم به مُحَمَّد بن مَسْلمة من نَجْد — وكانت

سببها

(١) فى الأصل : « أبو عبيد البر »

(٢) اللقاح جمع لِقحة : وهى الناقة أول نتاجها فى أول الربيع ، فلا تزال كذلك حتى ينصرم الصيف عنها

ترعى البَيْضاء فقرَّبُوهَا إلى الغابة ، وكان الرَّاعِي يَؤُوب بلَبنِها كلَّ ليلة عند المغرب . فاستأْذَن أبو ذَرٍّ جُندُبُ بن جُنَادة بن قَيس بن عمرو بن مُلَيْل بن صُعَيْر بن حَرَام بن غِفَار الغِفارِيُّ ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فِي الخروجِ إلى لقَاحه ، فقال : إنى أَخَاف عليكَ مِن هذه الضاحِيَة أن تُغِيرَ[1] عليك ، ونحنُ لَا نأمَنُ عُيَيْنَة بن حِصْنٍ وذَوِيه . وهو فى طَرَفٍ من أطرافهمْ ، فلما ألح عليه أبُو ذَرٍّ رضى الله عنه قال : لَكأَنِّى بِكَ قد قُتِل ابنُك وأُخِذَت امرأَتُك ، وجِئْتَ تَتَوَكَّأُ على عصَاك .

خبر أبى ذرّ

فلمَّا كانت ليلة السَّرْحِ ، جعلَتْ سَبْحَةُ فَرَسُ المِقْداد بن عَمْرو[2] لَا تقِرُّ ، ضَرْباً بيَديها وصهيلاً ، فيقولُ أبو مَعْبَدٍ : واللهِ إنَّ لها لَشَأْناً ! فَيَنْظُرُ آرِيَّها[3] فإذا هُو مملوءٌ علَفاً ، فيقول : عَطْشَى ! فَيَعْرِضُ الماءَ عليها فلا تريدُه . فَلَمَّا طلع الفَجْر أَسْرجها ولبِس سِلاحه وخَرَج ، حتى صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصُّبْح فلَمْ يرَ شيئاً . ودخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيتَه ، ورجع المِقْداد إلى بيْته ، وفَرَسُه لا تَقِرُّ . فَوَضَع سَرْجَه وسِلَاحه واضْطَجَع . فأتاه آتٍ فقال : إنَّ الخيْلَ قد صُبِّحَ بها[4] !

ليلة السَّرْح

وكانت لقَاحُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قد رُوِّحت وعُطِّنتْ وحُلِبَتْ عَتَمَتُها[5] ، وأحْدَق بهم عبد الرَّحمن بن عُيَيْنة بن حِصْنٍ فى أربعين فارساً من بنى عَبْد الله بن غَطَفان ، [وذكر ابن الكَلْبِيّ أن الذى أغار على سَرْح المدينة

غارة ابن عيينة على السرح

(١) فى الأصل : « تغيره »
(٢) هو المقداد بن الأسود ، وكنيته أبو معبد ، كما سيأتى بعد
(٣) الآرِيُّ : مربط الدابة ومعلفها
(٤) صُبِّح بها : أى أغير عليها بغتة مع وجه الصُّبح
(٥) رُوِّحت : أى ردّت إلى مراحها الذى تبيتُ فيه ، وعُطِّنتْ : أى سُقيت ثم رجعت إلى مأواها . والعتمة : ثلث الليل الأول ، وكانوا يحلبون لقاحهم وقت العتمة ، فسموا الحلاب فى ذلك الوقت عَتَمة ، سموا اللبن باسم الوقت

عبدُ الله بن عُيَيْنة بن حِصْن] ، وهم نِيامٌ. فأشرف لهم ابْنُ أبى ذَرٍّ فقتلوه وساقُوا اللِّقاح . فجاء أبُو ذَرٍّ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فتبَسَّمَ

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سَلَمَةُ بن عمرو [بن](١) الأَكْوَع — [واسمه سنان] — بن عبد الله ابن قُشَيْر بن خُزَيمة بن مالك بن سلَامان بن أسلم بن أفْصىّ الأَسلمىُّ قد غدَا إلى الغَابةِ لِلِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم [بفرسٍ لطلحة بن عبيد الله] لِيُلْبنَه(٢) لَبَنها . فلقى غلامَ عبد الرحمن بن عوْف رضى الله عنه — وكان فى إبله فأخطأُوا مَكَانها — فأخبره أنَّ لِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُغَار عليها ابن عُيَيْنةَ فى أربعين فارساً ، وأنهم رأوا إمْدَاداً بعد ذَلك أُمِدَّ به ابْن عُيَيْنَة . فرجع سلمة إلى المدينة وصرخَ على ثنية الوَدَاع بأَعْلى صوته : يا صَبَاحاه ! ثلاثاً ؛ ويقال نادى : الفَزَع الفَزَع ! ثلاثاً . ووقف على فرَسه حتى طلَع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديدِ مُقَنَّعاً فوقف واقفاً . [وقيل رَكِبَ فرساً عُرْيَاً لأبى طلْحة يقال له منْدوب ، فلما انْصرفَ قال : إنْ وَجَدْنَاه لَبَحْراً](٣)

---

(١) زيادة لا بدّ منها

(٢) هذه الكلمة فى الأصل : « لأن يبلعنه » تدخل العينُ فى الهاء المتصلة من جهتها ، ثم الألف الأخيرة قد ألصقت بها هاء ، ونبرت نبرة قبلهما ، ولم نر لهذه الجمجمة إلا قراءتها « لأن يُلبنه » ثم جعلناها « ليُلبنَه » ، ولم أجد الكلمة فى خبر من أخبار سلمة بن الأكوع . وألبَنَه : سَقاه اللبن ، والعبارة بين الأقواس هى حقّ الكلام ، وكانوا يلبنون خيلهم اللبن إكراما لها ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٩ ، وابن هشام ج ٢ ص ٧١٩

(٣) هكذا ذكر المقريزى ، ولا ندرى من أين وقعت له هذه الرواية ، وليس هذا — فيما نرى — موضعها . فإن خبر فرس أبى طلحة قد رُوى فى أكثر الكتب الصحاح ، ولم يذكر أحد أنه كان فى هذه الغزوة . وفى الحديث لفظ يدل بياناً على أنّ ذلك كان فى فزع لم يأت بعده ما يروع المسلمين ، ففى البخارى ج ٤ ص ٥٢ من حديث أنس بن مالك قال : « كان بالمدينة فزَع فركبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبى طلحة فقال : ما رأينا من شىء ، وإن وجدناهُ لبحْراً » . وبعد هذا الحديث حديث آخر بغير لفظه فيه قال : « لم تراعوا ، إنه لبحر » . فهذا كما ترى شىء غير مستقيم لمن تدبره

نداء الفزع ليلة السَّرْح

[ونودىَ : يا خيلَ الله اركَبِي ! وكان أوّلَ ما نُودىَ بها][1] ، فكان أوّلَ من أقبلَ إليه المِقْدادُ بن عمرٍو عليه السلاحُ شاهرا سيفَه . فعقَد له لواءً على رُمْحه وقال : امْضِ حتى تَلْحَقَكَ الخيول ، إنّا على أثَرك . فخرج حتّى أدْرَكَ أُخرَياتِ العَدُوّ ، فظفِر له بفرس . وأدْرك مَسعَدَةَ بن حَكَمة بن مالك بن حُذيفة بن بَدْرٍ الفَزَارىّ فتَطَاعنا برُمْحيهما ، ثم فرّ مَسعَدة . فنصبَ مِقْداد اللواء ، ولحقَه أبُو قتادة — مُعلَماً بعِمَامةٍ صفْراء على فرس له — فتسايَرا ساعةً ، فاستحثّ أبو قتادة فرسه حتى غَاب ، وقد أدْرك مَسعَدة فقَتَله

وخرج سَلَمة بن الأَكْوَع على رِجْلَيه يَعدُو : يَسْبِقُ الخَيْل ، حتى لَحِق العدوّ فرماهم بالنَّبْلِ والخيلُ تكُرُّ عليه وهو يقول :

خُذْها وأنا ابْنُ الأَكْوَعْ اليَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّـعْ

وصول رسول الله إلى ذى قَرَد

[حتى انتهى بهم إلى ذى قَرَد] ، ولَحِقَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والخيولُ عِشاء ، وكانوا ثمانية أفراسٍ ، وكان المِقْدادُ أميرَ الفُرْسان[2] [وقيل بَلْ أميرُهم سَعدُ بن زيد الأشْهلىُّ[3]] . فقال سلَمةُ : يا رسولَ الله ! إنَّ القومَ عِطاشٌ ، وليس لهم ماء دون أحْساءِ كذا وكذا ، فلو بعثْتَنى فى مائةِ رجلٍ اسْتَنْقَذْتُ

(١) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ ، ولابد منها لسياق الكلام ، وإلا فإنّ تلفيق الروايات الذى اتخذه المقريزى هنا قد أفسد معانيها جميعاً . وفى الأصل بعد الزيادة : « وكان » وجعلناها « فكان »

(٢) فى هذا الموضع اضطراب شديد ، وقد آثرنا أن نضعه هذا الوضع ، وبهذه الزيادة ليتساوق المعنى ويستوى . وفى الأصل بعد قوله « اليوم يوم الرضع » ما يأتى : « حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيولُ عشاء ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد » ؛ وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٨

(٣) فى الأصل : « مسعدة بن زيد » ، وليس فى الصحابة من اسمه مسعدة . وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٩ ، وديوان حسّان ص ١٠٨ ، وسيأتى كذلك (٢٦٢)

ما بأيديهم من السَّرْح وأخذتُ بأعناقِ القوم ! فقال : مَلَكْتَ فأسْجِحْ[1] ! ثم قال : [إنَّهُم الآنَ][2] لَيُقْرَوْنَ فى غَطَفَان . وذهب الصَّرِيخُ[3] إلى بنى عمرو بن عَوْفٍ فجاءتِ الأمْدَادُ ، فلم تزل الخيلُ تأتِى ، والرجالُ على أقدامهم ، و[على][4] الإبل ، والقوْم يَعتقِبون البعيرَ والحِمارَ ، حتى انتَهوْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بذى قَرَدٍ ، فاستنقَذُوا عَشْر لَقَائِحَ — منها جَملُ أبى جَهْل — وأفلتَ القَوْمُ بعَشْر

ذكر القتلى

وكانت رايةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم العُقابُ يحملُها سَعْدٌ . وكان قد أدرك مُحْرِزُ بن نَضْلَةَ بن عبد الله بن مُرّة بن كَبِيْر بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيْمة — القومَ مُهيباً[5] ، فطاعنَهُمْ ساعةً[6] بالرُّمْح فقتله مَسْعَدَة بن حَكَمَة . وأقْبل عَبّاد بن بِشْر على أوْبار بن عمرو بن أوْبَار[7] وقاتَله ، فقَتَله عبّاد ؛ وقيل : بل قَتَله عُكّاشَةُ بن مِحْصَن

دعاء رسول الله لأبى قتادة

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى قتادة لمّا أدرَكَه فقال : اللهُمَّ بارِكْ له فى شعَرِه ، وبَشَرِه ، وقال : أفلَحَ وجْهُك ! فقال : ووجْهُك يا رسولَ الله !

---

(١) أسجحَ : سهّلَ وأحسنَ ، وهـذا مثل فى العفو عند المقدرة ، أى ظفرت فأحسن العفوَ

(٢) زيادة لا بُدّ منها ، من ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ ، وقوله « ليقرون » : من القرى ، وهو ما يقدّم للضيف

(٣) الصريخ : صوتُ المستصرخ المستغيث ، أو المستغيث نفسُه

(٤) زيادة للسياق

(٥) فى الأصل : « بهيقا » ولا معنى لها ولا وجه . وقد رأيت أن أقرأها كذلك لمقاربة الرسم . وأهاب بالقوم : صاح بهم ليقفوا فهو مهيب . وقد قال ابن هشام ج ٢ ص ٧٢١ ، إن محرزاً لما أدرك القوم : « وقف لهم بين أيديهم ثم قال : قفوا معشر بنى اللكيعة ! حتى يلحق بكم من وراءكم من أدبارِكم من المهاجرين والأنصار »

(٦) فى الأصل : « ساعِد » ، هكذا مشكولة ، وهو فاسد

(٧) فى الأصل : « آثار بن عمرو بن آثار »

ثم قال : قتلتَ مسعَدَةَ ؟ قال : نعم ! قال : ما هذا بوَجْهِك ؟ قال : سَهمٌ رُمِيتُ به يا رسولَ الله ! قال : فادْنُ منى ! فدَنَا منه فبَصَق عليهِ فما ضرَب عليه قطُّ ولا فَاحَ[1] . فماتَ أبو قتادة ، وهو ابنُ سبعين سنة ، وكأنَّه ابنُ خَمْس عشرة[2] سنة . وأعطاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فَرَسَ مَسْعَدَة وسلاحَه وقال : بَارِكَ الله لك فيه

أصحاب الخيل

واستعمَل صلى الله عليه وسلم يومئذٍ على الخيْل سَعْد بن زَيْد الأشْهلى وقدَّمه أمامَه ، فلحقَ القومَ وناوَشهم ساعةً : هو والمقدادُ بن عمرٍو ، ومُعاذ بن ماعِص ، وأبُو قتادَة ، وسلَمَة بن الأكْوع ، فحمل سَعْدٌ على حبيب بن عُيَيْنَة بن حصن فقتله وأخذَ فرَسه ؛ وقيل قتل حبيبَ بن عيينة المِقْدادُ . وكان شعارُ المسلمين يومئذٍ: أَمِتْ أَمِتْ

صلاة الخوف

وصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ صلاةَ الخَوْف : فقام إلى القِبْلة وصَفَّ طائفةً خَلْفه ، وطائفةٌ مُواجهةُ العدوّ ؛ فصلَّى بالطَّائفة التى خَلْفه رَكْعة وسجدَتيْن ثم انصرفوا ، وقاموا مَقامَ أصحابهم ؛ وأقبلَ الآخَرُون فصلَّى بهم ركعةً وسجدتين وسلَّم . فكان لرَسولِ الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ، ولكلّ رجلٍ من الطَّائفتين ركعةٌ

تاريخ الغزوة

وكانت غَزَاةُ ابن عُيَيْنة ليلة الأربعاء لثلاثٍ خَلَوْن من ربيع الأول سنة ستّ . فخرجَ صلَّى الله عليه وسلم يوم الأربعاء ، واستَخْلف على المدينة ابن أُم مكتومٍ ، وأقام بذى قَرَدٍ يوماً وليلة . وقسَم فى كل مائةٍ من أصحابه جَزُوراً يَنْحرونها ، وكانوا خمسمائة ؛ ويقال كانوا سبعمائة

(١) فى الأصل : « فاح » ، وهذا هو الصواب . فاح الجرحُ أو الشجة فهى تفيحُ : إذا نضحت بالدم فسال منها

(٢) فى الأصل : « خمسة عشرة »

حراسة المدينة ، وإمداد سعد بن عبادة المسلمين

وأقام سعدُ بن عُبَادة — فى ثلاثمائة من قومه — يَحرُسُون المدينةَ خمسَ ليالٍ حتى رَجَع صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين . وأمَدَّ المُسْلمين سَعْدُ بن عُبادة رضى الله عنه بأَحْمال تَمْرٍ وبعَشْر جَزَائر بذى قَرَد : بَعَث بذلك مع ابنه قَيس بن سعد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ! بَعَثك أَبُوك فارساً ، وقَرَى المجاهِدين ، وحَرَسَ المدينةَ من العَدُوِّ ! اللهُمّ ارحمْ سعداً وآلَ سعدٍ ! ثم قال : نعْمَ المرءُ سعدُ بن عُبادة ! فقالت الأنصار : يارسول الله ! هو بَيْتُنا وسيدُنا وابنُ سيدنا . كانوا يُطْعِمون فى المَحْل [1] ، ويَحْملون الكَلَّ [2] ، ويَقْرُون الضَّيْف ، ويُعْطُون فى النَّائبة ، ويحمِلون عن العشيرة [3] . فقال : خِيارُ النَّاسِ فى الإسلام خِيارُهم فى الجَاهِلِيّة إذا فَقُهُوا فى الدِّين

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبى ذرّ

ورَجَع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليلةَ الاثنين وقد غَابَ عنها خمس ليال . فأَقبلت امرأةُ أبى ذَرٍّ على ناقته القَصْواء [4] — وكانت فى السَّرْح — فدخَلتْ عليه فأخبرتْه من أَخْبارِ النَّاس ، ثم قالت : يارسول الله ! إنّى نذَرْتُ إنْ نجّانىَ الله عليها أنْ أنحرَها فآكلَ من كَبِدها وسَنَامها ! فتبسَّم وقال : بِئسَ ما جَزَيْتها ! أنْ حَمَلك الله عليها ونجّاكِ [بها] [5] ثم تَنْحَرِينَها ! إنه لا نَذْر فى مَعْصية الله ، ولا فيما لا تَمْلِكِينَ ، إنما هى ناقةٌ من إبِلى ، فارجِعى إلى أهلِك عَلَى بركة الله

خبر الهديّة

وقيل لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : هذه لِقْحَتُك السَّمْراء على بابك . فخرج مُستَبْشراً ، فإذا رَأْسها بيَد ابْن أخِى عُيينة بن حِصْنٍ ، فلمَّا نَظَرَ عَرَفَها

---

(١) المحل : الجدبُ والقحط

(٢) فى الأصل : « يحملون فى الكلّ » . والكل : الفقير يثقل على صاحبه فهو عيال عليه

(٣) يحملون هنا : من الحمالة وهى الدية والغرامة يحملها أشرافهم وأغنياؤهم

(٤) اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٢ ، والعبارة بها أبلغ

فقال : أيْمَ بِكَ[1] ؟ قال : يا رسول الله ! أَهْدَيتُ إليك هـذه اللِّقْحة . فتبسَّم وقَبضها منْه ، وأمرَ له بثلاثة أواقٍ فِضَّة ، فتَسَخَّط . فصلَّى عليه السـلام الظُّهْر وصعد المِنْبر فحمِد الله ، ثم قال : إن الرَّجُلَ أهْدَى لِيَ النَّاقةَ من إبِلِي ، أعْرِفُها كما أعْرِفُ بَعضَ أهلي ثم أثيبُه عليها ، فيَظَلُّ يَتَسَخَّط عليَّ ! ولقَد هَمَمْتُ ألاَّ أقْبَل هديَّةً إلاّ من قُرَشِيٍّ أو أنصاريّ . وفى روايةٍ : أو ثَقَفِيٍّ أو دَوْسِيٍّ

بعض تاريخ الغزوة

ووقع فى صحيح مسلمٍ عن سَلَمة بن الأكوع فى هذه القِصة قال : فرجَعنا إلى المدينة فلم نَلْبَث إلا ثلاثَ ليال حتى خرجنا إلى خَيبر . وذهب قوم إلى أن غَزوَة المُرَيسِيع كانت فى شَعبان ، بعد غزوة الغَابةِ هذه

ياخيـل الله اركبي

وفى غزوة الغَابة نودى عند ماجاء الفَزَعُ : يا خَيْلَ الله اركبي : ولم يَكُن يُقَال قبلَها

سرية عكّاشة ابن محصن إلى الغَمْر

ثم كانت سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثَان بن قَيس بن مُرَّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة — الأسدى — إلى الغَمْرِ : وهو ماء لبنى أسَدٍ على ليلتَين من قَيْدٍ فى ربيع الأول سنة ستٍّ . خرج فى أربعين رجُلاً يُغِذُّ السَّير فنَذِرَ به القومُ فهربوا ، وانتهى إلى عُلْيَا بِلادِهم فلم يَلْقَ أحداً . وبثَّ سراياه فظَفِرُوا بنَعَمٍ فاستساقُوا مائتى بعيرٍ وعادوا

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القَصّة

ثم كانت سريّةُ محمد بن مَسلَمة إلى ذى القَصّة — موضعٌ بينه و بين المدينة أربعة وعشرون ميلا — يُريد بنى ثَعلَبة و بنى عُوال من ثَعلبـة[2] : وهم مائةُ رجل ، فى ربيع الأوّل . فسار فى عشرة حتى وَرَدوا ليلا وناموا ، فأحاطَ بهم المـائة رجلٍ من بنى ثعلبة ففزِعوا ، ورامَوْهم ساعةً بالنَّبلِ ، ثم حملت الأعرابُ

(١) يريدُ : أى شىء بك ، وهذه لفظة يستعملونها كذلك ، وفى الحديث : أيمُ هُوَ يا رسول الله ؟ : أى ما هو ، وأيمَ تقول ؟ : أى شىء تقول

(٢) فى الأصل : « تغلب » ، وهو خطأ ، فهم من بنى سعد بن ثعلبة بن ذبيان

بالرِّماح عليهم فقتلوهم ، وسقط محمد بن مَسلمة جَريحاً ، فحُمِل بعد ذلك إلى المدينة

سرية أبي عبيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصَّة

ثم كانت سَرِيَّة أبي عُبَيدة بن الجَرّاح إلى ذى القَصّةِ فى شهر ربيع الآخر سنة ست . خرج فى ليلةِ السبتِ ومعه أربعون رجلا ، فغاب لَيلتين . وكانت بلادُ بنى ثعلبة وأنمارٍ قد أجدَبتْ ، فتتبَّع بنو مُحاربٍ وثعلبة وأنمارٍ سحابةً وقعتْ بالمِراض إلى تَغْلَمَيْنِ ، [والمِراضُ على ستَّةٍ وثلاثين ميلا من المدينة] ، وأجْمَعوا أن يُغيروا على سَرْح المدينة ببطن هَيفا[1] : [موضعٌ على سبعةِ أميالٍ من المدينة] . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدةَ رضى الله عنه بمن معه ، بعدَ ما صلَّوْا صلاةَ المغرب . فمشَوْا ليلَهم حتى وَافَوْا ذَا القَصّة مع عَمايَةِ الصُّبح[2] ، فأغاروا على القَوْم فأعْجزوهم هرَباً . وأخذوا رجلا ، وَاستاقوا نَعَمًا ، ووجَدوا رِثَّةً من مَتاعٍ ، وعادوا . فخمّس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغَنيمةَ ، وقسَم باقيَهـا . وأسلمَ الرّجل وتُرِك لحالِه

سرية زيد بن حارثة إلى العِيص

وكانت سَرِيَّةُ زيْدِ بن حارِثة رضى الله عنـه إلى العِيصِ : على أربع ليالٍ من المدينةِ ، فى جمادى الأُولى منها ، ومعه سبعون ومائة راكبٍ ، لِيأْخُذوا عيراً لقُرَيشٍ قد أخذَتْ طريقَ العراق ، ودليلُها فُرات بن حيّان العِجْلىّ . فظفِر بها زيدٌ ، وأسَر أبا العاص بن الرّبيع ، والمُغيرة بن مُعاوية بن أبى العاص ، ووجد فِضَّةً كثيرة لصَفْوان بن أُمَيَّة . وقَدِم المدينـةَ ، فأجارتْ زيْنَب [بنت رسول الله][3] عليها السلام زوْجَها أبا العاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المُؤْمِنون يدٌ على مَنْ سِواهم ، يُجير عليهم أدناهم ، وقد أجَرْنا مَن أجارتْ . وردَّ عليه كلَّ ما أُخِذَ له من المـال . فعادَ إلى مكة ، وأدّى إلى كلّ ذى حقٍّ حقَّه ،

إسلام أبى العاص زوج زينب بنت رسول الله

(١) فى الأصل : « هيقا » ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٦٢

(٢) عماية الصبح : بقيّة ظلمة الليل ، قبل أن تتبين الأشياءُ

(٣) زيادة للإيضاح

وأسلَمَ . ثم قَدِمَ المدينة مُهاجِراً ، فرَدّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه زينبَ بذلك النِّكاح . وأفلَتَ المُغيرة بن مُعاوية فتوجَّه إلى مكة ، فأخذَه خَوّاتُ بن جُبَيْر أسيراً — وكان فى سبعة نفَرٍ مع سعد بن أبى وقّاص — فدخلوا به المدينةَ بعد العصر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعائشةَ رضى الله عنها : احتَفِظى عليكِ[1] بهذا الأسيرِ . وخرَج . فلهَتْ عائشة مع امرأةٍ بالحديث ، فخرج وما شعَرَتْ به . فدخلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلم يرَه وسألَها ، فقالت : غفَلْتُ عنه ، وكان ههُنا آنفاً ! فقال : قطَع اللهُ يدَكِ . وخرَجَ فصاح بالنّاسِ ، فخرجوا فى طَلَبه حتى أخذوه وأتَوْا به . فدخل صلى الله عليه وسلم على عائشة وهى تُقلِّبُ يَدَها فقال : ما لكِ ؟ قالت : أنظرُ كيفَ تُقْطع يَدى ! قد دَعوْتَ علىَّ بدَعوتك ! فاستقبل صلى الله عليه وسلم القِبْلةَ ورفَع يدَيه ثم قال : اللّهُمَّ إنما أنا بَشرٌ أغْضبُ وآسَفُ[2] كما يَغْضَبُ البَشر ، فأيُّما مُؤمنٍ أو مُؤمِنَةٍ دَعَوْتُ عليه بدعوةٍ فاجعلْها له رَحْمةً

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة

خبر دعاء رسول الله على عائشة

وكانت سَريَّةُ زيد بن حارثة إلى الطَّرَفِ : ماء على ستّة وثلاثين مِيلًا من المدينة بناحيةِ نَخْلٍ من طريق العراق — فى جُمادى الآخرة منها ، ومعه خمسة عشر رجلاً يريد بنى ثَعْلبة ، فأصاب لهم نَعَمًا وشاءً . وقدِم من غير قِتالٍ بعشرين بعيراً ، ثم غاب أربع ليال

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وكانت سَريَّةُ زَيْدٍ أيضاً إلى حِسْمَى وراء وادى القُرَى ، فى جُمادى الآخرة هذا . وسَبَبُها أنّ دِحْيَةَ الكلبىّ أقْبلَ من عندِ قَيصَر مَلِكِ الرُّوم بجائزة وكُسوة ، فلَقِيَهُ بحِسْمَى الهُنَيْدُ بن عارِضٍ وابنُه عارِضِ بن الهُنَيْد فى جَمْعٍ من جُذام ،

سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى ، وسببها

(١) فى الأصل : « عليه »

(٢) أسف يأسَفُ أسفاً : غضب غضباً شديداً فى حزن ولهفة

فأخذُوا ما معه . ودخل المدينةَ بسَمَلٍ[1] ثوْبٍ ، [ويقال بَلْ نَفَر إليه النُّعمان ابن أبي جِعَالٍ فى نفر من بنى الضُّبَيْب فخلَّص له مَتاعَه بعد حَرْب] . فبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْدًا على خمسمائة رجُلٍ ومعه دِحْيَة ، فكان يَسير ليلاً ويكمُن نهاراً ، حتى هَجَم مع الصُّبْح على الهُنَيْد وابنِهِ فقتَلَهُما ، واستاق ألفَ بعيرٍ وخمسة آلاف شاةٍ ، ومائةً ما بين امرأة وصبيٍّ . فأدْركه بنُو الضُّبَيْب — وقد كانوا أسْلموا وقرأُوا من القُرآن — وحدّثُوه أن يردَّ عليهم ما أخَذ . ثم قدِم زيد بن رِفَاعة الجُذَامىّ فى نَفَرٍ من قومِهِ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فذكرَ له ما صنَع زيدُ بن حارِثة ، ورضُوا بأَخْذِ ما أصابَ لهم من الأَهْل والمال ، وأَغْضَوْا عمَّن قُتِل . فبعثَ معهم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه سيفُه أَمارَةً — ليردّ عليهم زيدٌ ما أَخَذَ لهُمْ . فردّ جميعَ ذلك بَعد ما فرّقه فيمن معه ، وقد وَطِئُوا النساء

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الاسلام

وكانت سَرِيَّةُ عبد الرحمن بن عَوْف رضى الله عنه إلى كلْبِ بدُومَةِ الجَنْدَل فى شَعْبان منها ، ليَدعُوَ كلباً إلى الإسلام ، ومعه سبعمائة رجل . فأقْعَده بين يَدَيه ، ونقَضَ عِمامَتَه بيَده الكريمة ، ثم عَمَّمَه بعِمامَةٍ سَوْدَاء ، وأَرْخَى بين كَتِفَيه منها ، ثم قال : هٰكذا فاعتَمَّ يا ابنَ عوْفٍ ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : اُغْدُ باسْمِ الله وفى سبيل الله فقَاتِل من كفَر بالله . لا تَغُلَّ[2] ولا تَغْدِرْ ولا تَقْتُلْ وَليداً . ثمّ بسطَ يدَه فقال : يا أيها النّاس ! اُتقُوا خمساً قبلَ أن تَحلَّ بكم : ما نُقِصَ مِكْيَالُ قوْمٍ إلّا أَخَذهم الله بالسِّنين[3] ونَقْصٍ من الثَّمَرات لعلَّهم يَرجعون ، وما نكَثَ قومٌ عَهْدهم إلا سلَّط الله عليهم عَدُوَّهم ، وما مَنَع

الخمس المهلكات

(١) ثوب سمل : بال خلق
(٢) غلّ يغلّ : خان فسلّ لنفسه بعض الغنيمة
(٣) السنين جمع سنة : يراد بها القحط والجدب ، والعام الذى يكون مجدباً

قومٌ الزَّكاةَ إلَّا أَمْسك الله عنهم قَطْرَ السَّماء : ولولا البهائِم لم يُسقَوْا ، وما ظَهَرَتِ الفاحشةُ فى قومٍ إلَّا سَلَّطَ الله عليهم الطَّاعون ، وما حكمَ قومٌ بغيرِ آىِ القُرآنِ إلاَّ أَلبَسَهُمْ[1] شِيَعًا وأذاق بعْضَهُم بأْسَ بعضٍ

إسلام الأصبغ ملك كلب ، وزواج عبد الرحمن بن عوف تماضر ابنته

فسارَ عبد الرحمن حتى قَدِم دُومةَ الجَنْدل ، ودَعا أهلَها ثلاثة أيَّامٍ إلى الإسلام وهمْ يأْبَوْن إلا محاربته . ثم أَسلَمَ الأَصْبَغُ بن عمرو بن ثعلبة بن حِصن ابن ضمضم الكلبى : وكان نصرانِيًّا وهوَ رَأْسُ القَوْم ، فكتب عبد الرحمن ابن عَوْفٍ بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رَافع بن مَكيثٍ ، وأنَّه أراد أن يتزَوَّجَ فيهم ، فكتب إليه أن تزوَّج تُماضِرَ ابنة الأصبغ ، فتزوَّجها ، فهى أوَّلُ كَلْبيَّةٍ تزوَّجها قُرَشِيٌّ ، فولدتْ له أبا سلَمَة ، [العتية][2] ، وهى أُخْتُ النُّعمان بن المُنذر لأُمِّه[3] . وأقبل بعدما فَرَضَ الجِزْية على من أقام على دينه

سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر

ثم كانت سريَّةُ علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بنى سعْد بن بكر[4] وكانوا بفَدَكَ فى شعبان منها ، ومعه مائةُ رجُل . وقد أَجْمعوا [يعنى بنى سعد بن بكر][5] على أن يُمِدُّوا يهودَ خيْبر . فسارَ ليلاً وكمَنَ نهاراً ، حتى [إذا][5] انتهى

(١) ألبسهم : من قولهم لبس الأمرَ أى خلط بعضه ببعض ، يريد يخلطهم فيجعلهم فرقاً متنابذين مختلفين متباغضين

(٢) هكذا رسم هذه الكلمة فى الأصل ولم أهتد لصواب أقرؤها به ، وربما وضح الكلام بحذفها

(٣) ولعل المقريزى يريد أنّ تماضر بنت الأصبغ هى أخت النعمان بن المنذر لأمّه ، ولم أجد هذا القول فيما بين يدىّ من الكتب ، وكلّ ما وجدته فى ذلك أن أم تماضر هى : « جويرية بنت وبرة بن رومانس من بنى كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة من كلبٍ » . انظر ترجمتها فى ابن سعد ج ٨ ص ٢١٨

(٤) فى الأصل : « بنى عبد الله سعد بن بكر » ، والذى أثبتناه هو نص ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٥) زيادة للبيان والإيضاح . وفى الأصل بعده : « حتى انتهى » .

إلى ماء بين خيبر وفدَكٍ يقال له الهَمَجُ ، وجَد عَيناً لبنى سعْدٍ قد بعثوه إلى خيبر — لتجعل لهم يهودُ من ثمَرها كما جعلوا لغيرهم ، حتى يَقْدَمُوا عليهم — فدَلَّهم على القَوْم بعدما أَمَّنوهُ . فسار علىٌّ حتى أغارَ على نَعَمِهم وضَمَّها ، وفرَّت رُعاتُها فأَنْذَرَتِ القوم . وقد كانوا تجمَّعوا مائتى رجُل ، وعليهم وبَرُ بن عُلَيْم[1] ، فتفرَّقوا . وانتهى علىٌّ بمن معه فلم ير منهم أحداً ، وساق النَّعم : وهى خمسمائة بعيرٍ وألفا شاةٍ . فعزَلَ الخُمُسَ وصفِيَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَقُوحاً تُدْعى [الحفدة][2] ، ثم قَسم ما بقى ، وقَدِم المدينة

سرية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة، وسببها

ثم كانت سرِيَّة زَيْد بن حارثة إلى أُمِّ قِرْفَةَ فاطمَة بنت ربيعة بن بَدْرٍ الفَزَارِيَّةِ ، بناحية وادى القرى : على سبع ليال من المدينة ، فى رمضان سنة ستٍّ . وسببُها أنّ زيداً خَرَج فى تجارة إلى الشَّأْم ، [ومعه بضائعُ لأصحاب النَّبىِّ صلى الله عليه وسلم][3] ، فخرجَ عليه — دُوَيْنَ وادى القُرَى — نَاسٌ من بنى بَدْر من فَزَارة فضربوه ومن معهُ حتى ظنوا أنّهم قد قتلوه ، وأخذوا ما كان معه ؛ ثم تَحامَل حتى قَدِم المدينةَ . فبعثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سَرِيَّةٍ إلى بنى فَزَارة ، فكان يكْمُن نَهاره ويسير لَيلَه ، ونَذِرتْ بهم بنو بَدرٍ فاستعدُّوا لهم . فلما كان زيدٌ ومن معه على مَسيرة ليلة أخطأَ بهم دليلُهم الطَّرِيق ، حتى صبَّحوا القَوْمَ فأحاطُوا بهم . فَقَتل سلمة بن الأَكْوع رجلاً منهم ، وأخذ [سلمة بن][4] سلامَة بن وقَش ، [ويقال بَلْ سلَمة بن الأكوع ، واسم الأكوع سِنَان] ، جارِيَةَ بنت مالك بن حُذَيْفة بن بدر وأمَّها أمّ قِرفة : فاطمةَ بنت ربيعة

(١) فى الأصل : « وبرب علبم »

(٢) لم أجدها إلا فى ابن سعد ج ٢ ص ٦٥ وهى هناك « الحفدة » ، ولا أدرى صواب ضبطهما

(٣) زيادة للبيان والإيضاح من ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٤) هذه الزيادة لا بُدَّ منها ، فليس فى الصحابة سلامة بن وقش

ابن بدر ، وغنِمُوا . ثم قدِموا المدينةَ ، فقَرَع زيدُ بن حارثةَ البابَ ، فقامَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَجُرُّ ثوبَه عُرياناً حتى أعتنَقَه وقبَّله ، وسأله فأخبره بما ظفَّره الله . وقُتل فى هذه السريّة عبد الله بن مَسعَدة ، وقيسُ بن النُّعمان ابن مسعدة بن حكَمة بن مالك [بن حُذَيفة][1] بن بدر ، أحدُ بنى فَزارة . وأمُّ قِرفةَ قَتَلها قَيْسُ بن المُحسِّر [اللَّيْثِىّ][2] قَتْلاً عنيفاً : رَبط بين رِجْلَيها حبلاً ، ثمّ ربَطها بين بعيرَيْن [ثمّ زَجَرهما فذهبا فقطعاها][3] ، وهى عجوز كبيرةٌ . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسها فدير به فى المدينة ليُعلَمَ قتلها ، ويَصدُق قولُ رسولِ الله فى قوله لقُرَيشٍ : « أرَأيتُمْ إنْ قَتَلْتُ أُمَّ قِرْفَةَ ؟ فيقولون : أيَكونُ ذلك[4] ؟ » وكان زوجُها مالكُ بن حُذيفة بن بدر . وأخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَلَمَةَ بن الأكْوع ابنةَ أُمِّ قِرفةَ ، فوهبها لحَزْنِ بن أبى وَهب بن عمرو بن عائذِ بنِ عمران بن مخزوم ، وهى مُشركة وهو مُشرك ، فولدتْ له : عبد الرحمن بن حَزْن ، وكانت جميلةً

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودى بخيبر

ثم كانت سريّةٌ أميرُها عبدُ الله بن رَواحة إلى أُسَير بن زَارِم[5] بخَيبَر ، وكان من يَهود ، فى شوال سنة ست . وكان قد بعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبل ذلك فى رمضان فى ثلاثة نفرٍ ينظُرُ إلى خيبر وما تَكلَّم به يهود ، فوَعَى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيّام ، فقدِم لليال بَقين منه ، فأخبر رسولَ الله صلى

(١) زيادة من النسب

(٢) زيادة ، وفى ابن هشام ج ٢ ص ٨٩٠ « المسحر »

(٣) زيادة لتمام المعنى من ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٤) كانت العربُ تقول ، إذا رأوا أمراً عجباً فعَله أحدهم غير متهيبٍ : « لو كنت أعزّ من أمّ قرفة ما زدْتَ » ، وضربوا بها المثل فقالوا : « أمْنع من أمّ قرفة » و « أعز من أم قرفة » . وذلك أنها كانت فى بيت شرف فى قومها ، وأنّه كان يُعلقُ فى بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً ، كلهم لها محرم . وكانت هذه المعركة تسبّ رسولَ الله وتكثر

(٥) وفى ابن هشام ج ٢ ص ٩٨٠ « اليسير بن رزام » و « رازم » أيضاً

خبر أسير بن زارم

الله عليه وسلم بما نَدَبَهُ إليه . وكان أُسَير قد تأمَّر على يهودَ بعد أبي رافعٍ ، فقام فيهم يُرِيد حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسار فى غطفَان فجَمعها ليسير إلى المدينة . فقدم بخبَره خَارجة بن حُصَيل الأشْجعىّ[1] . فنَدَب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاسَ فانتَدب له ثلاثون رجلاً ، واستعملَ عليهم عبدَ الله ابن رَوَاحة رضى الله عنه . فقَدِموا خيبر ، وبَعثوا إلى أُسيرٍ فأمَّنهم حتى يأتوه[2] فيما جاءوا فيه ، فأتوْه وقالوا له : إنَّ رسول الله بَعثَنَا إليك أن تَخرُج إليه فيستعملَكَ عَلَى خيبر ويُحسِنَ إليك . فطَمِع فى ذلك ، وخرَج فى ثلاثين من يهود ، ثم نَدِم فى أثناء الطَّريق حتى عُرِف ذلك منه . وهمَّ بعَبد الله بن أُنيس — وكان فيمن خَرَج مع ابن رَوَاحة — ففَطِنَ عبدُ الله بغَدْرِه وبَادَره لِيقْتُله ، فَشَجَّه أُسَيْرٌ ثم قُتِل . ومالُوا على أصحابه فقَتلوهم كلهم ، إلا رجلاً واحداً فرَّ منهم ؛ ولم يُصَب أحَدٌ من المسلمين . وقَدِموا المدينة — وقد خرَج لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتَحَسَّبُ[3] أخبارهُمْ — فحدَّثُوه الحديثَ ، فقال : نَجَّاكم اللهُ من القَوم الظَّالمين . ونَفَث فى شَجَّة عبدِ الله ابن أُنيس فلم تَقِح[4] بعد ذلك ولم تُؤْذِه ، وكان العظمُ قد نَقِل[5] . ومسح على وجْهه ودَعا لَهُ ، وقطع له قِطْعةً من عصاه فقال : أمسكْ هذه علامةً بينى وبينَك

غدرة اليهودىّ

(١) خارجة بن حصيل ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً ولا ذكرا ، ولا رأيت أحداً من أصحاب السير ذكره فى خبر هذه السرية . وأخشى أن يكون هو خارجة بن الحير الأشجعى : ذكره ابن هشام فيمن شهد بدراً ج ١ ص ٥٠٠ ، وترجم له صاحب أسد الغابة ، وابن حجر فى الإصابة وقال : « هو حارثة بن حمير الأشجعى » وترجم له فيه

(٢) فى الأصل : « يأتونه »

(٣) تحسب الخبر واحتسبهُ : تطلبه وتحسَّسَهُ وتعرَّفهُ

(٤) فى الأصل : « تقح » ، وفاحت الشجة : نفحت بالدم

(٥) نقِلت الضربة العظم : كسرته حتى يخرج منه فراش العظام ، وهى قشور تكون على العظم دون اللحم ، وتسمى هذه الضربة ، المنقِّلة

يومَ القِيامَة أعرِفُك بها ، فإنَّك تأتى يومَ القِيامة مُتَخَصِّرا[1] . فجُعِلت معه فى قبرِه تَلِى جِلْده . ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد قال له : يا عبدَ الله ! لا أرى أُسير بن زَارم ! أى أُقْتُله

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سريَّة كُرز بن جابر بن حِسْل بن لَاحب بن حبيب بن عمرو بن شَيبَان بن محارب بن فِهر بن مالك القُرَشىّ الفهرىّ — لمّا أُغير على لقَاح النبى صلى الله عليه وسلم بذِى الجَدْر — فى شوال سنة ست — وهى على ستَّة أميال من المَدينة . وذلك أنَّ نفراً من عُرَينَة ثمانيةً قَدِموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم [فأسلموا ، واستَوْبأوا المدينة . وطَحِلوا ، فأمرَ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم][2] إلى لقاحِه — وكان سَرْحُ المسلمين بذى الجدْر ناحيةَ قُباء قريباً من عَيْر ، ترْعى هُناك — فكانوا فيها حتى[3] صَحُّوا وسَمِنوا — وكانوا استأذَنوه أن يشرَبوا من ألبانها وأبوالِها فأذِنَ لهم — فغَدَوْا على اللِّقاح فاستاقوها . فيُدْرِكُهم يسارٌ مَوْلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه نفرٌ فقاتَلهم ، فأخذوه فقَطعوا يدَه ورِجلَه وغرَزوا الشَّوْكَ فى لسانه وعَيْنيه حتى مات ، وأنْطلقوا بالسَّرح . فأقبلَتْ امرأةٌ من بَنى عمْرو بن عوف على حمارٍ لها حتى تَمُرَّ بيسار فتَجِدُه[4] تحتَ شَجَرةٍ ، فلما رأَتْهُ وما بِهِ رَجَعتْ إلى قومها فأخْبَرَتْهم ، فخرجوا نحو يسارٍ حتى جاءوا بِهِ إلى قُباء مَيِّتاً . فبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إثْرِهم عشرِين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْزَ بن جابر الفِهْرِىّ ، فخرجوا فى طَلَبهم حتى

(١) أى يحمل المخصرة وهى العصا

(٢) زيادة لا بدّ منها لتمام الكلام ، من ابن هشام ج ٢ ص ٩٩٩ ، وابن سعد ج ٢ ص ٦٧ . واستوبأ الأرض : استوخمها ووجدها وبئة . وطحل : شكا الوجع من طِحَاله

(٣) فى الأصل : « حتى إذا » ، والسياق فى حذف إذا

(٤) هذه الكلمة فى الأصل مضطربة ممجمجة

أدركهم الليلُ فباتوا بالحرَّة ، وأصبحوا لا يَدْرُون أين يَسلُكُونَ ؛ فإذَا هُمْ بامرأةٍ تحملُ كِتفَ بَعيرٍ فأخذُوها ، فقالوا : ما هٰذا مَعَك ؟ قالت : مررتُ بقومٍ قد نحروا بعيراً فأعطَوْنى هٰذا . ودلَّتهُم عَلَى موضعهِمْ فأتوهم ، فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم ، ورَبطوهم ، وأردَفُوهُم[1] على الخيلِ حتى قَدِموا بهم المدينة — وقد خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغابةِ[2] — فأتوه بهم . فقُطعَت أيديهم وأرجُلُهم ، وَسَمَلَ[3] أعيُنَهم ، وصُلِبوا بالزُّغابة

عقاب الأسرى

فنزلت هذه الآية : « إنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسولَهُ وَيَسعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خلاف أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فى الدُّنْيَا وَلهُمْ فى الآخرَةِ عذَابٌ عَظِيمٌ » (المائدة : ٣٣)[4] فلم تُسْمَل بعد ذلك عَين ، ولا بَعثَ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بَعثاً إلا نَهاهُمْ عن المُثْلة . وَرَوَى جَعفَر بن مُحمد ، عن أبيه ، عن جدِّه[5] : لم يَقْطَع رسول الله صلى الله عليه وسلم لساناً قطُّ ، ولم يَسْمُل عيْناً ، ولم يَزِدْ عَلَى قَطْعِ اليَدِ وَالرِّجْل

النهى عن المثلة

ولما ظفر المسلمون باللِّقاح خلَّفُوا عليها سلمة بن الأكوَع ومعه أبُو رُهْمٍ الغِفَارِىّ ، وكانت خمس عشرةَ لقحةً غِزَاراً . فلمَّا أقْبل النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم من الزُّغابة إذا اللِّقاح على باب المسجد تَحَانُّ[6] ، فلما نظر إليها تَفقَّدَ منها لِقْحةً

اللقاح

(١) أردفه : جعله رديفاً ، فأركبه خلفه

(٢) فى الأصل : « بالغابة »

(٣) سَمَلَ العين : فقأها

(٤) فى الأصل : « ... فساداً ، الآية »

(٥) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعلى بن الحسين يروى عن جده على بن أبى طالب حديثاً مرسلا

(٦) هذا الحرف فى الأصل غير منقوط ، وهكذا قرأناه ، ولم يذكر أصحابُ اللغة =

يقال لها الحنَّاء ، وقد نحرَها القوم ، فردَّها إلى ذى الجَدْر فكانت هناك ، وكان لبنُها يروحُ به سلمةُ بن الأكوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلَّ ليلة وَطْبُ[1] لبنٍ

عُمْرة الحديبية

ثم كانت عُمْرَةُ الحدَيْبية [على مقربة من مكة][2] . وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رأَى فى النَّوم أنَّه دخل البيت ، وحلَّق رأسه ، وأخذ مِفتاحَ البيْت ، وعرَّف مع المُعرِّفين[3] ؛ فاستَنفَرَ الصَّحابة إلى العُمْرة ، فأسرعوا وتهيَّأُوا للخروج . وقَدِمَ عليه بُسْرُ بن سفيان بن عَمرو بن عوَيْمر الخزاعىُّ فى ليالٍ من شوال مُسْلماً ، فقال له : يا بُسْرُ ! لا تَبرَحْ حتى تخرُجَ معنا ، فإنا إن شاء الله مُعْتمِرون . فأقام ، وأبتاع بُدْناً لِرَسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يَبْعَثُ بها إلى ذِى الجدرِ حتى حَضر خرُوجه ، فأمَرَ بها فحُلِبت إلى المدينة ، وسلمها إلى ناجِية بن جُندُب بن عُمَير بن يعْمر بن دارِم بن عمرو بن وَاثلة بن سهم[4] بن مازن ابن سلامان بن أسلَم بن أفْصى الأسلمىّ ليقدِّمها إلى ذى الْحُليفة . وخرج المُسْلمون لايَشُكُّون فى الفَتْح — للرؤيا المذكورة — ، وليس معهم سِلاحٌ إلا السيوف فى القُرُبِ . وساق قومٌ الهَدْى[5] : منهم أبو بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفّان ، وطلحةُ بن عبيد الله ، وسعد بن عبادة رضوان الله عليهم

إسلام بسر بن سفيان ، وهداؤه الهدى لرسول الله

سلاح المسلمين وهديهم

كلام عمر فى أمر السلاح

وقال عُمَر بن الخَطّاب رضى الله عنه : أتَخْشَى يا رسولَ الله عَلَيْنَا من

= هذا البناء ، وهو لا ينكر . وهو من ألحنين (تفاعل) ، إذا سمع بعضها صوت بعض حنَّ ، فتردَّد حنينها وترجّعُه

(١) الوطبُ : سقاء من جلد يكون للبن خاصة

(٢) الذى بين القوسين كان فى الأصل بعد قوله : « وطبُ لبن » ، وهذا حق مكانه

(٣) عرَّف : وقف بعرفة فى الحجّ

(٤) فى الأصل : « واثلة بن تيم »

(٥) الهدى : ما يُهدَى من النعم إلى بيت الله الحرام فينْحر ، فى الحج

أبى سُفْيان بن حرب وأصحابه ولم تَأْخُذْ للحرب عُدَّتها ؟ فقال : ما أدرى ، ولستُ أُحِبُّ أَحْمِلُ السِّلاحَ مُعْتَمِراً . وقال سَعْد بن عُبادة رضى الله عنه : لو حَمَلْنا يارسول الله السِّلاحَ مَعنا ، فإنْ رأَيْنا من القَوْم رَيْبًا كُنَّا مُعِدّين لَهُم ! فقال : لستُ أَحْمِلُ السِّلاح ، إنَّما خرجْتُ مُعْتَمِرًا

يوم الخروج

٥ واستخلفَ على المدينةِ ابنَ أُمِّ مكتُومٍ . وخَرَج من المدينةِ يومَ الاثْنَين لهلالِ ذى القَعْدة . هذا هو الصَّحيح ؛ وإليه ذَهب الزُّهْرى ، وقَتَادة ، ومُوسى ابن عُقْبة ، ومُحمّد بن إسحاق ، والواقدىُّ . واُختُلِفَ فيه على عُرْوَة بن الزُّبَيْر عَنْه : خَرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُدَيْبِيَة فى رمضان ، وكانت الحدَيبيةُ فى شوال . وعنه : أنَّها كانت فى ذى القَعدةِ من سنة ستٍّ

بدء الجهاز للعمرة

١٠ قال الواقدىُّ : فاغْتَسل فى بَيْته ، ولَبِس ثَوبين من نَسْجِ صُحار[1] ، وركب راحلَته القَصْواء من عند بَابه ، وخَرَج المُسلمون . فصلَّى الظهرَ بذِى الحُلَيْفَة ، ثم دعا بالبُدْن فجُلِّلتْ[2] ، ثم أَشْعَر منها[3] عِدَّةً — وهى مُوَجَّهاتٌ إلى القِبْلة — فى الشقِّ الأيمن . ثم أمر ناجية بن جُنْدُب بإشْعارِ ما بَقِىَ ، وقَلَّد[4] نَعْلاً نَعْلاً ، وهى سبعون بَدَنَة : منها جَمَل أبى جَهْلٍ الذى غَنمه يوم بدْرٍ . وأَشْعر

إشعار الهدى وتقليده

١٥ المُسْلمون بُدْنَهم ، وقَلَّدوا النِّعال فى رِقَابها . وبعثَ بُسْرَ بن سُفْيان عَيْناً لَهُ ، وقدَّم عَبَّادَ بن بشرٍ طليعةً فى عشرين فرساً ، ويقالُ جَعَل أميرَهم سَعْد بن زيدٍ الأَشهلى

(١) صُحار : قرية باليمن كانت تعمل بها الثياب وتنسب إليها

(٢) جلّل البدنة : ألقى عليها بُرداً أو غيره ، وفى الحديث : «أنّه كان يجلّل بُدْنه القَبَاطِىّ» : وهى ثياب من كتان بيض رقاق كانت تعمل بمصر

(٣) أشْعَر البَدَنَة : أعْلمها ، وهو أن يشقّ جلدها أو يطعنها فى سنامها فى أحد الجانبين بمبضع حتى يظهر الدم ، ويُعْرف أنها هَدْى

(٤) قَلَّدَ البدنة : علّق فى عُنقها عُرْوة مزادة أو خَلَق نَعْل فيُعْلم أنها هَدْى

إحرام رسول الله من ذى الحليفة

ثم صَلَّى ركعتَيْن وركب من باب المسجد بذى الحُلَيْفَة[1] ، فلما انبَعَثَتْ به رَاحِلَتُه مُسْتقبلةَ القِبْلةَ أَحْرم فَلَبَّى: « لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَاشَرِيكَ لك ، لَبَّيْكَ إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمةَ لَكَ ، والمُلْكَ لا شَرِيكَ لكَ » . وأحْرم عَامَّةُ النَّاس

عدد المسلمين

بإحْرامِه . وسَلَك طَرِيق البَيْدَاء ، وخَرَج معه من المسلمين ألفٌ وستمائة ، ويقال ألفٌ وأربعمائة ، ويقال ألفٌ وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ، ويقال ألفٌ وثلاثمائة .

عدد النساء

وأَرْبَع نِسْوة : أُمُّ سَلمة أُمُّ المؤمنين ، وأُمُّ عُمَارة ، وأُمُّ مَنِيعٍ — أَسْماء بنت عمرو ابن عدى [بن سِنَان بن نَابِىٍ[2]] بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَةَ الأَنْصَارِيَّة ، وأُمُّ عَامر الأَشْهلية . وقال بعضهم : كانوا سبعمائة . قال ابن حَزْم : وهذا وَهَم شَديدٌ أَلْبَتَّةَ ، قال : والصحيحُ بلا شَكٍّ ما بَيْن أَلْفٍ وثلاثمائة إلى ألفٍ وخمسمائة

مقالة بنى بكر ومزينة وجهينة

ومَرّ فيما بَيْن مكة والمدينـةَ بالأعراب بنى بكْرٍ ومُزَينة وجُهَينة فاستَنْفَرهم ، فتشاغَلُوا بأَبنائهم وأَموالهم ، وقالوا فيما بينهم : أَيُرِيد محمدٌ أَنْ يَغْزُوَ بِنَا[3] إلى قومٍ مُعِدِّين فى الـكُرَاع والسِّلاح ؟ وإنَّمَا مُحَمَّدٌ وأصحابه أَكَلَةُ جَزُورٍ[4] ! لن يرْجعَ مُحَمَّدٌ وأصحابُه من سفرهم هذا أبداً ! قَومٌ لا سِلَاحَ معهُم ولا عَدَد ! ثم قدمَ ناجيةُ

هدية بنى نَهْدٍ

ابن جُنْدُب مع الهدْىِ فى فتيانٍ من أَسلم ، ومعهم هَدْىُ المسلمين . ولقى بالرَّوْحاءِ طائفةً من بنى نَهْدٍ ، فدعاهم إلى الإسلام فأَبَوْا ، وبَعثُوا إليه بلَبَنٍ من نَعمهم فقال :

(١) فى الأصل : « بالحديبية »

(٢) فى الأصل مكان مابين القوسين : [بن أبى بن عمرو] ، والذى ذكرناه هو نصّ ابن سعد ج ٨ ص ٢٩٨ ، وفى أسد الغابة بحذف « سنان » ، وفى الإصابة كما فى أسد الغابة ، إلاّ أنه جعل مكان « نابىٍ » « ياسر »

(٣) فى الأصل : « أيريد محمداً يغزوننا »

(٤) هذا كناية عن قلة عددهم ، فإن أكلة الجَزُور لا يزيدون على العشرة (انظر ص٧٧ ، خبرَ حزر عدة المشركين يوم بدر) . ومن كنايتهم فى ذلك أيضاً « ماهم إلا أكلةُ رأسٍ » : أي قليل قدر ما يشبعهم رأس واحد

ردّ هدية المشركين

لا أَقبل هَدِيَّةَ مُشرِكٍ . ورَدَّه ، فاُبتاعه المسلمون منهم . واُبتَاعوا ثلاثة أَضُبٍّ[1] فأَكلَ منها قوم أَجِلَّةٌ . وسأَلَ المُحْرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : كلُوا ، فكُلُّ صَيدِ البَرِّ لكم حلالٌ فى الإحْرام تَأْكُلونه إلَّا مَا صدتُم أَوْ صِيدَ لكُمْ . ورأَى أَبو قَتَادة بالأَبواءِ حِمَاراً وَحْشيًّا — وكان مُحِلاً[2] — فحَمل عليه فقَتَله ، فأَكلَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاءه يومئذٍ الصَّعبُ بن جَثَّامة ابن قَيْس اللَّيْثِيُّ بحمارٍ وَحْشيٍّ أهداه له فرَدَّه وقال : إنَّا لم نَرُدُّه إلَّا أَنَّا حُرُمٌ .

الصَّيد فى الحرم

هدية إيماء بن رحضة

وأَهْدَى لَهُ إيماءُ بن رَحْضَة بن خربة الغِفَارىُّ مائة شاةٍ ، و بعيرَين يَحْملان لَبناً : بعث بهما مع ابنه خُفَاف ابن إيماءَ ، ففرَّق ذلك وقال : بارَكَ الله فيكم . وأَهْدِى لَهُ من وَدَّان بنيا[3] [وهو حَبٌّ أَبْيض كالحِمّصِ] وعِتْرٌ وضَغَابيسُ ، فجَعَل يَأْكُل الضَّغَابيسَ[4] والعِتْرَ وأَعجبَهُ ، وأَدْخَل منه على أُمِّ سَلمة

خبر كعب الذى آذاه القمل وهو محرم

ورأَى بالأَبوَاء كَعْبَ بن عُجْرَةَ بن أُميّة بن عَدِىّ بن عُبَيد بن الحارث البَلوِىَّ ورأْسُه يَتهافَتُ قملاً وهو مُحْرِمٌ ، فقال : هل تُؤْذِيكَ هَوَامُّك يا كَعب ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : فَاحْلِق رأْسكَ . وفيه نزلتْ : « فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ » الآية (البقرة: ١٩٦)[5] ، فأمرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَذْبحَ شاةً ،

---

(١) أضبّ وضباب جمع ضَبّ : هو من حشرات البَرّ سَبْط الخلق أحرش الذنب مفقَّرُه ، وذنبُه ذوعقد وأطوله يكون قدر شبر ، ولونه إلى الصُحْمة : وهى غبْرة مشربة سواداً ، وإذا سَمِن اصفرّ صدرُه ، ولا يأكل إلا الجنادب والجراد والعشب ولا يأكلُ الهوامّ . وكانت الأعرابُ يحرصون على صيده وأكله

(٢) المُحِلّ : الرجُل غير المحرِم الذى لم يتلبّس بأسباب الحج وأحكامه

(٣) هكذا فى الأصل ، ولم أهتد لصوابها أو تصحيفها

(٤) العتر : شجرة صغيرة منبتها نجد وتهامة لها ثمر صغار تؤكل غضّة . والضغابيس : القثّاء الصغارُ

(٥) فى الأصل : « وفيه نزلت ، ففدية ... »

أَو يَصُومَ ثلاثة أيَّام ، أَو يُطْعِمَ ستَّةَ مَساكين : لكُل مسكينٍ مُدَّين ، أَىَّ ذلك فَعَل أَجزَأَهُ . ويقال : إنَّ كَعْب بن عجرَة أَهدى بَقَرَةً قَلَّدها وأَشْعَرَها

ما عَطِب من الهدى

وعطِبَ[1] من نَاجية بن جُنْدُب بعيرٌ من الهدى ، فجاء بالأَبواء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَخْبره ، فقال : أُنْحَرها[2] ، واُصبُغْ قَلائِدَها فِي دَمِها ، ولا تَأْكُل أَنتَ ولا أَحد من أهل رُفْقَتِكَ منها ، وخَلِّ بين النَّاس وبَيْنها

نزول الجحفة

ولما نزل الجُحْفَة لم يَجِدْ بها ماءً ، فبَعثَ رجلاً فى الرَّوَايَا إلى الخَرَّار ، فرجع بها وقال : يارسول الله ! ما أَستطيع أن أَمْضِىَ رُعباً ! فبعث رجلاً آخر بالرَّوَايا ، فرجع وذَكر كما ذكر الأَوَّل . فبعثَ آخر وخَرَج السُّقَّاء مَعهُ ، فاستَقَوا وأَتَوْا بالماء .

خطبة رسول الله

ثم أمر بشَجَرةٍ يُقَمُّ[3] ما تحتَها ، وخَطَب الناسَ فقال : إنى كَائِنٌ لكم فَرَطًا[4] ، وقَد تَرَكتُ فيكم مَا إنْ أَخَذْتم بِهِ لم[5] تَضلُّوا : كتابَ الله وسنَّةَ نبيِّه

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلَغَ أهلَ مكة خروجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَاعَهُمْ ذلك ، وتَشَاوَرُوا . ثم قدَّموا عِكْرِمة بن أبى جَهْل — ويقالُ خالدَ بن الوليد — على مائتىْ فارسٍ إلى كُرَاع الغَمِيم ، واستَنْفَروا من أَطاعهم من الأَحابيش ، وأَجْلَبَتْ ثقيفٌ معهم . ووَضَعوا العيونَ على الجبالِ ، وهم عشرة رجالٍ يُوحِى بعضهم إلى بعضٍ بالصَّوْتِ : فَعل محمدٌ كذا وكذا ، حتى يَنتهى ذلك إلى قُرَيش ببَلْدَحَ . وخرَجوا إلى بَلدَحَ وضَرَبُوا بها القباب والأَبنية ، ومعهم النِّساء والصِّبيانُ ، فعسكَرُوا هناك ؛ وقد أَجْمعوا عَلَى مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ دُخولِ

(١) عطب البعير : اعترته آفة تمنعه من السير

(٢) الضمير هنا راجعٌ إلى « البدنة » ، وهى هذا البعير الذى عطب

(٣) قمَّ الكناسة : كنسها

(٤) الفَرَط : المتقدِّم إلى الماء يسبق الوُرَّاد ، فيهيىء لهم الأرسان والدِّلاَء ، ويملأ الحياضَ ويستقى لهم . وقال رسول الله « أنا فَرَطُكم على الحوض يوم القيامة »

(٥) فى الأصل : « لن »

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة ، ومشورة المسلمين

مَكة ومحاربته . ورَجَع بُسْر بن سُفْيان من مكة وقد عَلِم خبرَ القوْم ، فَلقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مِن وَرَاء عُسْفَان وأخبره الخبر . واستشار [رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] الناسَ : هل يَمْضى لوَجْهِه ويُقاتِل مَنْ صَدّه عن البَيْتِ ، أو يُخَالِفُ الذين اسْتُنْفِرُوا إلى أَهْلِيهم فيُصِيبُهم ؟ فأشارَ أبُو بكر رضى الله عنه أَنْ يَمْضُوا لوُجُوههم ، ويُقاتِلُوا من صدَّهم . وقال المِقداد بن عمرو : يا رسول الله لا نَقُول لَكَ كما قالتْ بَنُو إسرائيل لموسى : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُون » ولكن « اذهب أَنْتَ وربُّك فقاتلا إنَّا معكما[2] مُقَاتِلُون » . والله ، يارسولَ الله ! لو سرْت إلى بَرْك الغِماد لَسِرْنا مَعك ما بَقِى منَّا رَجُل . وقال أُسَيْد بن الحُضَيْر : يا رسول الله ! نرَى أَنْ نَصْمِدَ[3] لِمَا خَرَجْنا له ، فمن صدَّنا قاتَلْناه . فقال : إنَّا لم نَخْرُج لِقتَال أَحَدٍ ، إنما خَرَجنا عُمَّارًا

بديل بن ورقاء وخبر قريش

ولقِيَهُ بُدَيْل بن وَرْقَاء بن عبد العُزَّى بن رَبيعة بن جُرَىّ بن عامر بن مازن ابن عَدِىّ بن عمرو بن ربيعة [وهو لُحَىّ][4] الخُزَاعِىُّ — فى نفرٍ من خُزَاعة ، منهم الحُلَيْس بن عَلْقَمة الحارثىّ ، من بنى الحارث بن عَبْد مَنَاة ، فقال[5] : يا مُحَمَّد ! لقد اغْتَرَرْتَ بِقتَال قوْمِك حَلائِبَ[6] العرَب ، والله ما أَرَى معَك أحداً لَه وَجْهٌ ، مع أَنّى أراكم قوْمًا لا سِلاح معَكمْ ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : عَضَضْتَ بِبَظْرِ اللاَّت ! فقال بديل : أَمَا والله لَوْلَا يدٌ لَكَ عِندِى لأجَبْتُك ،

(١) زيادة للبيان
(٢) فى الأصل : « معكم » . وقد مضى مثل هذا الخبر فى غزوة بدر ص ٧٤
(٣) صَمد الأمر وصمد إليه : قصده واعتمده
(٤) فى الأصل : « عمرو لحى بن ربيعة »
(٥) القائل هو بُديل بن ورقاء
(٦) الحلائب : الجماعات يجتمعون للنصرة والإعانة ، من قولهم إذا جاء القومُ من كل وجه فاجتمعوا لحرب أو غير ذلك : قد أحلبوا . ويريدُ بديل أنهم أشتات من أفناء العرب

فوالله ما أُتِيَ أنا ولا قومي ألّا أكونَ أُحبُّ أن يَظهَرَ محمّدٌ . إنى رأيتُ قُرَيْشاً مُقاتِلتَك عَن ذَراريها وأَمْوالها ، قد خرجوا إلى بَلْدَح فاضطَرَبُوا[1] الأبنيَة ، معهم العُوذُ المَطَافيل[2] ، وتَرَافَدُوا على الطَّعام[3] يُطْعِمون الخَزِيرَ[4] من جاءهم ، يتقوَّوْن به على حَرْبك؛ فَرَ رَأْيَك[5] . وكانت قُرَيشٌ قد تَرَافَدُوا وجَمَعُوا أَمْوالًا يُطعمون بها من ضَوَى إليهم من الأَحابيش . وكان يُطْعَمُ فى أربعة أمكنة : فى دار النَدْوَة لجماعتهم ، وكان صَفْوانُ بن أُمَيّة ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمة بن أبى جَهل ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى كل منهم يُطعِم فى داره

دنوّ خالد بن الوليد فى المشركين للقاء المسلمين

ودَنَا خالدُ بن الوليد فى خَيْله حتى نَظَر إلى المُسلمين ، فصَفَّ خيله فيما بَيْنهم وبينَ القِبْلة ؛ فقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبَّاد بن بِشر فى خَيْله ، فقام بإزَائِهِ وصَفَّ أَصْحابَه . وحانَتْ صلاةُ الظُّهر فأذَّن بلالٌ وأقَامَ ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه مُسْتَقْبِلَ القِبْلة وهُم خَلْفَه ، يَرْكَعُ بهم ويَسْجُد ، ثم قامُوا ؛ فكانُوا على ما كانوا عليه من التَّعْبئَة . فقال خالدُ بن الوليد : قد كانوا على غِرَّةٍ ، لو كُنَّا حَمَلْنا عليهم أَصَبْنَا منهم ! ولكنْ تَأْتى الساعةَ صلاةٌ هى أَحَبُّ إليهم من أَنْفُسهم وأبنائِهم ! فنزَل جبريل عليه السلام بين الظُّهر والعصر بهذه الآية : « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ

صلاة الخوف

(١) اضطرب البناء : ضربه ، ونصبه ، وأقامه

(٢) العوذُ جمع عائذ : وهى الحديثة النتاج من الظباء والإبل وغيرها . والمطافيل جمع مُطفل : وهى ذاتُ الطفل من الإنسان والوحش . ويريدُ : معهم النساءُ والأطفالُ

(٣) ترافدوا : أعان بعضهم بعضاً

(٤) الخزيرُ والحزيرة : اللحم الغابُّ ، يؤخذ فيقطع صغاراً فى القدر ثم يلقى عليه دقيق ثم يُعْصَد

(٥) رَ : فعل الأمر من « رأى »

وَلْتأتِ طَائِفَةٌ أُخرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِن مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ، وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا »(النساء : ١٠٢) (١) . فجاءت العصرُ ، فأذّن بلالٌ وأقامَ ، فقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُواجِهاً القبلةَ والعدُوُّ أمامَه ، فكبّر وكبّر الصّفّانِ جميعًا ، ثم ركعَ فركعَ الصفّانِ جميعاً ، ثم سجَدَ فسجَدَ الصفُّ الذى يَليه ، وقام الآخرون يَحْرُسُونه . فلما قَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّجُودَ بالصَّفِّ الأوّل ، قامَ وقامُوا معه ، وسَجَد الصَّفُّ المُؤخَّر السَّجْدَتَين ، ثم استأخر الصفُّ الذى يَلونَه ، وتقدَّم الصفُّ المؤخَّر فكانوا يَلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامُوا جميعًا . ثم رَكعَ صلى الله عليه وسلم فرَكَع الصفّان جميعًا ، ثم سَجدَ وسَجد الصفّ الذى يَلونه ، وقام الصفُّ المؤخَّر يَحرُسونه مُقْبلين على العدُوِّ . فلما رَفع رأسَه من السَّجدتين ، سجَد الصفُّ المؤخرُ السَّجْدتين اللّتين بَقِيتا علَيهِم ، واستوَى صلى الله عليه وسلم جالسًا فتَشهّدَ ثم سلّم

الخلاف فى أوّل صلاة الخوف

وكان أبنُ عبّاسٍ رضى الله عنه يقول : هذه أوّل صلاةٍ صلّاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخَوف . وقال سُفْيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى عيّاشٍ الزُرَقِىّ : أنّه كان — يعنى أبنَ عباس — مع النبى صلى الله عليه وسلم يَومئذ ، فذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى هكذا . وذكر أبو عيّاشٍ أنّها أوّلُ ما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوف — يعنى ابنَ عباس . وقال الواقِدى : حدثنى رَبيعة بن عثمان ، عن وَهْب بن كيْسان ، عن

(١) فى الأصل : « ... فلتقم الآية »

جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أوّل صلاة الخوف فى غزوة ذات الرِّقاع ، ثم صلَّاها بعدُ بعُسْفَان ، بينهما أربعُ سنين . قال الواقدىُّ : وهذا أثبتُ عنْدنا(١)

مسير المسلمين إلى ثنيّة ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تيامَنوا فى هـذا العَصَلِ(٢) ، فإن عُيون قريش بمَرِّ الظَّهْران أو بضَجْنان ، فأيُّكم يعرف ثَنِيَّة ذات الحَنظَل ؟ فقال بُرَيْدَة بن الحُصَيْب : أنا ، يا رسـولَ الله ! فقال : أسلُكْ أمامَنا . فأخذ بُريدة فى العصَلِ ، قِبَل جبال سُراوِع قِبَل المغرب ، فسار قليلا(٣) وحار . فنزل حمزةُ بن عَمرو الأسْلمىُّ فسار بهم قليلا ، ثم لم يَدْرِ أين يَتوجَّه . فسار بهم عمرو ابن [عَبْدِ](٤) نُهْمٍ الأسلمىُّ . حتى بَلَغها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والّذى نفسى بيده ، ما مثْلُ هذه الثَّنِيَّة اللَّيلةَ ، إلَّا مثْل الباب الذى قالَ اللهُ لبنى إسرائيل : « ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ »(٥) . ثم قال : لا يجوزُ هذه الثَّنِيةَ أحدٌ إلّا غُفِر له . فجعل الناسُ يُسرِعون

خبر الثنيّة وأن من جازها غُفر له

طعَام المسلمين

فلمّا نزَل من الثَّنِيةِ قال : مَنْ كان معه ثُفْلٌ [أى دَقيق] فَلْيَصطَنِعْ(٦) . فقال أبو سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنـه : وأيُّنا معه ثُفْلٌ ؟ إنما كان عامَّةَ زادِنا التَّمْرُ . فقالوا : يا رسول الله ! إنَّا نخافُ من قُرَيشٍ أنْ ترانا ! فقال : إنهم لن يروْكُم ، إنَّ اللهَ سيُغَبِّيكُم(٧) عليهم . فأوْقَدوا النِّيران ، واصطَنع من أراد أنْ

(١) انظر : صلاة الخوف ص (١٨٩) ، وص (٢٦٢)
(٢) فى الأصل : « تنامنوا » . والعَصَل : الرَّمْل الملتوى المعوجّ
(٣) فى الأصل : « ليلا »
(٤) زيادة لا بُدّ منها . ونُهْم : صَنَم كان لهُمْ ، فتعبَّدوا له
(٥) آية البقرة : ٥٨ . وقوله تعالى « قولوا حطّة » : أى قولوا لله « لِتكنْ مِنْك اللهمّ حِطّة » ، فيحط الله عنهم ذنوبهم وخطاياهم ويغفر لهم
(٦) اصطَنع : أى اتخذ صنيعاً ، والصَّنيع : الطعام فى سبيل الله
(٧) يُغَبِّى ، من قولهم غَبِي عليه الأمرُ وغُمِّى : خفى ، أى سيُخفيكمْ ويضلهم عنكم

الغُفران

يصْطنِعَ : فلقَد أوْقَدوا خمسمائة نارٍ . فلمّا أصبحوا صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ ثم قال : والذى نفسى بيده ، لقد غفر الله للرَّكْبِ أجمعين ، إلّا رُوَيْكِباً واحداً على جملٍ أحمر ٱلْتفَتْ عليه رِحال[1] القوم : ليس منهم . فطُلِب

خبر الرجُل المحروم من غفران الله

فى العسكر فإذا به ناحيةً ، وهو من بنى ضَمْرَة من أهل سيف البحر[2] ، قد أَوَى إلى سعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل ، فقال له سعيدٌ — وقد قيل له ما قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — : وَيْحَك ! أذْهب إلى رسول الله يستغْفِر لك ! فقال : بعيرى أهمُّ إلىَّ من أن يَستغْفر . وكان قد أضلّ بعيرَه . فقال سعيد : تحوّل عنى ، لا حيّاكَ الله ! فانطَلق يطْلُب بعيره ، فبيْنا هُو فى جِبال سُراْوِع إذ زلِقَت نعلُه فتردَّى فماتَ وأكلتهُ السِّباعُ

أهل اليمن

وقال يومَئذ : أتاكُم أهلُ اليَمن كأنّهم قِطَع السَّحاب ، هُم خيرُ مَنْ على الأرض

الدنوّ من الحديبية ، وخبر راحلة رسول الله

وسار حتى[3] دنا من الحُدَيبِيَة — وهى طرَفُ الحرَم ، على تسعة أميال من مكة ، فوقَعتْ يَدا راحِلَته صلى الله عليه وسلم على ثَنِيَّةٍ تهبِطُ على غائط[4] القوْم ، فبَرَكتْ ، فقال المسلمون : حَلْ حَل . [يزجُرونَها] — فأبتْ أنْ تنْبَعِث ، فقالوا : خَلأَتِ القَصْواء[5] ! فقال : إنها ما خَلأَتْ ، ولا هُو لها بعادَةٍ ، ولكن حبَسها حابِسُ الفيل . أما والله لا يَسألونى اليوْم خُطَّةً فيها تعظيمُ حُرمَةِ الله إلّا أعطَيتُهم إيّاها . ثم زَجروها فقامتْ ؛ فولّى راجِعاً حتى نزَل بالناس على ثَمَدٍ من

(١) فى الأصل : « رجال »
(٢) سيف البحر : ساحِلُه
(٣) فى الأصل : « وسار فلما » ، وهذه أجود وهى نص ابن سعد ج ٢ ص ٦٩
(٤) الغائط : المكانُ المتسِع من الأرض المنخفضُ مع طُمَأنينة
(٥) خَلأَت الناقةُ : بركت وحَرَنت من غير عِلّة فلم تبرح مكانها ، ولا يقال إلا فى الإناث . أما الجمل فيقال له : ألَحَّ

خبر جيشان الماء من الثمد

ثِمادِ[1] الحُدَيبِيَة [ظَنونٍ] قليلِ الماء . واشتكى الناسُ قلّةَ الماء ، فانتزَع سهماً من كِنانته فأمرَ بهِ فغُرِزَ فى الثَّمَد ، فجاشتْ لهم بالرَّواء[2] حتى صَدَروا عنه بعَطَنٍ[3] ، وإنهم ليغْترفون بآنيتهم جُلوساً على شَفيرِ البِئْر . وكان الذى نزَل بالسهم ناجِيةُ بن جُندُب ؛ وقيل ناجِيةُ بن الأَعْجم ، وقيل خالدُ بن عُبادَة[4]

مقالة المنافقين فى دليل النبوّة

الغِفارِىّ ، وقيل البراء بن عازِب . وكان على الماء نفر من المنافقين ؛ الجَدُّ بن قيْس ، وأَوْسُ [بن خَوْلِىّ][5] ، وعبدُ الله بن أُبَىٍّ ، فقال أَوْس بن خولىّ : ويْحَك يا أبا الحُباب ! أما آن لك أن تُبصِرَ ما أنْتَ عليه ! أبعْد هذا شىء ؟ فقال : إنى قد رأيتُ مثلَ هذا . فقال أوسٌ : قبّحك الله وقبّحَ رأْيك ! فأقبل ابنُ أُبَىٍّ[6] يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أىْ أبا الحُباب ! أين رأيتَ مثْلَ ما رأيتَ اليوْم ؟ فقال : ما رأَيتُ مثْلَهُ قطُّ ! قال : فَلِمَ قُلتَ ما قُلتَ ؟ فقال عبد الله بن أُبَىٍّ : أستغْفِرُ اللهَ . فقال ابْنُه : يارسولَ الله ! استغْفِرْ له ! فاستغْفَرَ له

المطر ، والصلاة فى الرحال

ومُطِر المسلمون بالحدَيبية مِراراً وكثُرت المياه ، ومُطِروا مَطَراً ما ابتلَّتْ منه أسفُل النِّعال فنودى : إنَّ الصلاةَ فى الرِّحال . وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ فى الحُدَيبية فى إِثْر سماء[7] كانت من اللّيل ، فلمّا انصَرف أقْبل

(١) الثماد جمع ثمَد : وهو حفرة فى جَلد من الأرض يكون فيها ماء قليل لا يمِده شىء . والزيادة التى بعدُ من ابن سعد ج ٢ ص ٧٠ ، والظنون : قليل الماء لايوثق بمائه

(٢) الرَّواء : الماءُ الكثير العذبُ الذى فيه للواردين رىّ

(٣) رواية ابن هشام وغيره « حتى ضرب الناس عليه بعَطَنٍ » ، أى حتى بركت الإبل حول الماء بعد ماورويت . وتأويلُ « صدرت » هنا أى حتى شربت فرجعت فبركتْ حول الماء

(٤) فى الأصل : « عباد »

(٥) زيادة للبيان

(٦) فى الأصل : « فأقبل أبى »

(٧) السماء : المطر

الأنواءُ

على الناس فقال : هل تَدرون ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم ! قال : أصبحَ مِن عبادى مؤمنٌ بى [كافرٌ بالكوكب ، ومؤمنٌ بالكوكب كافر بى][1] ؛ فأمّا مَنْ قال : مُطِرْنا بفضْلِ الله ورحمتِه ، فذلك مؤمنٌ بى كافر بالكوكب ، وأمّا مَن قال : مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكوكب . وكان ابن أُبَيٍّ قال : هذا نَوْءُ الخريف ، مُطِرْنا بالشِّعْرَى

الهدَايا

وأهْدى عَمرو بن سالم و بُسر بن سُفْيان الخُزاعِيَّان بالحُدَيبِيَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غنَمًا وجَزُوراً ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عُبادة جُزُراً ، وكان صديقاً له . فجاء سعدٌ بالغَنَم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنَّ عمراً أهداها لهُ ، فقال : وعمرو قد أهْدى إلينا ما ترى ، فباركَ الله فى عمرو ! ثم أمرَ بالجُزُر[2] تُنْحَر وتُقسَّم فى أصحابه ، وفرَّق الغنَم فيهم من آخرِها . فدخل على أمِّ سلَمَةَ من لحم الجُزُر[2] كنحو ما دخل على رجلٍ من القوْم ، وشرِكَ عليه السلام فى شاتِه ، فدخل على أمِّ سلَمة بعضُها . وأمرَ صلى الله عليه وسلم للّذى جاء بالهَدِيَّة بكُسْوَة

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله

ولما اطْمَأَنَّ بالحُدَيْبِية ، جاءه بُدَيْلُ بن وَرْقاء وركبٌ من خُزَاعة — وهم عَيْبَةُ[3] نُصْحِ رسولِ الله بتهامة ، منهم المُسْلِم ومنهم المُوَادِع ، لَايُخْفُون عليه بتِهامة شيئاً — فسلَّمُوا . ثم قال بُدَيْل : جِئْناكَ من عنْد قَوْمك كَعْب بن لُؤَيّ وعامر بن لُؤَيّ ، قد اسْتَنْفَروا لك الأَحابِيشَ ومَنْ أطاعهم ، معهم العُوذُ المطَافِيل

(١) فى الأصل : « أصبح من عبادى مؤمناً بى وكافراً » وقد رددنا الحديث إلى أصْله وهو من حديث زيد بن خالد الجُهَنىّ رضى الله عنه ، مسند أحمد ج ٤ ص ١١٧

(٢) فى الأصل : « الجزور »

(٣) العيبة : وعاء من جلد يكون فيها المتاع يَصُونه . وعيبةُ نصح : كناية عن قلوبهم وما فيها من المودّة والنصْح لرسول الله وللمسلمين

— [النساء[1] والصِّبْيان] — يُقْسِمون بالله لَا يُخَلُّون بَينك وبَين البيت حتَّى تَبِيدَ خَضْرَاؤُهمْ[2] . فقال صلى الله عليه وسلم : إنّا لَمْ نَأْتِ لقتال أحَدٍ ، إنَّمَا جِئْنَا لنطُوفَ بهذا البَيْت ، فمن صَدَّنا عَنْه قَاتَلْناه . وقُرَيْشٌ قومٌ قد أَضَرَّتْ بهم الحَرْبُ ونَهكَتْهُم ، فإنْ شاءوا مَادَدْتهم مُدَّةً يأمَنُون فيها ، ويُخَلُّون فيما بَيْننَا وبَين النّاس — والناسُ أكْثَرُ منهم — ، فإن ظهر أَمْرِى على النّاس كانُوا بين أنْ يَدْخُلوا فيما دَخل فيه الناس ، أو يُقَاتِلوا وقد جَمُّوا[3] . والله لأَجْهَدَنَّ على أمرى هذا إلى أنْ تَنفرِدَ سَالِفَتِي أَوْ يُنْفِذَ الله أَمرَه ! فعاد بُدَيْلٌ وَرَكْبه إلى قريش ، وقد تواصوْا أَلَّا يَسْأَلوا بُدَيْلاً عما جاء فيه . فلما رَأَى أَنَّهم لا يَسْتَخبرونه قال : إنَّا جِئْنَا من عند محمَّد ، أتُحِبُّون أن نخبركم ؟ فقال عِكْرِمة بن أبي جَهل ، والحكَمُ بن أبي العاص : لَا ، واللهِ مَالَنا حاجةٌ بأَن تُخْبِرُونا عنه ، ولكن أخْبِرْه عَنَّا : أنَّه لا يَدْخلها علينا عَامَه هذَا أَبداً حتى لا يَبْقى مِنّا رَجُلٌ

سماع المشركين مقالة بديل

فأشَارَ عليهم عُرْوَةُ بن مسعُود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعْب بن عَمْرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقيف [واسمه قيْس] بن مُنَبِّه بن بَكر بن هَوَازِن بن عِكْرِمة ابن خَصَفَة بن قَيْس عيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان — أن يَسْمَعوا كلام بُدَيْل ، فإن أعجبهم قَبِلُوه ، وإلا تركوه . فقال صَفْوان بن أُمَيَّة ، والحارثُ ابن هِشام : أَخْبِرْنا بالذى رأَيتُم والذى سَمِعتُم . فأخبرُوهم بمقالةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عُروة بن مسعود : فإن بُدَيْلاً قد جاءكم بخُطَّةِ رُشْدٍ ، لا يرُدُّها أَحَدٌ إلّا أخذَ شرًّا منها . فاقْبَلوها مِنـه ، وابْعَثونى حتى آتِيكُم بِمصْدَاقِها ،

(١) فى الأصل : « والنساء »
(٢) خَضراؤهم : أى دهماؤهم وسوادهم وجماعتهم
(٣) جَمّ : استراح ، يريد استراحوا وكثروا واجتمعوا

بعثة قريش عروة ابن مسعود إلى رسول الله

وأكونَ لكم عَيْنًا . فبعثُوه . فقال : يا محمد ! إنى تركتُ قومَك عَلَى أَعدادِ(١) ماء الحُدَيْبية قد اسْتَنفَرُوا لك ، وهم يُقسمون بالله لا يُخَلُّون بَينَك و بين البيت حتى تَجْتاحَهم ، و إنما أنت من قِتالهم بَين أَحَد أمرَين : إمّا أن تَجتاحَ قومَكَ — فلم نَسْمَعْ برَجُل اُجْتاح أَصلَه قبلَك — أو بين أن يَخْذُلَك مَن نرى مَعك ، فإنّى لا أَرَى معك إلا أوْباشًا(٢) منَ النَّاس لا أَعرِفُ وُجُوهَهم ولا أنسابَهم . فغضِب أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه وقال : أَمْصَصْ بَبَظْرِ اللاَّت ! أنحنُ نَخْذُله ؟ فقال : أَمَا والله لولا يدٌ لكَ عندى لأَجَبْتُك ! وطَفِق عُرْوَة يَمَسُّ لحيةَ رسول الله وهو يُكلِّمه ، والمُغيرة بن شُعبة بن أبى عامر بن مَسعود بن مُعَتِّب بن مالك — قائمٌ على رأسِه بالسَّيْف ، فقَرَع يدَ عُرْوة [وهو عمُّه] وقال : اُكفُفْ يدَكَ عن مَسِّ لِحيةِ رسول الله قبْل أَلّا تصلَ إليْك . فلما فرَغ عُروةُ من كلامه ، وردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما قال لبُدَيْل بن وَرقاء ، عادَ إلى قريش فقال : ياقوم قد وَفَدْتُ على كِسْرَى وهِرَقْلَ والنَّجاشِيِّ ، و إنِّى والله ما رأيتُ مَلِكاً قطُّ أَطْوَعُ فيمن هُوَ بَين ظَهْرَانَيْه من محمدٍ فى أصحابه ، والله ما يُشِدُّون(٣) إليه النّظر ، وما يَرْفعُون عنده الصَّوت ، وما يكْفِيه إلّا أنْ يُشير إلى امرئٍ فيَفْعل ، وما يَتَنَخَّم وما يبصُقُ إلّا وَقَعَتْ فى يَدَىْ رجُلٍ منهم يَمْسَحُ بها جلْدَه ، وما يَتَوضّأُ من وَضوءٍ إلّا أَزْدَحموا عليه أيُّهُمْ يَظْفر منه بشىء . وقد حَزَرْتُ القومَ ، وأَعْلَمُوا أنَّكم إنْ أرَدْتم السَّيفَ بذَلوه لكم ، وقد رأيتُ قومًا لا يُبالون ما يُصْنع بهم إذا مَنعوا صَاحبَهم ، والله لقد

(١) الأعدادُ جمع عِدّ : هو من العيون والآبار ما قَدُم عَهْدهُ ، وكانت له مادّة تمدّه فهو كثيرُ الماء لا ينزح

(٢) الأوْباش والأوْشَاب (وبهما روى الخبر) : الضروب المختلفة المتفرقة من الناس وغيرهم

(٣) أى يُحِدّون . أشَدّ إليه النظر : أحدّه

رأيتُ نُسَيَّاتٍ[١] معه ، إنْ كُنَّ لَيُسلمنَه أبداً على حالٍ ، فرَوا رَأْيَكُمْ . وقد عَرَض عليكم خُطَّة ، فمادُّوه[٢] ياقومِ . أقْبلوا مَاعَرَضَ فإنِّى لكم ناصحٌ ، مع أنِّى أخافُ ألّا تُنصَرُوا عليه . رجُلٌ أتَى هذا البيتَ مُعَظِّماً له مَعَ الهدى يَنحَرُهُ ويَنصرِفُ ! فقالوا : لَاتَكَلَّمْ بهذا يا أبا يَعفُور ! لَوْ غيرُكَ تكلَّمَ بهذا ! ولكن نَرُدُّه فِى عامِنَا هذا ويَرْجعُ إلى قَابِلٍ

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله

ثم جاء مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأخيَف بن علْقمة بن عبد الحارث بن الحارث ابن مُنْقِذْ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر — فلما طَلَع قال رسولُ الله صلى الله عليه سلم : إنَّ هذا رجُلٌ غادِرٌ [وفى رواية : هذَا رجلٌ فاجِرٌ] . وجاء ، فكلَّمه بنَحوٍ مما كلَّم به أصحابه ، وعَادَ بذَلِكَ إلى قُريش .

بعثة الحليس سيد الأحابيش

فَبعثُوا الحلَيْسَ بن علْقمة بن عَمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبدِ مناة ابن كِنانة الحارثىَّ الكنانىَّ سيّدَ الأحابيش ورَأْسهُمْ ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذَا من قَوْمٍ يُعَظِّمون الهدى ، [وفى رواية يَتَأَلَّهون][٣] ، أبعَثُوا الهَدْىَ فِى وَجهه . فبعثُوه فلما رَأى الهدىَ يَسيلُ فى الوادى — : عليه القلائد ، قد أكل أوْ بَارَهُ [من طُولِ الحبسِ عن مَحِلِّه[٤]] ، يُرَجِّعُ الحنين ؛ واستقْبله القوم فى وَجهه يُلَبُّون ، وقد أقامُوا نصف شهر فتَفَلوا وشَعِثوا[٥] — رجع ، ولَم يَصل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى . فقال لقريش : إنى قد رأيتُ ما لا يَحِلُّ صَدُّه !

(١) نسيات : تصغير نسوة للتقْليل والتعظيم
(٢) مادّه : جعل بينه وبينه مُدَّة هُدْنَة
(٣) تألَّه : تنسَّك وتعبَّد
(٤) زيادة للبيان من ابن هشام ج ٢ ص ٧٤٣ وابن سعد ج ٢ ص ٧٠ . ومَحِلُّ الهدى : الموضع أو الوقت الذى يحل فيه نحرُهُ
(٥) التفَل : ترك التطيب بالطيب ، وتفِل : تغيّرت رائحتُه من ترك الطيب طويلا . وشَعِثَ : تلبّد شعره واغبرَّ وتفرَّق وانتتف من طولِ ما ترك فلم يدَّهنْ

رأيتُ الهَدْىَ فى قلائدِه قد أكلَ أوْبارَه مَعكوفاً[1] عن مَحِلِّه ، والرِّجالَ قد تفِلوا وقَملوا أن يَطوفوا بهذا البيت ! أما وَاللهِ ماعلى هذا حالَفْناكم ولا عاقَدْناكم : على أنْ تصُدُّوا عن بيْتِ الله من جاء له مُعَظِّماً لحُرْمتِـه مُؤَدِّياً لحقِّه ، والهَدْىَ مَعكوفاً أن يَبلُغ مَحلَّه ! والذى نفسى بيده ، لتُخَلُّنَّ بيْنه وبيْن ما جاء بهِ ، أو لَأَنفِرَنَّ بالأحابيشِ نفْرَةَ رجُلٍ واحدٍ ! قالوا : كلُّ ما رأيتَ مكيدةٌ من محمدٍ وأصحابه ، فاكْفُفْ عنَّا حتى نأْخَذَ لأنفُسنا بعضَ ما نرضى بهِ . وفى رواية الزُّبَيْر بن [بكّار][2] أنّه لمّا رجَع قال : يا قوْم ! الهدْىَ ! البُدْنَ ! القَـلائدَ ؛ الدِّماء ! فقالت قريش : ما نعْجَبُ منك ، ولـكن نعجبُ منّا إذْ أرسلْناك ، إنما أنتَ أعرابىٌّ جِلْفٌ

بعثة رسول الله خراش بن أمية إلى قريش

وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قريشٍ خِراشَ بن أُمَيّة بن الفَضْل الـكعْبِيَّ الخزاعِيَّ — على جملٍ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُقال له الثَّعلَب — ليُبلِّغ أشْرافَهم أنَّه إنَّما جاء مُعتَمِراً . فعقَر الجَملَ عِكْرِمةُ بن أبى جَهْلٍ ؛ وأرادوا قتْلَه ، فمنعه مَنْ هُناك من قوْمه ، فرَجع . فأرادَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن يبعثَ عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فخافَ على نفسه وأشار بعثْمان رضى الله عنه . فبعثَهُ ليُخبِرَهم : إنَّا لم نأتِ[3] لقِتال أحدٍ ، وإنما جِئْنا زُوَّاراً لهذا البيتِ مُعظِّمين لحُرْمتِه ، ومَعنا الهَدْىُ ننْحرَهُ وننْصرِف . فأبَوْا على عثمان أن يَدخُلَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ورحَّب به أبانُ بن سعيد بن العاص وأجاره ، وحَمله من بَلْدَح إلى مكة وهو يقول : أقْبِل وأدبِرْ ولا تخَفْ أحداً ، بنو سعيدٍ

بعثة عثمان بن عفان

(١) عكفه يعكُفُه : حبسه ، ومعكوفاً : محبوساً

(٢) فى الأصل بياض مكان ما بين القوسين ، ولعل الذى أثبتناه هو المرادُ

(٣) فى الأصل : « إناه لم يأت »

أعِزَّةُ الحرَمِ ! فبلَّغ عثمان مَنْ بمكة ما جاء فيه ، فقالوا جميعاً : لا يَدخُل محمدٌ علينا أبداً

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوبُ حِراسةَ المسلمين بالحُدَيبيَة ثلاثةٌ : أوسُ بن خَوْلِيّ ، وعبّاد بن بشر ، ومحمد بن مَسلمة . فبعثتْ قريشٌ مِكْرَز بن حَفص على خمسين رجُلا ليصيبُوا من المسلمين غِرَّةً ، فظفر بهم محمّد بن مَسْلَمة وجاء بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبلَغَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم — بَعد إقامَةِ عثمان بمكة ثلاثاً — أنَّه قُتل ، وقُتِل معه عشرة رجالٍ مُسلمون قد دخَلوا مكة بإذن رسول الله لِيرَوا أهاليهم . وبلغَ قرَيشاً حَبسُ أصحابهم ، فجاء جَمْعٌ منهم وَرَمَوا بالنَّبل والحجارة ، فرَماهم المسلمون وأسَرُوا منهم اثنيْ عشر فارساً . وقُتل من المسلمين زُنَيْم ، وقد اطَّلَعَ الثَّنِيّة من الحُدَيبية ، فرماه المُشركون فقَتلوه

بدء الصُّلح

فبعَثَت قرَيش سُهيْلَ بن عمرو بن عبد شمس بن عَبد وُدّ بن نَصر بن مالك ابن حِسْل بن عامِر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر[1] ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، ومِكْرَز بن حَفصٍ [لِيصالِحُوه][2]

تحرّك المسلمين إلى منازل بنى مازن بعد خبر مقتل عثمان . والبيعة

وأمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم منازلَ بنى مازن بن النَجّار ، وقد نزلت فى ناحيةٍ من الحُدَيبيَة جميعاً ، فجلسَ فى رِحالهم . وقد بَلغهُ قتلُ عثمانَ رضى الله عنه ، ثم قال : إنّ الله أمرَنى بالبَيعةِ . فأقبلَ النَّاسُ يُبايعونه حتى تدَاكُّوا ، فما بَقِيَ لهم مَتاعٌ إلَّا وَطِئوه ، ثم لَبِسُوا السِّلاح ، وهو مَعهم قَليلٌ . وقامت أمُّ عُمارة إلى عَمودٍ كانت تَستَظِلُّ به فأخذته بيَدها ، وشَدَّتْ سكِّيناً فى وَسَطها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبايع النَّاسَ ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذٌ بيده ، فبايعَهُم على ألَّا يَفِرُّوا ؛ وقيل : بايعهم على الموت . ويقال :

(١) فى الأصل : « فهم »

(٢) زيادة لا بدّ منها . انظر الطبرى ج ٣ ص ٧٦ ، ٧٨

أوَّلُ مَن بايع سِنانُ بن أبى سنان وَهْب بن مِحْصن فقال : يا رسول الله ، أبايعُك عَلَى مافى نَفسك . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبايعُ الناس على بَيعةِ سِنانٍ ، فبايعوه [إلَّا] (١) الجدُّ بن قيسٍ اختبأ تحت بَطن بعيرٍ

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله فى الصلح والأسرى

فلما جاء سُهَيل بن عمرو ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سُهِّل أمرهم ! فقال سُهيل : يا محمد ! إن هذا الذى كان — من حَبس أصحابك ، وما كان من قِتَال من قَاتلكَ — لَمْ يكُن من رأْى ذَوِى رأْينا ؛ بل كُنّا له كارهين حينَ بَلَغنا ، ولم نَعلَم به — وكان من سفهائنا . فأبعث إلينا بأصحابنا الَّذين أسَرْتَ أوَّلَ مرة والَّذين أسَرتْ آخر مَرَّة . قال : إنِّى غيرُ مُرْسِلهم حتى تُرسلوا (٢) أصحابى . قال : أنْصَفْتنَا . فبعث سُهَيلٌ ومن معه إلى قريش بالشَّتِيم بن عبْد مناف التَّيْمىِّ فبعثُوا بمن كان عندهم ؛ وهم : عُثمان وَعشرة من المُهاجِرين . وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَهم الذين أُسرُوا . وكان صلى الله عليه وسلم يُبايع النَّاس تحتَ شجرة خضراء ، وقد نادَى عمرُ رضى الله عنه : إن رُوحَ القُدُسِ قد نَزل على الرَّسُول وأمر بالبيعة ، فأخرُجوا على اسم الله فبَايعُوا . فلما رأى سهيلُ بن عمرو ومن معه ، ورأَت عُيون قُرَيش سرْعةَ النَّاسِ إلى البَيعة وتَسْميرَهُم إلى الحرب ، اشتد رُعبُهم وخوْفُهم ، وأسرعوا إلى القضيّة (٣) . ولما جاء عثمانُ رضى الله عنه بايعَ تحتَ الشَّجرة . وقد كان قبل ذلك — حين بايعَ النَّاسُ — قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ عثمانَ ذَهب فى حاجَةِ الله وحاجةِ رسولِه ، فأنا أُبايع لهُ . فضرَب بيَمينه شِمالَه

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

بعثة قريش إلى عبد الله بن أبى

وبعثَتْ قريشٌ إلى عبد الله بن أُبىّ ابْن سَلول : إنْ أحببْتَ أن تدخل

(١) زيادة لابد منها للسياق
(٢) فى الأصل : « ترسل »
(٣) القضيَّة : الحُكم ، يعنى حكم الصُّلح

فتطوفَ بالبيتِ فأفعل . فقال له ابنه : يا أبتِ ! أذكّرك الله أنْ تفضَحنا فى كلِّ مَوْطِنٍ ! تَطوف ولَم يَطُفْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! فأبَى حينئذ ، وقال : لا أطوف حتى يَطوفَ رسولُ الله . فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كلامُه فسُرَّ به

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله

ورجع سُهيل وحُوَيطب ومِكرَزٌ فأخبرُوا قرَيشًا بما راوا من سُرعة المسلمين إلى التَّنعيم[1] . فأشارَ أهلُ الرَّأْيِ بالصُّلح على أن يَرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ويَعودَ من قابلٍ فيُقيمَ ثلاثًا . فلما أجمعوا على ذلك أعادُوا سُهَيْلاً وصاحِبَيْه لِيُقرِّر هٰذا . فلمَّا رآه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال : أراد القومُ الصُّلح . وكلَّمَ رسولَ الله ، فأطَالَا الكلامَ وتَرَاجَعَا ، وارتفعت الأصوات . وكان صلى الله عليه وسلم يومئذٍ جالساً مُتَرَبِّعًا ، وعبَّادُ بن بشر ، وسَلَمة بن أسلم بن حَرِيش مُقَنَّعان بالحديد قائمانِ عَلَى رأسِهِ . فلمّا رفَع سُهيلٌ صوتَه قالا : اخْفِضْ مِن صوْتِك عندَ رسولِ الله ! وسُهيل بارِكٌ على رُكبتيْه[2] رافعٌ صوتَه ، والمسلمونَ حولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسٌ

خبر الصلح ، وغضب عمر بن الخطّاب

فلما اصطلَحُوا ولم يَبْقَ إلا الكِتابُ ، وثَبَ عمَر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! ألَسْنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَى ! فقال : فعَلامَ[3] نُعْطِى الدَّنيَّةَ فى دِينِنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبدُ الله ورسولُه ، ولَن أُخالف أمرَه ، ولَنْ يُضَيِّعَنى . فذهبَ عُمر إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال : يا أبا بكر ! ألَسْنا بالمسلمين ؟ قال بَلَى ! قال : فَلِمَ نُعْطِى

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ليس فى الحرَم
(٢) فى الأصل : « ركبته »
(٣) فى الأصل : « فعلى ما »

الدَّنيَّةَ فى دينِنَا ؟ فقال : ٱلْزَمْ غَرْزَه ![1] فإنى أشهدُ أنّه رسولُ الله ، وأنَّ الحقَّ ما أُمِر به ، ولَنْ يُخالف أمرَ الله ، ولَن يُضَيِّعه اللهُ . ولَقِى عمر رضى الله عنه من القضيَّة أمراً كبيراً ، وجعل يردِّدُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلامَ ، وهو يقول : أنَا رسولُه ولن يُضَيعَنى ! ويردِّد ذلك . فقال أبو عُبَيدَةَ بن الجَرَّاح رضى الله عنه : ألا تَسمع يا ابن الخطَّاب رسولَ الله يقولُ ما يقولُ ! تعوَّذْ بالله من الشيطان وانْتَهِ رَأْيَك ! فجعلَ يتعوَّذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم حيناً . وكان المُسْلمون يكرهُون الصُّلح ، لأنَّهُم خرَجُوا ولا يشكُّون فى الفَتح ، لرُؤيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه حَلَقَ رأْسَه ، وأنّه دخل البيتَ فأخَذ مِفْتاحَ الكعبة وعرَّفَ مع المعرِّفين . فلما رأَوْا الصُّلحَ داخَلهم من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادُوا يَهْلِكُون . فجعَل الله عاقبةَ القضيَّة خيراً . فأسْلم فى الهُدْنة أكثرُ ممن كان أسْلم — من يوم دَعا رسولُ الله إلى يوم الحُدَيبيَة — ، وما كان فى الإسلام فَتحٌ أعظمَ من الحُدَيبية ، فإنَّ الحربَ كانَتْ قد حجَزَت بين النَّاس . فلما كانت الهُدنَة وَضَعَتِ الحَرْبُ أوزَارَها ، وأمِن النَّاسُ بعضُهم بعضاً ، ودخَل فى تلك الهُدنة صنَادِيدُ قريش الذين كانوا يقُومون بالشِّرك ، وما يُحْدِثُ عمرُو بن العاص وخالدُ بن الوليد وأشباهُهما ، وفَشَا الإسلام فى جميعِ نَواحى العرب . وكانتِ الهدنة إلى أن نَقَضُوا العهدَ اثْنَين وعشرين شهراً

كراهية المسلمين الصلح

وبيْنَا الناسُ قد اصطَلحوا والكتابُ لم يُكْتب ، أقْبل أبو جَنْدَل بن سُهيْل بن عَمْرو بن عَبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤَى بن غالب القُرَشِىُّ العامرىُّ — وقد أفلَتَ يَرسُفُ فى القَيدِ مُتوَشِّحَ

خبر أبى جندل ابن سهيل بن عمرو

(١) الغَرْزُ : هو للناقة ورَحْلها كالرِّكاب للفرس وسَرْجها . ويريد بقوله « الزم غرزه » : اعتلقْ به وأمسِكْه ، فاتبع قوله ولا تخالفه ولا تفارقه

السيفِ خلالَ أسفلِ مكة ، فخرجَ من أسفلِها حتى أتى رسولَ اللهصلى الله عليه وسلم وهو يكاتِبُ أباه سُهيلاً . وكان سُهيلٌ قد أوثقَه فى الحديد وسَجَنه ، فخرج من سِجن سهيل ، واجتنبَ الطَّريقَ وَرَكِبَ الجبال حتى هَبَطَ بالحُدَيبيَة . ففرح المُسلمون به وتلقَّوه حين هَبط من الجَبَل فسلَّموا عليه وآوَوْه ؛ فرفَع سهيل رأسَه فإذا بابنهِ أبى جَندَل ، فقام إليه فضَرَبَ وجهه بغُصن شوكٍ وأخذ بتلبيبه[1] . فصاح أبو جَنْدلٍ بأعلى صوتهِ : يا مَعشر المسلمين ! أأُرَدُّ إلى المشركين يَفْتِنُونى فى دِينى ؟ فزادَ المسلمين ذلك شَرًّا إلى ما بهِمْ ، وجعلُوا يَبكُون لكلام أبى جندَل . فقال حويطب بن عبد العُزَّى لِمكْرَز بن حفْص : ما رأيْتُ قوماً قَطُّ أشدُّ حبًّا لمن دخَل معهم من أصحَاب محمَّدٍ لمحمّدٍ و بعضِهم لبعضٍ ! أمَا إنى أقول لك : لا نأخذُ من محمد نَصَفاً أبداً بَعد هذا اليوْم ، حتى يَدخُلها عَنوَةً[2] ! فقال مِكرَز : وأنا أرى ذلك . وقال سُهيْل بن عمرو : هذا أوّلُ مَن قاضَيْتُك عليه[3] ، رُدَّهُ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّا لم نقْضِ الكتابَ بعدُ ! فقال سهيل : والله لا أُكاتِبُك على شىء حتى تَرُدَّه إلىّ . فردَّه عليه ، وكلّه أن يَترُكه ، فأبى سُهَيل وضربَ وجهه بغُصنٍ من شَوْكٍ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هَبْه لى ، أو أجِرْهُ من العذاب ! فقال : والله لا أفعلُ . فقال مِكْرَزٌ وحُوَيْطب: يامحمد ؛ نحن نُجيرُه لك . فأدخَلاه فُسطاطا فأجاراه فكفَّ عنه أبوه . ثم رَفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوتَه فقال :

رد أبى جندل إلى أسر المشركين

(١) فى الأصل : « بلبته » . يقال فى الخصومة ، أخَذ بتلْبيبه وتلابيبه : إذا جمعَ عليه ثوبه الذى هو لابسه ، من عند صدره ونحره ، ثم قبضَهُ وجرّه إليه

(٢) النَّصَف : الإنصاف ، يريدُ لا يعطينا من الحقّ مثل الذى يستحقّ لنفسه . وعنوة : أى بالقهر والغلبة والإذلال

(٣) قاضى : من القضاء وهو الحكم والفصل . وقوله بعدُ : « لم نقضِ » أى لم ننته من أحكامه

يا أبا جَنْدل ! اُصبِر واُحتَسِبْ . فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك فَرَجًا ومَخْرَجًا . إنَّا قد عقَدنا بيننَا و بين القوْم صُلْحًا ، وأَعطَيْناهم على ذلك عَهداً ، و إنَّا لا نَغدِر .

عودة عمر إلى مقالته

وعاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! أَلَستَ برسولِ الله ؟ قال بَلى ! قال أَلَسْنا على الحقِّ ؟ قال : بلى ! قال : أَليس عَدُوُّنا على البـاطل ؟ قال بلى ! قال . فلِمَ نُعطِى الدَّنيَّة فى ديننا ؟ فقال : إنّى رسولُ الله ، ولن أعصيَه ولن يُضَيِّعَنى . فانطلَق إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأجابه بنحوِ ما أجابَ به رسولُ الله ، ثم قال : ودَعْ عنْك ما ترى يا عمر . فوثَب إلى أبى جَنْدَلٍ يمشى إلى جنبِه ، وسُهَيْلٌ يَدفعُه ، وعمر يقول : اُصبِرْ يا أبا جَندل ، فإنما هُمُ المشركون ، وإنما دمُ أحدِهم دمُ كلْبٍ ! و إنما هو رجُل ! ومعه[1] السيف يُحَرِّضُه على قتْل أبيه . وجعل يقول : يا أبا جندل ! إن الرجل يقْتُل أباه فى الله ! والله لو أدركْنا آباءنا لقتَلْناهم فى الله ، فرجُلٌ برجُلٍ . فقال له أبو جَندل : مالكَ لا تقْتُله أنت ؟ قال عمر : نهانى رسول الله عن قَتله وقتلِ غيرِه . قال أبو جنـدل : ما أنتَ أحقَّ بطاعةِ رسولِ الله منِّى !

مقالة المسلمين لرسول الله فى الصلح

وقال عمر ورجالٌ معـه : يا رسولَ الله ! أَلَمْ تكُن حدَّثْتنا أنَّك تدخُلُ المسجدَ الحرامَ ، وتأْخذُ مِفتاح الكعبة ، وتُعَرِّفُ مع المُعرِّفين ؟ وهذْيُنا لم يصلْ إلى البيت ولا نحنُ ! فقال : قلتُ لكم فى سفرِكم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنكم ستَدْخُلونَه ، وآخُذُ مِفتاحَ الكعبة ، وأُحلِّقُ رأْسى ورؤُوسكم ببَطْن مكة ، وأعرِّفُ مع المُعرِّفين . ثم أقبل على عمر رضى الله عنه وقال : أنَسيتُمْ يومَ أُحُدٍ ، إذ تُصعِدون ولا تلْوون عَلَى أحدٍ ، وأنا أدعوكم فى أُخْراكم ؟

---

(١) فى الأصل : « ومعك » ، وهذا هو الصواب ، وذلك أن عمر كان يُدنى قائم سيفه من أبى جندل ، ويقول عمر : « رَجَوْتُ أن يأخُذُ السيف فيضرب به أباه ، فضنَّ الرجُل بأبيه ونفذت القضية » . ابن هشام ج ٢ ص ٧٤٨

أنسيتُم يومَ الأحزابِ ، إذ جاءوكم من فوقِكُم ومِن أسفَل منكم ، وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبَلغَتِ القُلوب الحناجِر ؟ أنَسيتُم يومَ كذا ؟ أنسيتم يومَ كذا ؟ والمسلمون يقولون : صدَق الله ورسولُه ، يا نبى الله ! مَا فكّرْنا فيما فكّرْتَ فيه ، ولأنتَ أعلَمُ بالله وبأمرِه منّا . فلمّا دخل صلى الله عليه وسلم عامَ القَضيَّة[1] وحلّق رأسَه قال : هذا الذى وَعدْتُكم . فلمّا كان يومُ الفَتْح ، أخذ المِفتاحَ وقال : أدعوا إلىّ عمر بن الخطاب ! فقال : هٰذا الذى قُلت لكم . فلمّا كان فى حَجَّةِ الوَداع ، وقف بعرَفةَ فقال : أىْ عمر ! هذا الذى قُلت لكم . قال : أى رسول الله ! ما كان فَتحٌ فى الإسلام أعظمَ من صُلحِ الحُدَيبِيَة .

فتح الحديبية وخبر أبى بكر

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما كان فتحٌ أعظمَ فى الإسلام من فَتح الحُدَيبِية ، ولكنّ النّاس يومئذ قَصُر رأيُهم عمّا كان بين محمد وربِّه . والعبادُ يَعجلون ، والله لا يعْجَلُ كعجَلَةِ العباد حتى تبلُغَ الأُمور ما أراد . لقد نظَرْتُ إلى سهيْل بن عمرٍو فى حَجَّة الوَداع قائماً عند النَّحرِ يُقرِّبُ إلى رسولِ الله بُدْنَه ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينْحرُها بيده ! ودعا الحلّاقَ فحلّق رأسَه ، فأنظُرُ إلى سهيْلٍ يَلقُطُ من شَعَرِه ، وأراه يضَعُه على عَينَيْه ! وأذْكُر إباءَهُ أن يُقِرَّ يوم الحُدَيبِية بأن يُكْتَب بسم الله الرّحمن الرّحيم ! وإباء أن يُكتَب أنَّ محمداً رسولُ الله ! فحمدتُ الله الذى هداه للإسلام . فصلَواتُ الله وبركاتُه على نبىِّ الرَّحمةِ الذى هدانا به ، وأنْقذَنا به من الهَلَكةِ

كتاب الصلح

فلمّا حَضَرتِ الدَّوَاة والصَّحيفةُ — بعد طول الكلام والمُراجعة — دَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَوْسَ بن خَوْلِىٍّ يَكْتُب ، فقال سهيل : لا يكْتب إلّا ابْنُ عَمّك علىٌّ ، أو عثمانُ بن عفّان . فأمر عَلِيًّا فكتَب ، فقال : اُكتُبْ ،

(١) هى عُمْرة القضية ، وسيأتى ذكرها بعد غزوة وادى القرى

بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم . فقال سهيل : لا أَعْرِفُ الرَّحْمٰن ، اُكتبْ ما نكْتب ، بِاسْمِكَ اللّٰهُمَّ . فضاقَ المسلمُون من ذلك وقالوا : هو الرَّحمن ، واللهِ لا نكْتُبُ إِلَّا الرَّحْمٰن . قال سهيل : إذاً لا أُقاضِيهِ على شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اُكتبْ ، باسْمِكَ اللّٰهُمَّ . هذَا مَا اُصْطلح عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رسول الله ما خالفْتُكَ واتَّبعتك ، أفتَرْغَبُ عن اسمك واسم أبيك ، محمد بن عبد الله ؟ فضجَّ المسلمون منها ضَجَّةً هى أشَدَّ من الأُولى حتّى ارتفعت الأصواتُ ، وقام رِجالٌ يقولون : لا نكتب إلا محمّدٌ رسول الله ! وأخَذَ أُسَيْد بن حُضَيْر وسعد بن عُبادة رضى الله عنهما بيَد الكاتب فأمْسكاها وقالا : لا تكتبْ إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيْفُ بيننَا . علَامَ نعْطِى هـذه الدَّنِيَّةَ فى ديننا ؟ فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُخَفِّضهُم[1] ويُومِئُ إليهم بيده : اسكتُوا . وجعل حُوَيْطب يتَعَجَّبُ ممّا يصنَعُون ، ويقول لمكْرَز : ما رأَيْتُ قوماً أحْوطَ لدينهم من هٰؤُلاء ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبْدِ الله ، فَاُكْتُب ، فكتَب :

نصُّ كتاب الصلح

« باسمكَ اللّٰهُمَّ . هذَا ما اصْطَلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرٍو ، اُصْطَلحا على وَضْع الحرْب عَشْرَ سِنين ، يأْمَن فيها الناسُ ويَكُفُّ بعضهم عن بعضٍ ، على أنه لا إِسْلَال ولا إغْلال[2] ، وأنَّ بيْنَنَا عَيْبَةً مكْفوفَةً[3] . وأنه

(١) يخفّضهم : يسكّنهم ويهوّنُ عليهم الأمر ، من الخفض : وهو الدعة والسكون

(٢) الإسلالُ : السرقة الخفيَّة والرشوة ، ويقال هو الغارة الظَّاهرة بسَلّ السيوف . والإغلالُ : الخيانة

(٣) العَيْبة : وعاء من أدمٍ يُصَان فيه المتاع ، والمكفوفة : المشرجة المعقودة . ومعنى ذلك أنّ بينهم فى هذا الصُّلح صَدْراً معقوداً على الوفاءِ بما فى هذا الكتاب نقيّا من الغِلّ والغدر والخداع ، فهُمْ فى مُوادعة ومُكافَّةٍ عن الحرب يجريانِ مجرى المودَّةِ التى تكون بين المتصافين يثق بعضهم ببعض

من أَحَبَّ أن يَدْخُل فى عهـدِ محمّدٍ وعَقْدِه فعَل ، وأنه من أحبّ أن يَدْخُل فى عهدِ قريش وعقْدِها فعل . وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذْنِ وَلِيّه رَدّه محمّدٌ إليه ، وأنه من أتى قريشاً من أصحابِ محمّدٍ لم يَرُدُّوه . وأن محمداً يرجعُ عَنَّا عامَه هـذَا بأصحابه ، ويدخُلُ علينا منْ قابِلٍ فى أصحابه فيقيمُ بها ثلاثاً ، لا يدخُل علينا بسِلاح إلا سِلاحَ المُسافِر : السُّيوف فى القُرُبِ »

شهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبى قُحَافة ، وعُمَر بن الخطاب ، وعبدُالرّحمن بن عوْفٍ ، وسعْد ابن أبى وقاصٍ ، وعُثْمان بن عفان ، وأبُوعبَيدة بن الجرّاح ، ومحمد بن مَسْلمة ، وحُوَيْطب ابن عبد العزّى ، ومِكْرزُ بن حَفْص بن الأَخْيف ، وكتب علىٌّ صدْرَ الكِتاب

نسخة كتاب الصلح ، ودخول خزاعة فى عهد رسول الله ، وبنى بكر فى عهـد قريش

فقال سهيل : يكون عنْدى . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بلْ عندى ! ثم كتب له نسخة ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب الأول ، وأخذ سهيل نُسْختَه . ووَثَب مَنْ هُناك من خُزاعة فقالوا : نَحْنُ ندخُل فى عهد محمّدٍ وعقْده ، ونحن على مَنْ وراءنا من قَوْمِنا . ووَثَبَتْ بَنُو بكرٍ فقالوا : ندخل مَعَ قُرَيش فى عهدها وعقْدها ، ونحن على من وراءنا من قومِنا . فقال حُوَيطب لسهيل : بَادأْنَا أخوالُك بالعدَاوة ، وقد كانوا يتستَّرون منا ، قد دخلوا فى عقْد محمد وعهْده ! وقال سهيل : ماهمْ إلا كغَيرهم ، هؤُلاء أَقاربُنا ولُحْمَتُنَا [1] قد دخلُوا مع محمّدٍ ، قومٌ اختَاروا لِأَنْفُسهم أمْرًا فما نصْنَع بهم ؟ قال حُوَيطب : نَصْنع بهم أنْ ننصُر عليْهم حُلَفَاءَنا بنى بكْر ! قال سهيل : إياك أنْ تَسْمع هذا منك بكرٌ ، فإنَّهم أهل شُؤْمٍ ، فيقَعُوا بخُزَاعة ، فَيغضَبَ محمد لحلفَائه ، فَيَنْتَقِضَ العهدُ بيْنَنَا وبينه

مدة الهدنة

وقال عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن دينار [2] ؛ عن ابن

(١) اللحمة : القرابة والنسبُ الشابك المتلاحم

(٢) فى الأصل : « بن دنيه » ، ولم أجدْه ، وعبد الله بن دينار هو مولى ابن عمر ، ويروى عنه عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولعل هذا هو الصواب

عمر قال : كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين أهلِ مَـكّة بالحدَيبِيَة أرْبع سنين . خرّجه الحاكم وصححه ، وفى كتاب عمر بن شَبّة فى أخبار مكة : كانت سنَتين

خبر أمر رسول الله المسلمين بالنحر والحلق والإحلال

فلما فرَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الـكِتاب ، وأنْطلق سهيل وأصحابه ، قال : قومُوا فانْحَروا واُحلِقوا وحِلُّوا[1] فلم يجبْه أحـدٌ إلى ذَلك . فردَّدها ثلاثَ مرّات ، فلم يَفْعلوا . فدَخل على أمِّ سَلَمة رضى الله عنها وهو شَديدُ الغَضَب ، فاضْطَجع ، فقالت : مَالَكَ يا رسول الله ؟ مراراً ، وهو لَا يُجيبها ، ثم قال : عجباً يا أُمَّ سَلَمة ! إنى قُلْتُ للناس انْحَرُوا واُحْلِقوا وحِلُّوا مراراً ، فلم يُجِبْنى أَحَدٌ من الناسِ إلى ذلك ، وهم يَسْمَعُون كلامِى ، ويَنْظُرُون فى وَجْهِى ! فقالت : يارسولَ الله أنْطلِقْ أنتَ إلى هَـدْيك فانْحَرهُ ، فإنهم سَيقْتدَونَ بك . فاضْطَبَع[2] بثَوْبه وخرجَ ، فأَخَذَ الحرْبَةَ ويَمَّمَ هَدْيه ، وأَهْوى بالحرْبة إلى البَدَنة رافعاً صوتهُ : بِسْم الله واللهُ أكْبَر . ونَحَرَ . فتَواثَب المسلمون إلَى الهدْىِ ، وازْدَحمُوا عليه يَنْحَرُونه ، حتى كادَ بعضهم يقَعُ على بعضٍ . وأَشْرَكَ صلى الله عليه وسلم بيْن أصحابه فى الهدْىِ ، فنحَر البدَنَةَ عن سَبْعةٍ ، وكان الهدى سَبعين بَدَنة ، وقيل مائة بدنة .

نحْر الهدْى

وكان الهدْىُ دُونَ الجِبال التى تطْلُع على وَادِى الثَّنِيَّة ، عرَضَ له المشركون فرَدُّوا وجُوه البُدْن ، فنحَرَ رسول الله بُدْنه حَيثُ حبسوه ، [وهى الحديبية] . وشَرَد جَمَل أبى جَهْل من الهدْىِ وهو يرعى — وقد قلِّدَ وأُشْعِر ، وكان نجيباً مَهْرِيًّا — فمرَّ من الحديبية حَتّى أنتهى إلى دارِ أبى جهل بمكة . وخرج فى إثْره عمرُو بن عَنَمَة[3] بن عدِىّ بن نابى السلمِىُّ الأنصارىّ ، فأبى سُفهاء مَكة أن يُعْطُوه

(١) حَلَّ من إحرامه : خرج مِنْه

(٢) اضطبع بثوبه : أدخله من تحت إبطه الأيمن ، فغطى به الأيسر

(٣) فى الأصل : « غنمة »

حتّى أمرهم سهيل بن عَمْرو بدَفْعه إليه . فدفعُوا فيه مائة ناقةٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْلَا أننا سَمَّيْناه فى الهدى فعَلْنا . ونحرَه عن سبعة . ونحر طلحةُ بن عُبَيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعُثْمان بن عفّان بدَنَاتٍ ساقُوها . وكانَ رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم مُضْطَرِباً[1] فى الحِلِّ ، وإنما يُصَلِّى فى الحرَم . وحضَرهُ من يَسْأَل من لُحُوم البُدْن مُعْتَرًّا[2] ، فأعطاهم من لحومها وجُلودها . وأَكل المُسلمون من هَديهم وأَطْعَمُوا المَسَاكين . وبعثَ صلى الله عليه وسلم من الهدى بعشرين بَدنةً لتُنْحَرَ عند المَرْوَةِ مع رجلٍ من أَسْلَم ، فنحرَها عند المَرْوَةِ وفرَّق لحمها . فلما فَرغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحر البُدن ، دَخَل قُبَّة له مِن أَدَمٍ حمراء ، فيها الحلَّاق فحلَق رَأْسَه . ثم أخرج رأْسه من قبَّته وهو يقول : رَحِمَ الله المُحَلِّقِينَ ! قيل : يا رَسُولَ الله ، والمُقَصِّرِين ! قال : رَحِم الله المحلِّقين ! ثلاثاً ، ثم قال : والمُقَصِّرِين . ورَمى بشَعَره على شَجَرةٍ كانت بجنبه من سَمُرةٍ خضراء ، فجعل النـاسُ يَأْخُذُون الشَّعَر من فوق الشَّجرة فيَتَحَاصُّون[3] فيه . وأَخذَتْ أُمُّ عمارة طَاقاتٍ من شَعَرٍ ، فكانَتْ تَغسلُها للمريض وتَسْقيه حتَّى يَبْرَأَ . وحلَّق ناسٌ وقَصَّر آخرون . وكان الذى حلقه [صلى الله عليه وسلم][4] خراشُ ابن أُمَية بن الفَضل الـكعبى ، فلما حَلَّقوا بالحديبية ونَحرُوا ، بَعَثَ الله تعالى ريحاً عاصفاً فاحتملت أَشعارهم فألْقتها فى الحرَمِ

دعاء رسول الله للمحلّقين والمقصرين

وخرجتْ يومئذٍ أُمُّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط ، وهى عاتِقٌ[5] لم تَزوَّجْ ،

خبر أم كلثوم بنت عقبة

(١) من قولهم اضْطَرب بناءً أو خيمة : نصبها وأقامها ، يريد نازلاً
(٢) المعترُّ : الفقير الذى يُطيفُ بك يتعرَّضُ لمعروفك
(٣) تحاصَّ القوم : اقتسموا ، فأخذ كل أحدٍ منهم حِصَّتَه
(٤) زيادة للبيان
(٥) العاتق : الشابَّة التى لم تَبِنْ من والديها ولم تتزوَّجْ

فَقَبِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هِجرَتَها ولم يَرُدَّها إلى المشركين ، وقدِمَت المدينةَ ، فتزوَّجها زَيدُ بن حارثة

إقامة المسلمين بالحديبية ، وما أصابهم من الجوع

وأقام صلى الله عليه وسلم بالحُديبية بضعةَ عشر يومًا ، ويقال عشرين يوماً ، ثمَّ انصرف . فلمّا نزَل عُسْفَان أَرْمَل[1] المُسْلمون من الزَّاد ، وشكَوْا أنَّهم قد بُلِغُوا[2] من الجُوعِ ، وسألوا أن يَنْحَروا من إبلهم ، فأَذِن لهم صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسولَ الله ! لا تَفْعَلْ ، فإن يَكُ فى النَّاس بَقِيَّةُ ظَهْرٍ يكُنْ أَمْثَل ، ولكن ادْعُهم بأَزْوَادِهم ، ثمّ ادعُ لهم فيها الله . فأمرَ صلى الله عليه وسلم بالأنْطَاعِ فبُسِطَتْ ، ثم نادَى مُنَاديه : من كان عِنده بَقِيَّة زادٍ فَلْيَنْثُرْه على الأنطاعِ . فكان منهم من يَأْتى بالتَّمْرة الواحدة ، وأكثرُهم لا يأْتى بشىء ؛ ويُؤْتَى بالكَفِّ من الدَّقيق والكَفِّ من السَّوِيق ، وذلك كلُّه قليل . فلما اجتمعتْ أَزْوَادُهم وانقطعت موادُّهم مَشى صلى الله عليه وسلم إليها فدَعا فيها بالبرَكةِ ، ثم قال : قَرِّبوا أَوْعِيَتَكم ! فجاءوا بأَوْعِيَتِهم ، فكان الرَّجُل يأْخُذ ما شاء من الزَّادِ حتى إنّ أحدهم لَيأْخُذ ما لا يَجِدُ له مَحْمَلًا

المطر

ثم أَذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرَّحيل ، فلما ارتَحلوا مُطِروا ما شاءوا وهُم صائِفون[3] ، فنزَل ونزلوا معه فشربوا من ماء السماء . وقام صلى الله عليه وسلم فخَطبهم . فجاء ثلاثةُ نفَرٍ ، فجلس اثنان وذهب واحدٌ مُعْرِضًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُخَبِّركم خبَرَ الثَّلاثة ؟ قالوا : بلى ، يا رسولَ الله ! قال :

---

(١) أرْمل المسافر : نفِد زادُه

(٢) بُلِغَ (مبنى للمجهول) : أدركته مشقة فبلغت منه وجهده

(٣) صافَ بالمكان : أقام به صيفاً أو مرَّ به

أمّا واحدٌ فاستَحيا فاستَحيا اللهُ منه ، وأما الآخرُ فتاب فتابَ الله عليه ، وأمّا الثالثُ فأعرَضَ فأعرَضَ الله عنه

سؤال عمر سكوت رسول الله عن جوابه ، ونزول سورة الفتح

وبَيْنا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يسير مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فسأله فلم يُجِبْه ، ثم سَأله فلم يُجبه ، ثم سأله فلم يُجبْه ، فقال : ثَكِلَتْك أمُّك ياعمر ! بَدَرْتَ[1] رسولَ الله ثلاثاً ، كلُّ ذلك لا يُجيبُك ! وحرَّكَ بعيرَهُ حتى تقدَّم الناسَ ، وخَشِي أن يكونَ نزَل فيه قُرآنٌ ، فأخذَه ما قرُبَ وما بَعُد : لمراجعته بالحُدَيبِيَة وكَراهتِه القضيَّةَ . وبيْنا هو يسيرُ مهموماً متقدِّماً على الناس[2] ، إذا مُنادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُنادى : يا عُمَر بن الخطَّاب ! فوقَع فى نفسه ما الله به أعلم . ثم أقبل حتى انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فسَلَّم ، فردَّ عليه السلامَ وهو مسرورٌ ثم قال : أُنْزِلتْ عَلَيَّ سورَةٌ هى أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طلَعتْ عليه الشَّمس . فإذا هُو يَقْرأ « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا » ، فأنزل الله فى ذلك سورة الفتح . فرَكَضَ الناسُ وهم يقولون : أُنزِل على رسولِ الله ! حتى توافَوْا عنده وهو يَقْرؤُها . ويقال : لمَّا نزَلَ بها جبريلُ عليه السلام قال : نُهَنِّئُك يا رسولَ الله ! فلمّا هَنَّأه جبريل هَنَّأَهُ المسلمون . وكان نُزول سورة الفَتْح بكُراع الغَمِيم ؛ ويقال : نزَلتْ بضَجْنان . وعن قَتادة عن أنس رضى الله عنه : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا » ، قال : خيْبَر . وقال غيرُه : الحُدَيْبِيَة ، مَنْحرُه وحلْقُه . وقيل : نزَلت سورةُ الفتْح مُنْصَرَفَه من خيْبَر

خبر فرار أبى بصير من أسر المشركين

ولمّا قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من الحُدَيْبِية ، فى ذى الحِجَّة جاء أبُو بَصِير — عُتْبة بن أَسِيد [وقيل : عُبَيْد بن أَسِيد] بن جارِية بن أَسِيد

(١) بدرهُ بعجيل إليه ، وفى الأصل : « نذرت »
(٢) فى الأصل : « للناس »

ابن عبد الله بن [أبى] (١) سَلَمة بن عبد الله بن غِيرَة بن عوف بن قَسِيّ [وهو ثقيف] ، حَليفُ بنى زُهْرَة — مُسْلِمًا ، قد أُنفلت من قومه ، وسار على قدَمَيْه سَبْعاً . وكتب الأخْنَس بن شَرِيق ، وأزهر ابن عَبْد عَوْف الزُّهْرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً مع خُنَيْس بن جابر من بنى عامر ، واستأجراه ببَكْرَين لَبُونٍ ، وحَمَلاه على بعير ؛ وخرج معه مَوْلًى يقال له كَوْثر ، وفى كتابهما ذكرُ الصُّلح ، وأنْ يَرُدَّ عليهم أبَا بَصِير . فقدِمَا بعد أبى بَصِير بثلاثة أيام ، فقرأ أُبَيُّ بن كعْب الكتابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : « قد عرَفْتَ ما شارَطْناكَ عليه — وأشْهَدْنا بيننا و بينك — مِنْ رَدِّ مَنْ قَدِمَ عليك من أصحابنا ، فابْعث إلينا بصاحبنا » . فأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبَا بَصير أنْ يَرْجِع معهم ودَفَعه إليهما ، فقال : يا رسول الله ! تَرُدُّنى إلى المشركين يَفْتِنُونى فى دِينى ! فقال : يا أبا بصير ، إنَّا قد أعطَيْنا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يَصلُحُ لنَا فى ديننا الغَدْرُ ، و إنّ الله جاعلٌ لك ولمن معَك من المسلمين فَرَجًا ومَخْرَجًا . فقال : يا رسولَ الله ! تَرُدُّنى إلى المشركين ! قال : انْطَلِقْ ياأبَا بَصير ؛ فإنّ الله سَيجعَل لك مخْرَجًا . ودفَعه إلى العامرىّ وصاحبه . فخرجَ معهما ، وجعَل المسلمون يُسِرُّون إلى أبى بَصير : ياأبَا بَصير ، أبْشِرْ ! فإنَّ الله جاعلٌ لك مَخْرَجًا ، والرَّجُل يَكونُ خَيْرًا من ألْف رَجُل ، فاْفعَل واْفعَل : يَأمرُونَه بالذين مَعه . فانتهيَا به عند صَلاة الظُّهْرِ إلى ذى الحُلَيفة ، فصلَّى أبو بَصير فى مسجِدها رَكْعتين صلاةَ المُسافر . ومعه زادٌ له من تَمْرٍ يَحْمِله ، ثم أكل منه ودَعا العامرىَّ وصاحبَه ليأكُلا معه ، فقدَّما سُفْرَةً فيها كِسَرٌ وأكلوا جميعاً . وقد علَّق العامِرىُّ سيفَه فى الجِدار ، وتحادَثوا . فقال أبو بصير : يا أخا بنى عامر ! أرِنى سيفَك هذا ، فأرِيَه إيّاه ، فاستَله ثم هزَّه ، فقال : لقد جرَّبْتُ به ، ثم جرَّبْتُ به ، فوجدتُه سيفاً جيداً ، فقال أبو بصير : أرِنى أنظُر إليه ، فأمكَنه منه ، فلما أخذه ضرَبه به حتى برَد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد رأى هذا ذُعْرًا ، فلما انتهى إليه قال : قُتِل صاحبى ، وإنى لمقتولٌ ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبىَّ الله ! قد والله أوفَى الله ذِمَّتَك ، قد رَدَدْتَنى إليهم ، ثم نجَّانى الله منهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ويْلُ أمِّه مِسْعَر حَرْب لو كان له أحد ! فلما سمع أبو بصير عرَف أنه سيَرُدُّه إليهم ، فخرَج حتى أتى سِيفَ البحر ، وانفلت أبو جَنْدَل بن سُهَيل بن عمرو ، فلحِق بأبى بصير ، فجعَل لا يخرُج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لحِق بأبى بصير ، حتى اجتمعت منهم عِصابة ، فوالله ما يسمعون بعِيرٍ خرَجت لقريش إلى الشام إلا اعترَضوا لها فقتَلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم تُناشِده الله والرَّحِم لما أرسَل إليهم فمن أتاه فهو آمِن ، فأرسَل إليهم فقدِموا عليه المدينة .

كتاب قريش فى أمر أبى بصير

رد أبى بصير إلى المشركين

قتلة العامرىّ

(١) زيادة من أسد الغابة

ما اسمك ؟ قال : خُنَيْس . قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن جابرٍ . قال : يا أبا جابر ، أصارمٌ سَيْفُك هٰذا ؟ قال : نعم ! قال : ناولْنيه أَنْظُرُ إليه إن شئْتَ . فناولَه . فأخذ أبو بَصيرٍ بقائِم السَّيف — والعامرىّ مُمْسِكٌ بالجَفْن — فعَلاه به حتى بَرَدَ . وخرج كَوْثَر هارباً يَعْدو نحوَ المدينة ، وأبو بَصيرَ فى أثَره فأعجزَه ، حتى سَبقَه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . ورسولُ الله جالسٌ فى أصحابه بعد العصر ، إذْ طَلَع كَوْثر يَعْدو ، فقال : هذا رجلٌ قد رأَى ذُعْراً ! وأقبل حتَّى وَقفَ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم : ويْحَك ! مالَك ؟ قال : قَتَل صاحبُكُم صاحِبى ، وأَفْلتُّ منه ولَمْ أَكَدْ ! وأقبل أبو بصيرٍ فأناخَ بعيرَ العامرىِّ بباب المسجدِ ، ودخل متوشِّحاً سيْفَه ، فقال : يا رسولَ الله ! وفَتْ ذِمَّتُك ، وأَدّى اللهُ عَنك ، وقد أَسْلَمَتنى بيد العدُوِّ ، وقد امْتنعتُ بدينى من أَنْ أُفتَنَ ، ويُعْبَثَ[1] بى أو أُكَذَّبَ بالحقِّ . فقال عليه السلام : وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشُّ[2] حَرْبٍ لوْ كان معه رِجالٌ ! وقدَّم سَلَبَ العامرىّ وَرَحْلَه وسَيْفَه ليُخَمِّسه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى إذا خَمَّسْتُه رَأَوْا[3] أنى لَم أُوفِ لهم بالَّذى عاهدتُهُم عليه ، ولكن شأنَكَ بسَلَبِ صاحبك . ثم قال لكَوْثر : ترْجِع به إلى أصْحَابك ؟ فقال : يا محمد ! مالِى به قُوَّةٌ ولا يَدانِ ! فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : اذْهبْ حيثُ شِئْتَ

مرجع أبى بصير إلى المدينة

خروج أبى بصير إلى العيص

فخرَجَ حتى أتى العِيصَ ، فنزَل منه ناحيةً على ساحل البحر على طريق عِيرِ قريش إلى الشأْم . وعند ما خرَجَ لم يكن معهُ إلّا كَفُّ تمْرٍ فأكله ثلاثةَ

(١) فى الأصل : « وتبعث »

(٢) حش النَّار : حرَّ كَها لتستعر ، ومحشُّ حرب : موقد نار الحرب يؤرثها بنفسه جائلاً فى حَوْمتها

(٣) يعنى : رأت قريش

أيامٍ ، وأصابَ حِيتَاناً قد ألقاها البحرُ بالسَّاحِلِ فأكلَها . وبلغَ المسلمينَ الذين قد حُبِسُوا بمكة خبرُه ، فتَسَلَّلُوا إليه . وكان عمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه هو الذى كتبَ إليهم بِقَوْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بَصير : وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشُّ حَرْبٍ لو كان مَعَهُ رجالٌ ! وأخبرهم أنه بالسَّاحل . فاجْتَمع عندَ أبى بَصيرٍ قريبٌ من سَبعين مسلماً ؛ فكانوا بالعيص ، وضَيَّقُوا على قريش ، فلا يَظْفَرُون بأحَدٍ منهم إلا قتلُوه ، ولا تَمُرُّ عِيرٌ إلَّا اقْتَطَعوها . ومرَّ بهم رَكْبٌ يريدُون الشَّأم ، معهم ثمانُون بعيراً ، فأَخَذُوا ذلك ، وأصابَ كلَّ رجلٍ منهم قيمةُ ثلاثين ديناراً . وكانُوا قد أمَّرُوا عليهم أبا بَصير ، فكان يُصلِّى بهم ويُقْرِئُهم وَيُجَمِّعُهُمْ ، وهُم له سامعون مُطيعون . فغاظَ قريشاً صَنيعُ أبى بَصير وشَقَّ عليهم ، وكتبُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسأَلُونَه بأَرْحامهم إلّا أدْخَل أبا بَصير إليهِ ومَن معه : فلا حاجَةَ لنا بهم . فكتبَ صلى الله عليه وسلم إلى أبى بَصير أنْ يَقْدَمَ بأصحابه مَعهُ . فجاءهُ الكتاب وهو يموتُ ، فجعل يَقرَأُهُ ، ومات وهو فى يده فدفنوه . وأقبلَ أصحابُه إلى المدينةِ وهم سَبعون ، فيهم الوليدُ بن الوَليد بن المُغيرة ، فماتَ بعقِب قُدُومِه ، فبكَتهُ أُمُّ سَلَمة رضى الله عنها

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أُمُّ كلثوم بنت عُقْبة[1] بن أبى مُعَيطٍ قد أَسْلَمَت بمكة ، فكانت تَخرج إلى بَادِيَة أَهلِها [لها بها أهلٌ][2] ، فتُقِيمُ أيامًا بناحيَة التنعيم ثمَّ ترجع . حتّى أَجْمَعت على المسير مُهاجِرةً ، فخرجت كأنها تريد البادِيةَ على عادتها ، فوجَدت رجُلاً من خزاعة فأعْلَمَته بإسْلامها ، فأرْكَبها بعيرَهُ ، حتى أقدَمها المَدينة بعد ثمانى ليالٍ . فدخلت على أمِّ سلَمة رضى الله عنها ، وأعْلمتها أنَّها جاءت مهاجرةً ، وتخوَّفَت

(١) فى الأصل : « عتبة »

(٢) هكذا فى الأصل ، والذى بين القوسين تكرار

أن يرُدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلَمة أعلمَته ، فرحَّبَ بأم كلثوم وسَهّل ، فذكرت لَهُ هجرَتَها ، وأنَّها تخافُ أن يرُدَّها ، فأنزل الله فيها آية المحنة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (الممتحنة : ١٠)[1]

ما نزل فيها من القرآن

طلبُ قريش رد أم كلثوم

فكان[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم يرُدُّ من جاءه من الرِّجَال ، ولا يرُدُّ مَن جاءه من النِّساء . وقدمَ أَخوَاهَا من غَدِ قُدُومها — الوَلِيدُ وعُمَارة أبنا عقبة بن أبي مُعَيْط — فقالا : يا محمد ! فِ لَنَا بشرطنا وما عاهَدتَنا عليه . فقال : قد نُقِضَ ذلك . فأنصرَفَا إلى مكة فأخبرا قريشاً ، فلم يبعثوا أحداً ، ورَضُوا بأن تُحْبَسَ النِّساء

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

ويُقال إن أُمَيْمَة بنت بِشْر الأنصاريِّ ، ثم من بنى عَمْرو بن عوف ، كانت تحت حَسّان بن الدّحداح[3] [أو ابن الدّحْداحة] وهو يومئذ مُشْرِك ، ففرّتْ من زَوجِها بمكة ، وأَتَتْ[4] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُريد الإسلام ، فهمَّ

(١) فى الأصل : « ... فامتحنوهنّ ، الآية »

(٢) فى الأصل : « وكان »

(٣) فى الأصل هكذا : « كانت ثابت بن الدحداح » ، والصواب ، « كانت تحت » ، وأما قوله « ثابت بن الدحداح » فهو خطأ محض . فإن ثابتاً رضى الله عنه استُشهد يوم أحد ، قتله خالد بن الوليد ، وقد مرّ ذلك فى ص (١٥١ — ١٥٢) . والتصحيح الذى ذكرناه من ترجمتها فى أسد الغابة ، والإصابة

(٤) فى الأصل : « أتت »

أن يردّها إلى زوجها ، حتى أنزَلَ الله تعالى « فَامْتَحِنُوهُنَّ »[1] . ثم زوَّجها رسولُ الله سَهْلَ بن حُنَيْف ، فولدتْ له عبدالله بن سهل .

طلاق الكوافر

وأنزَل الله تعالى : « وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ »[1] ، فطلَّق عمر بن الخطاب امرأتيْن هما : قُرَيْبَةُ بنتُ أَبى أُمَيَّة ، [بن المُغيرة][2] ، فتزوَّجها مُعاوية ابن أبى سُفْيان[3] ، والأُخرى أم كلْثوم بنت جَرْوَل بن مالك بن المُسَيَّب بن ربيعة بن أَصْرم بن حُبَيْش بن حرام بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب الخزاعية ، فتزوجها أَبو جَهْم بن حُذَيْفة . وطلَّق عِياض بن غَنْم الفِهْرِىّ أمَّ الحَكَم بنت أبى سُفْيان بن حرب ، فتزوّجها عبدُ الله بن عُثمان الثَّقفى ، فولدتْ له عبد الرَّحمن ابن أُمِّ الحَكَم ؛ وكلُّهم يومئذٍ مُشْرِكٌ . ولم يُعْلَمْ أنَّ امرأةً من المسلمين لَحِقَتْ بالمشركين

بعثة الرسل إلى الملوك

وفى هذه السنة السادسة ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رُسُلَه إلى المُلوك بكُتبه

بعثة حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس بمصر

فأرْسَلَ حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ [عمرو ، وقيل راشد] بن مُعاذ اللَّخْمِىّ إلى المُقَوْقِس بمصر

بعثة شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر

وأرْسل شُجاع بن وَهْب [ويقال ابن أبى وَهْب] بن رَبيعة بن أسَد بن صُهَيْب بن مالك بن كبير بن غَنم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة الأَسَدىّ إلى الحارث بن أبى شَمِر الغَسَّانى

بعثة دحية الكلبي إلى قيصر الروم

وأرسلَ دِحْية بن خليفة بن فَرْوَة بن فَضالة بن زيد بن امرئِ القَيس بن

---

(١) انظر (٣٠٦) آية الممتحنة

(٢) فى الأصل: « قريبة بنت أمية » ، والذى أثبتناه هو الصواب ، والزيادة بين القوسين من نسبها

(٣) ونقل ابن حجر فى الإصابة عن البلاذرى : أن معاوية ، تزوَّجها بعد أن أسلم

الخَزْرَج[1] [وهو زيدُ مَناة] بن عامر بن بكر بن عامر الاكبر بن عوْف بن عُذْرة بن زيد اللَّات بن رُفَيْدة بن ثوْر بن كلب الكلبيّ ، إلى قيْصر ملك الرُّوم

بعثة سليط بن عمرو إلى اليمامة

وأرسل سَليطَ بن عمرو بن عبدِ شَمْس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ القُرَشِيَّ العامرىَّ ، إلى هوْذَة بن عليٍّ الحَنفِيِّ ، و إلى ثُمامة ابن أُثال [وهُما][2] رئيسا اليَمامة

بعثة عبد الله بن حذافة إلى كسرى

و بعث عبد الله بن حُذافَة بن قيْس بن عدىٍّ بن سَعد بن سَهم القُرَشِىّ السَّهمى ، إلى كِسرى ملكِ فارس

بعثة عمرو بن أمية إلى النجاشى

وأَرسلَ عمرو بن أُمَيَّة بن خُوَيلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشِرة[3] ابن كَعب الضَّمْرِىّ ، إلى النَّجاشِيِّ ملكِ الحَبَشة

بعثة العلاء بن الحضرمى إلى ملك البحرين

وأرسل العَلاءَ بن الحَضرَمِيَّ [واسمه عبد الله] بن عبَّاد [وقيل عبد الله بن عمّار ، وقيل عبد الله بن ضِمار ، وقيل عبد الله بن عبيدة بن ضمار] بن مالك ؛ وقيل : العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن رَبيعة بن مالك بن أكبر بن عُوَيْف ابن مالك بن الخَزْرج بن أُبَىّ بن الصَّدِف ، إلى المُنذِر بن ساوى ملكِ البحرين . وقيل إنَّ إرساله كان سنةَ ثمانٍ

رد المقوقس

فأما المُقَوْقِس ، فإنه قَبِل كتابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى إليه أربعَ جوارِى ، منهُنَّ مارِيَةُ

رد قيصر

وأما قيْصر [واسمه هِرَقْل] ، فإنَّه قَبِل أيضاً الكتابَ واعترف بالنبوَّة ، ثم خافَ من قوْمه فأمسَك

رد الحارث بن أبى شمر

وأما الحارث بن أبى شَمِر الغَسَّانى ، فإنَّه لمَّا أتاه الكتابُ قال : أنا سائرٌ

(١) فى الأصل : « الخزرج »
(٢) زيادة للسياق
(٣) فى الأصل : « عتيك بن باشرة »

إليه [يعنى مُحارِباً] . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بَلَغه ذلك عنه : بادَ مُلْكُه

خبر النجاشى

وأما النَّجاشِيُّ ، فإنه آمنَ برسولِ الله واتَّبعَه ، وأسْلم على يدِ جَعفر بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، وأرسل ابنَه فى ستِّين من الحَبشَة فغرِقوا فى البحر .

٥ وبعثَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُزَوِّجه بأُمِّ حَبيبةَ بنتِ أبى سُفْيان ابن حرْب — وكانت مُهاجرةً بالحبشة مع زَوجِها عبد الله بن جَحْشٍ فتَنصَّر هناك — فزَوَّجَهُ إيَّاها ، وقامَ بصَداقها : أربعمائة دينارٍ من عنده

ردّ كسرى

وأما كسرى أبَرْوَيْز بن هُرْمُز ، فإنَّه مزَّق الكتابَ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مزَّق الله مُلْكَه . فَسُلِّطَ عليه ابنُه شيرَوَيْه فقتَله

رد هوذة بن على

١٠ وأما هَوْذَة بن عليٍّ ، فبعَثَ وفداً بأنْ يجعلَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمرَ بعدَه حتى يُسْلم ، وإلا قَصَدَه وحاربَه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اكْفِنيه ! فماتَ بعد قليل

ردّ المنذر صاحب البحرين

وأما المُنذِر بن ساوَى ، فإنه أسلَمَ وأسْلم أهلُ البحرين

سحرُ لبيد بن الأعصم لرسول الله

وفى مُحرم سنة سَبع سَحرَ لبيدُ[1] بن الأَعْصَم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،

١٥ على مالٍ جَعلَه له من بَقِيَ بالمدينة من اليهودِ والمُنافقين

غزوة خيبر

وكانت غزْوَةُ خَيْبَرَ فى صفر سنة سَبعٍ ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرُدٍ ، مَشْيُ ثلاثة أيام . وقيل سُمِّيَتْ بخَيْبر بن قانيةَ بن هلال بن مُهْلِل بن عُبَيل بن عوص بن إرمَ بن سام بن نوح[2] . وكان عثمان بن عفّان مَصّرَها

---

(١) قال ابن هشام ج ١ ص ٣٥٢ « لبيد بن الأعصم ، وهو الذى أُخِّذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نِسَائِه » . والأُخْذة : نوع من السحْر يتخذونه لمنع الرجال عن النساء

(٢) فى معجم البلدان : « وذكر أبو القاسم الزجاجى أنها سميت بخيبر بن قانية بن =

أول الخروج إلى خيبر

ويقال خرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهلال ربيع الأوّل . ونُقل عن الإمام مالك : أنَّ خيبر كانت فى سنة ستّ ، وإليه ذهب أبو محمد بن حزْم ، والجمهورُ على أنَّها كانت فى سنةِ سَبع . وأمر أصحابه بالتهيُّؤ للغزْو ، واستنفر مَنْ حوله يَغْزونَ معه . وجاءه المخلَّفون عنه فى غزْوَة الحُدَيبية ليخْرجوا معه رَجاءَ الغَنيمة ، فقال : لا تَخْرجوا مَعِيَ إلَّا راغبين فى الجهاد ، وأمَّا الغَنيمةُ فلا . وبعث مناديًا فنَادى : لا يخرُجَنّ معنا إلَّا راغبٌ فى الجهادِ . واستخْلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَة الغِفارِيَّ ، وقيل : أبا ذَرٍّ ، وقيل : نُمَيْلة بن عبد الله اللَّيثيّ

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهودُ خَيبَر لا يظنُّون أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَغْزوهم ، لمَنَعَتِهم وحُصونِهم وسِلاحهم وعَددِهم . كانوا يخرجون كلَّ يوم عشرةَ آلاف مقاتلٍ صفوفاً ثم يقولون : محمدٌ يغزونا ! ! هَيهات هَيْهات ! فَعَمَّى الله عليهم مخرجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى نزَل بساحتِهم ليلاً

دعاء رسول الله لما أشرف على خيبر

ولمَّا أشرف على خَيْبَر قال لأصحابه : قِفُوا . ثم قال : قولُوا : اللَّهُمَّ ربَّ السَّمٰوات السَّبْع وما أظلَلْنَ ، ورَبَّ الأرَضِينَ السبْعِ وما أقَلَلْنَ ، [وربَّ الشياطينِ وما أضَلَلْنَ] (١) ، وَرَبَّ الرّياح وما ذَرَيْنَ ، فإنَّا نسألُك خيْرَ هذه القَرْيةِ وخيرَ أهلِها وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بك من شرِّها [وشرِّ أهْلها] (١) وشرِّ ما فيها ! ثم قال : ادْخُلوا على بَرَكة الله . وعرَّسَ بمنْزلته ساعةً

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهودُ يقُومون كلَّ ليلةٍ قبْل الفجْر ، فيَلبَسون السلاحَ ويَصُفُّون الكتائبَ . وخرَج كِنانةُ بن أبى الحُقَيْق فى أربعة عشر رجلاً إلى غَطَفَان ، يَدْعوهم إلى نَصْرهم ولهم نصفُ ثمرِ خَيْبر سَنَةً . فلمَّا نزَل رسولُ الله صلى الله عليه

= بِهْلائيل بن إرم بن عبيل [وعبيل أخو عاد] بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو عمّ الرَّبَذة وزرود وشقرة بنات يَثْرب . وكان أول من نزل هذا الموضع »

(١) زيادة فى سائر الروايات

وسلم بساحتهم ، لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديكٌ ، حتى طلعت الشمسُ ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق . وفتحوا حصونهم ، [وغدَوْا إلى أعمالهم][1] ، معهم المساحي والكرازينُ والمكاتلُ ، فلما نظروا المسلمين قالوا : محمدٌ والخميسُ[2] !! وولَّوْا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهُ أكبر ! خربتْ خيبر ! إنَّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذرين -

قتال أهل النطاة

وقاتلَ يومَه ذلك إلى الليل أهلَ النَّطاة[3] ، فلما أمسى تحوّلَ بالناس إلى الرَّجيع[4] . وكان يغدُو[5] بالمسلمين على راياتهم . وكان شعارهم : يا منصور أمِتْ . وأمر بقطع نخلهم ، فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة عَذْق[6] ، ثم نادَى بالنَّهى عن قطعها . ويُرْوَى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا نزل خَيْبر أخذَته الشَّقيقة[7] ، فلم يَخْرجْ إلى الناس

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدىُّ : وجلس محمود بن مَسلَمة الأنصارىُّ تحت حصنِ نَاعِمٍ يَتْبَع

---

(١) زيادة للسياق من ابن سعد ج ٢ ص ٧٧ ، وقد شرحنا الألفاظ التى تلى ذلك فى ص ٢٢٠

(٢) الخميس : الجيش يكون خمس فرق ، المقدمة ، والقلب ، واليمنة ، واليسرة ، والساقة

(٣) كانت خيبر ذاتُ زرع ونخلٍ كثير ، وكان بها عدّة حصونٍ ، وهذه أسماؤها : حصنُ النَّطاة [وهو هذا] ، وحصن القَمُوص [وكان لأبى الحقيق وولده] ، وحصن ناعم ، وحصن الشّق ، وحصنُ الوَطيح [ويقال : الوطيحة أيضاً] ، وحصن الكتيبة ، وحصن السُّلالِم ، وحصن الصَّعب بن معاذ ، وحصنُ قلعة الزبير ، وحصنُ أبىّ ، وحصن الغزار ، وسيمُرّ بك بعض أسماء هذه الحصون فاذكرها

(٤) هذا المكان المسمى « بالرجيع » قربُ خيبر ناحية الشام ، وهو غير « الرجيع » الذى لهذيل بين مكة والطائف ، حيث غدرت عضل والقارة فقتلوا السبعة الذى بعثهم رسول الله ومنهم عاصم حَمِىّ الدَّبْر ، وقد مضى ذكرهم وذكر الموضع فى ص ١٧٤

(٥) فى الأصل : « يغذو »

(٦) العَذْق : النخلة بحملها

(٧) الشقيقة : صداع يأخذ فى مقدم الرأس ونصفه وأحد جانبى الوجه

فيئَتُهُ(١)، وقد قاتَلَ يومئذٍ، وكان يوماً صائفاً(٢)، فدلَّى عليه مَرْحَبٌ [اليهودىّ](٣) رحًى فهشَّمت البَيضةَ، وسقَطتْ جِلْدَة جَبينه على وَجْهه، ونَدَرَت(٤) عَينُه. فأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَدَّ الجِلدة كما كانت، وعَصبَها بثَوْبٍ. وتحوَّل إلى الرَّجِيع خَشْيةً على أصحابه من البيَاتِ، فكان مُقامه بالرَّجِيع سبعة أيامٍ. يغْدُو كلَّ يوم لِلقتالِ، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضى الله عنه، ويقاتل أهلَ النَّطَاةِ يومَهُ(٥)، فإذا أمْسَى رجَع إلى الرَّجيع. ومَنْ جُرح يُحْمَل إلى العَسكر ليُدَاوَى. فَجُرِح أوَّلَ يوم خمسون من المسلمين

اليهودى المستأمن

ونادى يهوديٌّ من أهلِ النَّطَاة بعد ليْلٍ: أنَا آمِنٌ وأُبلِّغكم؟ فقالوا: نعم! فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدَلَّه على عوْرَةِ يهودَ. فدعَا أصحابهُ وحضَّهم على الجهادِ، فغَدَوْا عليهمْ، فظفَّرهم الله بهم، فلم يَكُ فى النطَاةِ شىءٌ من الذُّرِّيّة. فلما انْتَهَوْا إلى الشِّقِّ وجدوا فيه ذُرِّيةً، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودِىِّ زَوْجَتَهُ

حراسة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسَة نُوَباً بين المسلمين، حتَّى فتَح الله حصن النطَاة، فوُجِد فيه مَنْجَنِيقٌ، فنُصب على حصن النِّزَار(٦)، ففتحه الله. ونازَلَ المسلمون حِصنَ ناعمٍ فى النطاةِ، فنهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال حتَّى يَأْذَن لهم. فعمَد رَجلٌ من أشْجَع فحمل على يهودَ، فقتله مرحبٌ، فنادى مُنادِى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَحِلُّ الجنةُ لعَاصٍ. ثم أمر الناس بالقتال. وكان ليهودَ عبدٌ

(١) فى الأصل: « فئة ». والفَيْءُ: الظلّ يأتى فينسَخُ الشمسَ من المكان
(٢) اليوم الصائف: الشديد الحرّ، من الصَّيف
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) ندرَ: سقط من جوفِ شىء أو من بين أشياء فظهر، وخرجَ
(٥) فى الأصل: « قومه »
(٦) فى الأصل: « البراز »

حبشيٌّ اسمُهُ يَسَار ، فى مِلْك عامرٍ اليهودى ، يرْعى له غنَماً ، فأقبلَ بالغنَم حتَّى أسْلم ، وردَّ الغنم لصاحبها ، وقاتَلَ حتى قتِل شهيداً

الألوية ، وأول راية فى الإسلام

وفرَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّايات ، ولم تكن رَايةٌ قبلَ خيبر ، إنما كانت الأَلْوِيَةُ . فكانت رايةُ النبيّ صلى الله عليه وسلم سَوْداء تدْعى العُقَاب : من بُرْدٍ لعائشةَ رضى الله عنها ، ولواؤُه أبيض . ودفَع رايةً إلى عليّ ، ورايةً إلى الحبَاب بن المنذر ، ورايةً إلى سَعد بن عبادة رضى الله عنهم

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مَدَدًا ليهود بغَطفَان فى أربعة آلاف ، فأرسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يرْجعَ وله نصف ثمَر خيبر ، فأبَى أن يتَخلَّى عن حلفَائه . فبعث الله على غطَفَان الرُّعبَ ، فخرجُوا عَلَى الصعْبِ والذلُول[1] ، فذَلّ عند ذلك عدوُّ الله كِنَانةُ بن أبى الحقَيْق ، وأيقَنَ بالهلَكة

حصن ناعم ورجوع المسلمين عنه

وجَثَمَ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحصون ، وألَحَّ على حصن ناعمٍ بالرَّمْى ، ويهُودُ تُقاتل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسٍ يقال له الظَّرِب[3] ، وعليه درْعان ومِغْفَرٌ وبَيْضَةٌ ، وفى يَدِه قَنَاةٌ وتُرْس . وقد دفَع لواءه إلى رجلٍ من المهاجِرين فرجع ولم يصنَعْ شيئاً ، فدَفعه إلى آخرَ من المهاجرين فرجَع ولم يصنَعْ شيئاً ؛ ودفَع لواء الأنصار إلى رَجُلٍ منهم فرَجع ولم يصنع شيئاً . فحثَّ صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد ، وسالَتْ كتائبُ يهود : أمَامهم الحارثُ أبُو زَيْنَب يهُذّ[4] الناس هَـذًّا . فساقَهم صاحبُ راية الأنصار حتَّى انتَهوا إلى

(١) الصَّعب من الدواب : الذى لم يركبْ ، فهو شديد عاصٍ . والذَّلول : السهل الذى ذلّ بالركوب حتى أسمَحَ . وقوله ، « خرجوا على الصعب والذلول » : كناية عن هربهم فى كلّ وجه لا يبالون شدائد ما يأتون ولا سُهوله ، من شدة رُعْبهم

(٢) جثم على حصونهم : أى لزمَ مكانَه منها ولم يَبْرحْه

(٣) فى الأصل : « الضرب »

(٤) فى الأصل : « بهذا » ، والهذّ : الإسراع

الحِصن فدخلوه . وخرج أُسَيْر يقدُمُ يهودَ، فكشَفَ الأَنصارَ حتى أنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَوْقفِه ، فاشتَدَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسَى مَهْموماً . [وخرج مع ذلك سعْد بن عبادة][1]، فقال صلى الله عليه وسلم : لأُعطِيَنَّ الرّايةَ غداً رجُلا يحبُّه الله ورسولُه ، يَفْتَح اللهُ على يديه ، لَيْسَ بفَرّار . أَبْشِر يامحمَّد بن مَسلمة ! غداً — إن شاء اللهُ تعالى — يُقْتَلُ قاتلُ أخِيك ، وتُوَلِّى عَادِيَةُ يهود[2]

بعثة علىّ لفتح حصن ناعم

فلمَّا أَصْبَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَل إلى علىٍّ رضى الله عنه — وهو أَرْمَد — ، فقال [علىٌّ][3]: ما أُبْصِرُ سهْلًا ولا جَبَلًا ! فذَهب إليه فقال [صلى الله عليه وسلم][3]: افتَحْ عَيْنَيك ! ففتَحهُما ، فَتفَلَ فيهما ، فما رَمِدَ بَعدها .

مقتل أبى زينب اليهودى

ثم دفعَ إليه اللِّواء ، ودَعا له ومَن معه بالنّصْر . وكان أوَّلَ من خَرَج إليه الحارثُ أبُو زينب — أخو مَرْحب — فانكَشف المسلمُون وثبَتَ علىٌّ ، فاضطَرَبا ضرَباتٍ فقتله علىٌّ . وانهزَم اليهودُ إلى حِصْنهم .

خبر مرحب اليهودى ومقتله

ثمَّ خرج مَرْحبٌ فحَمل عَلَى علىٍّ وضرَبه ، فاتّقاه بالتُّرْس ، فأطَنَّ[4] تُرسَ علىٍّ رضى الله عنه . فتناوَلَ باباً كان عند الحِصْن فترَّس به عنْ نَفسه ، فلم يزَلْ فى يدِه حتى فتحَ الله عليه الحصن ، و بعَثَ رجلًا يُبشِّرُ النبى صلى الله عليه وسلم بفتح حِصْن مَرْحب . ويقال إنَّ بابَ الحِصن جُرِّب بَعد ذلك ، فلم يَحْمِلْه أربعون رجلا . ورُوِى — من وَجْهٍ ضعيفٍ —

(١) هكذا هذه العبارة فى الأصل ، ولا أدرى ما أرادَ : وقد نقل صاحب السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٩ ، نص كلام الإمتاع ، ولم يذكر هذه العبارة . ولعله أراد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بعد ذلك ومعه سعد بن عبادة — وهو أحد أصحاب الرايات فى يوم خيبر — فقال ماقال ، ممّا ذكر بعد ذلك

(٢) العادية : أوَّلُ من يعدو إلى القتال من الرجّالة والفرسان

(٣) زيادة للبيان

(٤) أطنّ الترسَ : أى ضربها ضربة شديدة فقطعها ، وسُمع فى صوت القطع طنينُ الضربة

عن جابرٍ : ثمَّ اُجتمَع عليه سبعُون رجلاً ، فكان جُهْدَهم أن أعادوا البابَ . وعن أبي رافعٍ : فلقد رأيتُنى فى نفرٍ مع سبعةٍ — أنا ثامنُهُمْ — نَجْهَدُ أن نَقْلِبَ ذلك البابَ فما استطَعنا أن نَقْلبَه . وزعم بعضهم : أنَّ حَمْلَ علىٍّ باب خَيْبر لا أصل له ، وإنما يُرْوَى عن رَعاعِ الناس . وليس كذلك ، فقد أخرجَه ابن إسحاق فى سيرَتِه عن أبى رافعٍ ، وأنَّ سبعةً لم يَقْلِبوه . وأخرَجه الحاكمُ من طُرُقٍ منها : عن أبى على الحافظ ، حدثنا الهيثم بن خلف الدَّوْرِىّ ، حدثنا إسماعيل ابن مُوسى الفَزَارِىّ [نسيبُ][1] السُّدِّىّ ، حدثنا المطَّلِب بن زياد ، حدثنا لَيْثُ بن أبى سُلَيْم ، حدثنا أبو جعفر محمّد بن علىّ بن حُسَيْن ، عن جابر : أنَّ عليًّا حملَ البابَ يومَ خَيْبر ، وأنه جُرِّبَ بعد ذلك فلم يَحْمِلْه أربعون رجلا

خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم

ويقال إنَّ مرحباً بَرَزَ كالفحْل الصَّؤُول يَدعو للبِرَاز ، فخرجَ إليه محمّد بن مَسلمة فتجَاوَلا ساعةً ، وضربَ محمّدٌ مرحبًا فقطَعَ رِجْليه وسقَطَ ، فمرَّ به علىٌّ رضى الله عنه فضرَبَ عُنُقَه وأخذَ سَلَبَهُ ، فأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَلَبَهُ محمّدَ بنَ مسلمة . وبرَزَ أُسَيْرٌ ، فخرج له محمد بن مسلمة فقتَله محمدٌ ، ثم برَزَ ياسرٌ ، وكان من أشِداءِهم ، فقال :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبرُ أنِّى ياسِرُ شاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مُغاوِرُ
إذَا اللُّيوثُ أقبلَتْ تُبادِرُ وأحْجَمَتْ من صَوْلَتِى المَخاطِرُ[2]
إنَّ حِمَاىَ فِيهِ مَوْتٌ حاضِرُ

فقتَله الزُّبيْر رضى الله عنه وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّى زَبَّارْ قَرْمٌ لِقَوْمٍ غَيْرُ نِكْسٍ فَرَّارْ

(١) زيادة لا بد منها ، من ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٣٥

(٢) فى الأصل : «من صولة» ، ورواية الطبرىّ ج ٣ ص ٩٣ «من صولتى المغاورُ»

وأَبْنُ حُمَاةِ المَجْدِ وَابن الأَخْيَارْ يا سِرُ ! لا يَغُرُرْكَ جَمْعُ الكُفَّارْ
فَجَمْعُهُمْ مِثْلُ السَرَابِ الجَرَّارْ(١)

[وفى روايةٍ : « فإِنَّهُمْ مِثْلُ السَرَابِ المَوَّارْ »] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَبشرُوا ! قد تَرَحَّبَتْ خَيْبَرُ وتيَسَّرَتْ(٢) . وبرَزَ عامرٌ فقتله علىٌّ وأَخذَ سلاحَه . ولما قُتِل مَرْحَبٌ بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُعَيْلَ بن سُرَاقة الغِفَارِىَّ يُبشرُ محمود بن مَسْلَمة : أَنَّ الله قد أنزَل فرَائض البَنَاتِ ، وأَنَّ محمّد بن مسلمة قد قتَل قاتلَه . فسُرَّ بذلك ، وماتَ فى اليوم الذى قُتِل فيه مرْحَبٌ ، بعد ثلاث من سُقوط الرَّحَى عليه

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

وكان النَّاس قد أقاموا على حِصْن النَّطاة عشرة أيام لا يُفْتح ، وجَهَدهم الجوعُ ، فبعثُوا أَسماءَ بنَ حارثة بن هند بن عبد الله بن غِيَاث بن سعد بن عمرو ابن عامر بن ثَعلبة بن مالك بن أَفصَى الأَسْلَمِىَّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : نشكُوا الجوعَ والضَّعْفَ ، فادعُ الله لنَا ! فقال : اللهم افْتح عَليهم أعظمَ حِصْنٍ فيـه ، أكثرَه طعامًا وأكثرَهُ وَدَكًا . ودفَع اللواء إلى الحُباب بن المنْذرِ بن الجموح ، ونَدبَ النَّاس . فما رَجَعُوا حتى فتحَ الله عليهم حصن الصَّعْب بن مُعاذ . وأقبلَت غَنَمٌ ليهودَ ، وهُم فى حِصارِ حِصْن الصَّعْب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يُطعِمُنا من هذه الغَنَم ؟ فقال أبو اليَسر كَعْب بن عَمْرو ابن عبَّاد بن عمرو بن(٣) سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة : أنَا ، يا رسول الله ! وخرَجَ يَسْعى مثل الظَّبى ، فقال عليه السلام : اللَّهُمَّ مَتِّعنا به ! فأدرَكَ الغَنَم وقد

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

خبر أبى اليسر فى إطعام المسلمين

(١) فى الأصل : « وجمعهم مثل السراب الجار » ، وهذه الرواية أجود ، انظر الطبرى ج ٣ ص ٩٣

(٢) وذلك لقتل مرحب وياسر

(٣) فى الأصل : « عمرو بن غزية بن سواد » وليس فى كتاب من الكتب الأصول كلها ، ذكرُ « غزية » بين عمرو وسواد

دَخَل أوّلُها الحِصنَ ، فأخذَ شاتيْن من آخرِها واحتضنَهُما ، ثم أقبلَ عَدْوًا . فأمرَ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُبِحَتَا[1] وقُسِمَتَا ، فما بَقِى أحدٌ من أهل العسكر المُحاصِرين الحصنَ إلّا أكلَ منها ، وكانوا عَدَدًا[2] كثيراً . وخَرج من الحِصن عشرون حِماراً أو ثلاثون ، فأخَذَها المُسْلمون وانتحَرُوها[3] ، وطَبَخُوا لحومها . فمرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُمْ على تلك الحال ، فسألَ ، فأُخْبِر خبرَها . وأمرَ فنُودِىَ : إنّ رسولَ الله نَهاكم عن لُحُوم الإنْسِيَّة[4] فأكفِئُوا القدور ، وعن مُتْعَةِ النساء ، وعن كلّ ذى نابٍ ومخْلَب . وذَبح المسلمون فرسَيْن قبل فَتح حِصن الصعب فأكلُوا

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

النهى عن متعة النساء وكل ذى ناب ومخلب

وقُتِل عامرُ بن سِنانٍ الأنصارى — عمُّ سَلَمَةَ[5] بن عمرو بن الأكوع [وسِنانٌ هو الأكوَع] — ، وقد لَقِىَ يهوديًّا فبدَرَه بضرْبةٍ ، فاتّقى عامرٌ بدَرَقَتِه ، فنبَا سَيْفُ اليهودِىّ عنه ، وضرَب عامرٌ رِجْل اليهودِىّ فقطَعها ، ورجَع السَّيْفُ عليه ، فنُزِفَ فمات . فقال أُسَيْد بن حُضَيْر : حَبِطَ عملُه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذَبَ من قالَ ذلك ، إنَّ لهُ لأَجْرَيْن ، إنه جاهِدٌ[6] مُجاهِدٌ ، وإنه ليَعُومُ فى الجنّة عَوْمَ الدُّعْمُوص[7]

مقتل عامر بن سنان

ولما أقام المسلمون على حِصن الصعب يَومَين ، عَدا بهم الحُباب بن المُنْذِر فى اليوم الثالث ومعه الرّاية ، فقاتلَهم أشدَّ قِتالٍ . وبكَّرَ رسول الله صلى الله عليه

خبر حصن الصعب

(١) فى الأصل : « قد لحقا »
(٢) فى الأصل : « عداداً »
(٣) انتحر الدابة ونحرها : طعنها فى نحرها فذبحها
(٤) يعنى الحُمر الإنسية غير الوحشية
(٥) فى الأصل : « مسلمة »
(٦) الجاهدُ : الجادّ فى أمره
(٧) الدعموص : دُوَيبّة تغوص فى الماء غوصاً سهلا

وسلم فتَرَامَوْا بالنَّبْـل ، وقد ترَّس المسلمون على رسول الله . ثم حَمَلت اليهودُ حَملةً مُنـكرَةً ، فانـكشَف المسلمون حتى انتَهَوْا إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وهو وَاقِفٌ قد نزل عن فَرَسـه ، ومِدْعَمٌ[1] يُمْسِكُ الفَرسَ ، وثبَت الحباب برَايته يُرامِيهمْ على فرسِه . فندَبَ رسول الله الناس وحضَّهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحفَ بهـم الحباب . واشتدَّ الأمرُ ، فانهزَمتْ يَهودُ وأَغْلقوا الحِصن عليهم ، ورمَوْا من أعلى جُدُره بالحجارة رَمْيا كثيراً[2] ، فتباعدَ عنهـم المسلمونَ ، ثم كَرُّوا . فخرجتْ يَهود وقاتلُوا أشدَّ قتالٍ ، فقُتِل ثلاثةٌ من المسلمين ، ثم هزَمهم الله تعالى . وأُقْتحم المسلمون الحصنَ يقتلُون ويَأْسِرون . فوجَدُوا فيه من الشَّعير والتمر والسمْنِ والعسَلِ والزيت والوَدَكِ كثيراً . فنادَى مُنادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : كلُوا وأعْلِفُوا ولا تحْتَمِلُوا [يعنى لا تخرُجُوا به إلى بلادِكم] . فأخذوا من ذَلك الحصنِ طعامَهم ، وعَلَفَ دوابِّهم ، ولم يُمْنَع أحدٌ من شىْء ، ولم يُخَمَّسْ . ووَجدوا بزًّا فى عشرين عِكماً[3] مَحْزومةً من متاعِ اليمن[4] ، ووجدوا خَوَابِىَ سَكَرٍ[5] ، فأمر بالسَّـكَرِ فـكُسِّر فى خَوابيه . ووجَدُوا آنيةً من نُحاسٍ وفَخَّارٍ كانت يهودُ تأكلُ فيها وتَشْرَبُ ، فقال عليه السـلام : أُغسلُوها ، وأُطبُخُوا ، وكلُوا فيها ، وأشرَبوا . وأَخْرَجوا منها غَنماً وبَقَرًا وحُمُرًا ، وآلةَ الحرْبِ ، ومَنْجَنِيقاً ، ودبَّاباتٍ ، وعُـدَّةً ، وخمسمائة قطيفَة ، وعشرة أحمـال

غنائم حصن الصعب

(١) مدْعم : عبد أسود أهداه لرسول الله رفاعة بن زيد الجذامىّ ، وهو من أهل النار ، وحديثه فى البخارى ج ٥ ص ١٣٨

(٢) فى الأصل : « كبيراً »

(٣) العِكْمُ ثوب يبسطُ ويوضع فيه المتاعُ ويشد عليه ويُحْزم ، وهو المعروف عندنا (بالبقجة)

(٤) فى الأصل : « اليمين »

(٥) الخابية ، وجمعها الخوابى : الجِب الـكبير ، وهو كالدنّ . والسكر : ما يُسْـكِرُ من الخمر

كشوب[١] فأحرق . وشرب الخمر رجلٌ من المسلمين يُقال لهُ « عبد الله الحِمارُ[٢] » ، فخفقَهُ[٣] رسولُ الله بنعْلَيْه ، وأمر من حَضرُوه فخفقُوهُ[٤] بنِعالهم . ولعنَه عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال صلى الله عليه وسلم : فإنه يُحبُّ الله ورسولَه ! ثم راح عبد الله كأنه أحدُهم ، فجلَسَ معهم

فتح قلعة الزبير

وتحوَّلَتْ يهودُ إلى قَلعة[٥] الزُّبَيْر ، فزَحفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم وحصَرَهم — وكانوا فى حِصْنٍ مَنيعٍ — مدَّةَ ثلاثةِ أيام حتى فَتحَه ، وكان آخرَ حصون النَّطَاة

فتح حصون الشّق

ثمَّ أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأَنْفَال والعسكرِ أن يحوَّلَ من الرَّجيع إلى مكانه الأَوّلِ بالشِّقِّ ، وبه عِدَّةُ حصون ، فنازَلها حتى فَتحها . ووُجد فى حصنٍ منها صَفِيَّةُ بنت حُيَيّ وَابنةُ عَمِّها ، ونُسَيَّاتٌ معها وذَرارِيُّ ، يَبلُغ عِدَّةُ الجميع زيادة على ألْفَين . وصالَح كِنانةُ بن أبى الحقيق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم [على][٦] أهلِ الكتيبة ، فأَمَّن الرِّجالَ والذُّرِّية ، ودَفَعوا إليه الأَموال من الذَّهب والفِضَّة والحَلْقَةِ والثِّياب إلا ثوْباً على إنسانٍ ، بَعْدَ ما حصرَهم أربعة عشر يوماً . وقال مالك ، عن ابن شهاب : والكتيبةُ أكثرُها عَنْوة ، وفيها صُلح . قال ابن وهب : قلتُ لمالك : وَمَا الكتيبة ؟ قال : من أَرْضِ خَيْبر ،

مصالحة كنانة بن أبى الحقيق على أهل الكتيبة

(١) هكذا هو فى الأصل ولم أدر ماهو ؟

(٢) اسمه عبد الله ، والحمار لقب ، وكان يُضْحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من عمله أن يهدى الهدايا إلى رسول الله ، ويكون هو قد اشتراها من أصحابها وأجّلهم ثمنها ، ثم يأتى بعد ذلك رسولَ الله ومعه صاحب الهدية فيقول له : يا رسول الله ، أعطه ثمنها ! !

(٣) خفقه بالسوط والسيف والنعل والعصا : ضربه ضرباً خفيفاً

(٤) فى الأصل : « نخفقوهم »

(٥) فى الأصل : « قطعة »

(٦) زيادة لابُدَّ منها ، وحصون الكتيبة هى : القموص ، والوطيح ، وسُلالم ، والكتيبة

وهى أربعون ألف عَذْقٍ . فَوُجِد خمسمائة قوسٍ عربية ، ومائة دِرْعٍ ، وأربعمائة سيفٍ ، وألفُ رمح . وسأل [رسولُ الله صلى الله عليه وسلم][1] كنانةَ بن أبى الحُقَيق عن الأموال — وكان قد قالَ صلى الله عليه وسلم حين صالحه : بَرِئَتْ منكم ذمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله إن كَتَمْتُمونى شيئاً — فقال كنانةُ : ياأبا القاسم ! أنفقناه فى حربنا فلم يَبْقَ منه شىء ! وأكَّد الأيمان ، فقال رسولُ الله : بَرِئَتْ منكم ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله إن كان عندكم ؟ قال : نعم ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : وكلُّ ما أخَذْتُ من أموالكم ، وأصَبْتُ من دِمائكم ، فهو حِلٌّ لى ولا ذِمَّة لكم ؟ قال : نعم ! وأشهد عليه عِدَّةً من المسلمين ومن يَهود . فدلَّه سَعْيَةُ[2] بن سَلَّام ابن أبى الحقيق على خَرِبَةٍ ، فبَعث عليه السلام الزُّبَيْرَ فى نفَرٍ مع سَعْيَةَ[2] حتى حَفَرَ ، فإذا كَنْزٌ فى مَسْكِ[3] جَمَلٍ ، فيه حُلِيٌّ . فأُتِى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الزُّبَيْر أن يعذِّب كنانةَ حتى يستخرجَ كلَّ ما عنده ، فعذبه الزُّبَيْر حتى جاءهُ بمالٍ ، ثم دفعَهُ إلى محمد بن مسلمة فقَتَلَه بأخيه محمود . وعذَّب ابن أبى الحقيق الآخر ، ثمَّ دُفِع إلى وُلاة بِشْر بن البَراء[4] فقُتِلَ به ، وقيل ضرَبَ عُنُقَه . واستَحَلَّ صلى الله عليه وسلم بذلك أموالهما ، وسَبَى ذَرارِيَّهُما . ووُجِدَ فى المَسْك : أَسْوِرَةُ الذَّهب ، ودَمالِجُ الذَّهب ، وخَلاخِل الذَّهب ، وأَقْرِطَةُ ذَهَبٍ ، ونَظْمٌ من جَوْهرٍ وزُمُرُّذٍ ، وخَواتِم ذَهَبٍ ، وفَتَخٌ بجَزْعِ ظَفارِ مُجَزَّعٌ[5]

ما كتمه ابن أبى الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

(١) زيادة للبيان

(٢) فى الأصل : « ثعلبة »

(٣) المسك : الجلد يكون مِسْلاخَ الدابّةِ أو الغنم

(٤) سيأتى خبر مقتل بشر بن البراء بالسمّ بعد قليل فى ص (٣٢١)

(٥) فى الأصل : « وفتح بجرع ظفار مجرع » . والفَتَخ جمع فتخة ، وهى حلقة تُلبَس فى الإصبع كالخاتم ، (وهى المعروفة عندنا بالدبلة) ، وكانت نساءُ الجاهلية يتّخذونها فى عصرِهِنّ . وجَزْع ظفار ، مضى ذكره فى ص ٢٠٧

بالذهب . [وذكر][1]

صفية بنت حُيَيّ : إسلامها، وزواج رسول الله بها

وكانت صَفِيّةُ بنت حُيَيّ تحتَ كِنانة بن أبى الحُقَيْق ، فسباها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبَعث بها مع بِلالٍ إلى رَحْلِه . فمَرَّ بها وبِابْنةٍ عمٍّ لها على القَتْلَى ، فصاحت ابنةُ عمّها صِياحًا شديداً ، فكَرِهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما صَنَع بِلالٌ وقال : ذَهَبَتْ منك الرَّحْمَة ؟ تمُرُّ بجارية حديثَةِ السنِّ على القَتْلى ! ! فقال : يا رسولَ الله ! ما ظَنَنْتُ أنك تكرَهُ ذلك ، وأحببتُ أن ترى مصارعَ قَوْمِها ! فَدفَع ابنة عمِّ صفِيّة إلى دِحْيَةَ الكَلبِيّ ، وأَعْتَق صفيَّةَ وتزوّجَها ، وجعل عِتْقَها صَداقَها

خبر الشاة المسمومة التى أكل منها رسول الله ، وقتلت بشر بن البراء

ثُمّ إنّ زينب ابنةَ الحارث اليهودية أُختُ مرْحب ، ذَبحت عَنْزاً لها وطَبختها وسَمَّتها ، فلما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المغربَ وانصرف إلى منزله ، وجَدَ زينب عند رَحلِه فقدَّمت له الشاةَ هديةً . فأمر بها فوُضعت بين يديه ، وتقدَّم هو وأصْحابه إليها ليأكلوا . فتناولَ الذِّرَاعَ ، وتناوَل بِشْر بن البراء عَظْماً ، وَانْتَهَسَ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ ازْدردَ ، وقال : كُفُّوا أيْدِيكُمْ ، فإنّ هذه الذراع تُخبِّرنى أنّها مسمومةٌ ! فقال بِشْر بن البراء : واللهِ يا رَسول الله ، وَجَدْت ذلك من أُكلَتى[3] التى أكلْتُ ، فما مَنَعنى أن ألْفِظها[4] إلّا كَرَاهِيَةُ أُنَغِّصُ عليك طعامَك . فلم يَرِمْ[5] بشرٌ من مكانه حتى تَغيَّر ثم مات . ودعا

(١) هكذا جاءتْ هذه الكلمة فى المكان بين الكلامين ، ولا أدرى أهى معطوفة على ماقبلها ، أم هى مقطوعة منه ، وفى صلتها — بالذى يجىءُ بعدها من الكلام — سقط ؟ وأىّ ذلك كان ، فالكلام مستقيم ما حذفت

(٢) انتهس اللحم : انتزعه بمقدّم الثنايا وتعرَّقه ، وازدردَ : ابتَلَع

(٣) الأكلة : اللقمة يأكلُها ، ويُفتح أوّلها أيضاً بمعناها

(٤) لفظ اللقمة : طرحها من فيه

(٥) لم يَرِم : لم يفارق مكانه ولم يَبْرَحه

رسولُ الله زينبَ وقال : سَمَمْتِ الذِّرَاع ؟ قالت : منْ أَخبرَكَ ؟ قال : الذِّرَاع ! قالت . نَعَمْ ! قال : وما حملكِ على ذلك ؟ قالت : قَتَلْتَ أَبى وعمِّى وزَوْجِى ، ونِلْتَ من قومى مانلْتَ ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فَسَتُخْبره الشاةُ ، وإن كان مَلِكا أَسترَحنا منه ! فقيل : أمرَ بها فقُتِلتْ ثم صُلِبَتْ ، كما رَواه أبو دَاوُد . وقيل : عَفَا عنها . وقد اختلفتِ[1] الآثارُ فى قتلها : ففى صحيح مسلمٍ أنَّه لم يقتلها ، وهو مرويّ عنْ أبى هريرة وجابر . وفى أبى داود أنه قتَلها . وعن ابن عباس دفعها إلى أولياء بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، وكان أكل منها فماتَ بها ، فقتلوها . وقال ابن سَحْنون : أجمع أَهْلُ الحديث أن رسول الله قتَلها . وكان نفرٌ ثلاثةٌ قد وَضَعوا أيديهم فى الطعام ولم يُصيبوا منه شَيئًا ، فأَمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتَجَموا أَوْساطَ رُؤُوسهم ، واحتجم صلى الله عليه وسلم تَحْتَ كَتِفه اليُسْرى ، وقيل على كَاهِلِه ، حجمه أَبُو هِنْدٍ بالقَرْنِ والشَّفْرَةِ . وقال صلى الله عليه وسلم فى مَرَض مَوْته : ما زالت أُكْلَةُ خيبر يُصيبنى منها عِدَادٌ ، حتَّى كان هذَا أوانَ أن تقْطَعَ أبْهرِى[2] . ويقال الذى ماتَ مسمومًا من الشاة مُبَشِّر بن البراء ، وبشر أَثْبَت

الاختلاف فى قتل صاحبة الشاة المسمومة

احتجام رسول الله من سم الشاة

وَاستعملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَغَانِم خيْبر فَروةَ بن عمرو بن وَذَفَةَ بن عبيد[3] بن عامر بن بَيَاضة البَيَاضِىَّ الأنصارىَّ ، فلَمْ يُخَمِّس الطَّعَام وَالأَدَم والعَلَف ، بلْ أَخذَ الناس منه حاجتَهم . وكان مَنِ احتَاجَ إلى سلاح

مغانم خيبر

(١) فى الأصل : « واختلف »

(٢) العِدَاد : اهتياجُ وجع اللَّدِيغ أو المسموم ، وذلك أنه إذا تَمَّتْ له سنة مذيوم لُدِغ هاج به الألم كأوَّل ما لدغَ . ويروى هذا الحديث : « ما زالت أُكْلَةُ خيبر تُعَادُّنى ، فهذا أوانُ قطعتْ أبْهرى » . فقوله تعادّنى : من العِدَاد أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمّها فى أوقاتٍ معلومةٍ . والأبهر : عرق مستبطن فى الصلْب يخرجُ من القلبِ متصل به فإذا انقطع لم تكن معه حياة ، وانظر ص ٢٣٢ (الأكحل)

(٣) فى الأصل : « ودفة بن عميل » ، والصواب ما أثبتناه ، وما اتفق عليه الرواة انظر ترجمته فى أسد الغابة وابن سعد والإصابة ، وابن هشام وغيرهم

يقاتلُ به ، أخذه من صَاحب المَغْنم ثم ردَّهُ[١] إليه . فلما اجْتمعت المغانمُ كلها ، جَزَّأها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَة أجزاء ، وكتب فى سَهْمٍ منها لِلّه ، وسائرُ السُّهمان أغْفَالٌ . وكان أوَّلَ سهم خرَج ، سهمُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لم يتَخَيَّر فى الأخماس . ثم أمر ببَيع الأخماس الأربعةِ فيمَن يزيدُ ، فباعها فَرْوةُ بن عمرو . ودعا فيها صلى الله عليه وسلم بالبرَكة فقال : اللّهم ألْقِ عليها النِّفَاق ! فتَدَاكَّ الناس عليها حتى نَفقَ فى يومين ، وكان يُظَنُّ أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرته . فأعطى رسول الله صلى الله وسلم من خُمُسه ما أراه الله : فأعطى أهله ، وأعطى رجالاً من بنى عبد المطلب ونساء ، وأعطى اليتيمَ والسائلَ . وجُمِعت مَصاحِفُ فيها التوراةُ ، ثم رُدّتْ عَلَى يَهود . ونَادَى منادِى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَدُّوا الخِيَاطَ والمِخْيَطَ[٢] ، فإن الغُلولَ[٣] عارٌ وشَنَارٌ ، ونارٌ يومَ القيامة ! فعَصَبَ فَرْوَةُ رأسَه بعِصابة ليَستَظِلَّ بها من الشَّمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عِصابةٌ من نارٍ عَصَبْتَ بها رأسَك ! فطرَحَها . وسألَ رجل أن يُعْطَى من الفَيْءِ شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَحِلُّ من الفَيْءِ خَيْطٌ ولا مِخْيَطٌ لأحد ، ولا مُعْطًى . وسألَه رجل عِقالاً فقال : حتى تُقْسَم الغنائم ثم أُعطيك عقالاً . وقُتِل[٤] كِرْكِرَةُ يومئذٍ ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّه الآن لَيُحرَقُ فى النّار عَلَى شَمْلةٍ غَلَّها . وتُوُفِّى رجلٌ من أشجَع فلم يُصَلّ عليه ، وقال : إنَّ صاحبَكم غلَّ فى سبيلِ الله . فوُجِدَ فى متاعه خَرَزٌ[٥]

الغلول من الغنائم

---

(١) فى الأصل : « ردّوه »

(٢) الخياطُ : الخيطُ . والمِخْيطُ : الإبرة يخاط بها

(٣) غلّ من المغنم : خان وسرقَ ، واسم ما يسرقُ من الغنائم : الغُلول

(٤) فى الأصل : « وقيل »

(٥) فى الأصل : « حزو » ، ولم يتوجّه لنا رأى فى صوابها إلا ما كتبناه ، أو أن تكون « خَزّ لا يساوى ... »

لا يساوى درهمين . واشترَى الناس يومئذ تِبرًا بذَهَبٍ جُزَافًا[١] ، فنهَى[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . ووجَد رجلٌ فى خَرِبةٍ مائتىْ درْهَمٍ ، فأخذَ منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخُمُسَ وَدَفَعها إليْهِ

النهى عن أشياء

وسُمِعَ [صلى الله عليه وسلم][٣] يومئذ يقول : مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فلا يَسْقِ ماءه زَرْعَ غيره ، ولا يَبِعْ شيئاً من المَغْنَم حتى يُعلَم ، ولا يرْكَبْ دابَّةً من المَغْنَم حتى إذا أدْبَرَها[٤] رَدَّها ، ولا يَلْبَسْ ثوباً من المَغْنَم حتى إذا أخْلَقَهُ رَدَّهُ ، ولا يَأْتِ[٥] امرأةً من السَّبْىِ حتى تُستَبْرأ بِحَيْضَةٍ[٦] ، وإنْ كانت حُبْلَى حتى تَضَعَ الحَمْلَ . ومرَّ على امرأة مُجِحٍّ[٧] فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفُلانٍ . فقال : لعلَّهُ يَطَؤُها ؟ قالوا : نعم ! قال : كيف بوَلَدِها ؟ يرِثُه وليس بِابْنِه ، ويَستَرِقُّه وهو يَغْذُو[٨] فى سَمْعِهِ وبَصره ! لقد هَممتُ أن ألعنه لَعْنَةً تَتْبعُه فى قبره

قدوم أصحاب السفينتين

وقَدِم أهلُ السفِينَتَيْن من عند النَّجَاشِىّ بعد أن فُتِحتْ خيبر ، فيهم جَعفَرُ

(١) فى الأصل : « وأسرى الناس يومئذ يذهبُ جزافاً »

(٢) فى الأصل : « فانتهى »

(٣) زيادة للبيان

(٤) أدبرَ الدابة : إذا أثقل عليها الحِمْل ، فقرّحها القتبُ حتى تَدْمَى . والدَّبَرةُ اسم القرحة التى تكون من ذلك

(٥) فى الأصل : « ولا يأتى »

(٦) استبراءُ الجارية : أن لا يمسها ولا يطؤها حتى تبرأ رحمها ، فتحيض ثم تَطْهرُ ، وعندئذ يتبيّنُ حالها هل هى حامل أم لا

(٧) فى الأصل : « مخج » . أصله ، أجحّت : السبُعة والكلبة فهى مجحٌّ : إذا حملت فاقربت وعظُم بطنها ، واستعير ذلك للمرأة استبان حملُها

(٨) غذوتُ الصبي : إذا غذّيته ، وجَعَل ماء الرجُل للحمل كالغذاء للجنين ، ومن أجل ذلك لم يحلّ له أن يستخدمه ويسترقه . وفى الحديث أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُغذُّوا أولادَ المشركين » ، وذلك نهيه المسلمين عن وطء الحبالى من السَّبْى

ابن أبي طالب وأبو موسى عبدُ الله بن قيس الاشعريّ ، فى جماعة من[1] الأشْعَريِّين يزيدون على سبعين . وذَكر ابنُ سعدٍ عن الواقدى بسنده : أنهم لما سمعوا خبرَ هِجْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينَة ، رجع معهم ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً وثمانى نِسْوة ، فماتَ منهم رجلانِ بمكة ، وحُبِس بمكةَ سبْعةُ نفرٍ . وشهدَ بدراً منهم أربعةٌ وعشرُونَ رجلاً . فلما كان شهرُ ربيع الأوّل سنة سَبْعٍ من الهجرة ، كتَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّجاشىّ يدعوه إلى الإسْلام مع عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِىّ ، فأسلم . وكتب إليه أيضاً أن يُزَوِّجه أُمَّ حَبِيبة [بنت أبى سفيان][2] — وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة — فزوَّجه إيَّاها . وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمَنْ بقِى عنده من أصحابه ويَحْمِلهم ؛ فَحَمَلهم فى سفينتين مع عمرو بن أُمَيَّة ، فأرسوْا بساحل بولا[3] وهو الجارُ[4] . ثم ساروا حتى قَدِموا المدينةَ ، فوجدُوا[5] رسولَ الله بخيْبر فأتوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : مَا أَدْرى بأيِّهما أنا أسَرُّ ؟ قُدُومِ جعْفَر ، أو فتْح خيبر ! ! ثم ضمَّه وقبَّل بين عينَيه . وهمَّ المسلمون أن يدخِلُوا جعفراً ومَنْ قدِم معه فى سُهْمَانِهم ففَعلوا . وقدم الدَّوْسِيُّون ، فيهم أبو هُرَيرة والطُّفَيل بن عَمْرو وأصحابهم ، ونفرٌ من الأشعريِّين ، فكلم رسولُ

كتاب رسول الله إلى النجاشىّ فى الإسلام ، وزواج أم حبيبة ، ورجعة المهاجرين

إشراك القادمين فى غنائم خيبر

---

(١) فى الأصل : « فى »

(٢) زيادة للبيان

(٣) ساحل بولا : لم أعرف صواب رسمه أو ضبطه ، ولم أجده فى كتب البلدان ، انظر التعليق التالى

(٤) الجارُ : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وهى فرضة كانت تُرْفَأُ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والهند ، ونصف الجار جزيرة فى البحر ونصفُها على الساحل . وقد سُمّى البحر من جُدّة إلى القُلزم كله باسمها (بحر الجار) ، فلعل بولا هو اسم هذا البحر بلسان الحبشة

(٥) فى الأصل : « فواجدوا »

الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه[1] فيهمْ أن يشرَكُوهم فى الغَنيمةِ ، فقالوا : نعم ، يا رسول الله

الخمس وقسمته

وكان الخُمُس إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنَم غَنِمَه المسلمون ، شَهِدَه أو غابَ عنه . وكان لَا يقْسمُ لغائبٍ فى مَغْنم لم يشهَدْه ، إلا أنَّه فى بدرٍ ضرَبَ لثمانيةٍ لم يشهدُوا . وكانتْ خيبر لأَهل الحديبْية من شهدها أو غابَ عَنها . قال الله سُبحانه : « وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ » (الفتح : ٢٠) يعنى خيبر ، وقد تخلَّف عنها رجالٌ ، ومات رجُلانِ . وأسهم صلى الله عليه وسلم لمن تخلَّف منهمْ ومن مات ، وأسهم لمن شهدَ خيبر ولم يشهد الحدَيبية ، وأسهم لرُسُلٍ كانوا يختلفون إلى أهل فدَكٍ ، وأسهَم لثلاثة مرضَى لم يحْضُروا القِتَال ، وأسهم للَّذين استُشهدُوا . وقيل : كانت خيبرُ لأهل الحديبية ، لم يشهَدْها غيرُهم ، ولم يُسهم فيها لغيْرهم ، والأول أثبتُ . وأسْهَم لعشرة من يهودِ المدينة — غزّاهم[2] إلى خيبر — كسهْمانِ المسلمين ، ويقال أَحْذَاهم[3] ولم يُسْهِمْ لهم ، وأعطى مماليك كانوا معه ولم يسهم لهم

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأَة : منهن ، أمُّ المُؤمنين أُمُّ سَلَمة ، وصَفِيَّةُ بنتُ عبد المطلب ، وأُمُّ أيمن ، وسلْمى امرأة أبى رَافعٍ مَولاةُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وامرأَة عاصم بن عَدىّ ، [وَولدت بخيبر سَهْلَة بنت عاصم] ، وأُمُّ عُمَارة نُسَيْبة بنت كعبٍ ، وأمُّ مَنِيعٍ وهى أُمُّ شَبَاث ، وكَعَيْبَةُ بنتُ سعْد الأَسلمية ، وأم مُطاع الأسلمية ، وأمُّ سُلَيْم بنتُ مِلْحَان ، وأُم الضحَّاك بنتُ مَسعود الحارثية ، وهنْد بنت

(١) فى الأصل : « وأصحابه »
(٢) غزّاهم : حملهم على الغزو
(٣) فى الأصل : « أحداهم » . وأحذَى المملوك والمولى من الغنيمة : أعطاهُ منها ووَهب له

عمرو بن حرام ، وأُمُّ العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط ، وأُمَيَّة بنت قيس الغفارية ، فرَضَخَ لهنّ[1] من الفَيْء ولم يسهم لهن . وولدت امرأةُ عبد الله بن أُنيس فأحْذَاها ومَن وَلَدته

خبر أفراس المؤمنين وسهمانها

وقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ثلاثةَ أفْراس : لِزَازٌ والظَّرِب[2] والسَّكْب . وقاد المسلمون مائتى فرس ، وقيل ثلاثمائة ، والأول أثبت . فأسهم لمن لَه فَرَسَانِ خمسةَ أسهم : أربعةً لفرسَيْه وسهماً لَهُ ، ولم يسهم لأكثر من فَرَسَين لرجل واحد . ويقال إنّه لم يسهمْ إلا لفرسٍ واحدٍ ، وهـذا أثبتُ . ويقال إنه عرَّبَ العربىَّ وهَجَّن الهجين[3] يَوْم خيبر ، فأسهم للعربىّ دون الهجين . وقيل : لم يكن فى عهْده عليه السلام هَجِينٌ ، إنما كانت العِرابُ[4] ، حتى كان زَمَنُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتِحَتِ الأمصار . ولم يُسْمَع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرَبَ لما كان مَعَه من الخيلِ لنفْسه إلا لفرسٍ واحدٍ ، فكان له صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ أسهمٍ : لفرسِهِ سهمان وله سهمٌ . ووَلِىَ إحْصاءَ الناس بخيْبر زيدُ بن ثابتٍ ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم الغَنَائم : وهُمْ ألفٌ وأربعمائة ، والخيلُ مائتا فرسٍ . وكانتِ السهمان التى فى النَّطَاة والشِّقِّ على ثمانية عشر سهماً . وكان مَن كان فارساً لَهُ فى ذلك ثلاثةُ أسهُمٍ فَوْضى لم تُحَدّ ولم تُقْسم ، إنما لها رؤُوسٌ مُسَمَّوْنَ ، لكل مائةٍ رأسٌ يَقْسمُ على أصحابه ما خَرَج من غَلّتها

(١) رَضَخَ له من ماله : أعطاه عطاء مقارباً ليس بالكثير ، واسم ما يعطى كذلك : الرضيخةُ

(٢) فى الأصل : « الضرب »

(٣) العربى من الخيل والناس : الذى يكون أبوه عربيا عتيقاً وأمهُ عربية ، فإذا كانت الأم غير عربية ، فولدُهما هجين ، وهو عيب يعابُ به

(٤) العرابُ من الخيل : العربيَّة . فرّقوا بين الخيل والناس فقالوا فى الناس : عرب وأعراب ، وفى الخيل : عِرَاب

مساقاة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، ساقَى[١] يهود على الشَّطْرِ من الثَّمر والزَّرْع ، وكان يُزْرَعُ تحتَ النَّخْل . وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرُص[٢] عليهم النَّخْل ، ويقولُ إذا خرَص : إن شئتُم [فلكُم][٣] ، وتَضْمنون نصفَ ما خرصتُ ؛ وإن شِئتُم فلنَا ، ونضمن لكم ما خَرَصْتُ . وخرَص عليهم أربعين ألف وَسْقٍ[٤] . فلمّا قتِل ابن رَواحة بمُؤتة ؛ خرَص عليهم أبُو الهيْثم بن التيِّهان ؛ وقيل : جَبّار بن صخْر ؛ وقيل : فَرْوَة بن عمرو . وجَعَل المسلمون يَقعُون[٥] في حرْثهم وبَقْلِهم بعد المُساقاة ، فشكت يهودُ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنادَى عبدُ الرحمن بن عوف : الصَّلاةُ جامعَةٌ ؛ ولا يَدْخل الجنَّة إلا مُسلِمٌ. فاُجْتمع المسلمون ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدَ الله وأثنَى عليه ثم قال : إنَّ يهُودَ شَكَوا إليّ أنكم وَقعتُم في حَظَائرِهم[٦] ؛ وقد أمَّنَّاهُم على دمائهم ؛ وعلى أموالهم التي في أيديهم في أرَاضيهم ؛ وعامَلناهم[٧] . وإنَّه لا تحلُّ أموال المُعَاهدين إلا بحقِّها . فكانَ[٨] المسلمون لا يأخذُون من بقُولهم شيئاً إلَّا بثمن

شكوى اليهود من المسلمين وإنصافهم

(١) المساقاةُ في اصطلاح الشريعة من قولهم ساقى فلاناً نَخلَه أو كرمَه : إذا دفعه إليه ، واستعمله فيه ، على أن يَعْمُره ويسقيه ويقوم بما يصلحهُ من الإبار وغيره ، فما أخرج الله من ثمره ، فللعامل فيه سهْم ممَّا تفِله ، والباقي لمالك النخل

(٢) خَرَصَ النخْل والكرم يخرُص خرصاً : إذا حَزَر ما عليه من الرطبِ تمراً ، ومن العنب زبيباً ، وهو ظن وتقدير بظنٍّ ، واسم من يفعل ذلك الخارص ، وجمعه خُرَّاص

(٣) زيادة للسياق

(٤) الوَسْق : مِكْيلة معلومة عندهم ، ويقال : هو يبلُغ حِمْل بعير

(٥) وَقَع في حرثِ فلان : إذا نزل بدوابه فيه ترْعى غير حَذِر

(٦) الحظائر جمع حظيرة : وهي ما يحيطُ بالشيءِ تكونُ من قصَب أو خشب ، كالحائط من البُنيان ، فسمَّوا ما أحاطوه من زروعهم بما يحظُرُها — أي ما يمنعها ويحرّسها ويحميها — حظيرة

(٧) المعاملة : أن يدفع إليهم الأرضَ يقومون عليها بما يُحْتاج إليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك ، وهي المساقاة التي مرّ ذكرها قبل . ولذلك كانت المساقاةُ في كلام فقهاء الحجاز ، هي المعاملة في كلام فقهاء العراق

(٨) في الأصل : « وكانَ »

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله خالصة

وقيل إن الكتيبةَ كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خالصةً ، لأنهم لم يوجِفوا عليها[١] ، وقيلَ هى خُمُسُه من خيْبَر . وكان صلى الله عليه وسلم يُطعِم من الكتيبةِ من أَطْعَمَ ، ويُنْفِقُ على أهلِه منها ، وكانت تَخرُص ثمانية آلاف وَسْق تمراً ، فَليهودَ نصفُها : أربعةُ آلافٍ . وكان يُزرَع فيها الشَّعير ، فيُحصَد منه ثلاثةُ آلافِ صاعٍ ، لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم نصفُه ، ولليهود نصفُه . رر بّما اجتمع منها ألف صاع نوًى[٢] ، هى أيضاً بينهما نصفَين . فأطعم من الكتيبة كلَّ امرأةٍ من نسائه ثمانينَ وَسْقاً تمراً ، وعشرين وَسقاً شعيراً ؛ وللعبَّاس بن عبد المطلب مائتى وَسْقٍ ؛ ولفاطمة وعلىٍّ عليهما السلام ثلاثمائة وَسقٍ شعيراً وتمراً ؛ ولأُسامة ابن زَيْد مائة وخمسين وَسقاً شعيراً وتمراً . وأطعمَ آخرين . وقسم بين ذوى[٣] القُرْبى بخيْبر : بين بنى هاشم و بنى المطَّلِب فقط

شهداء خيبر

واستُشْهِد بخيْبر خمسةُ عشر رجلا : أربعةٌ من المهاجرين ، والبقيَّةُ من الأنصار . فقيل : صلَّى عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : لم يُصَلِّ عليهم . وقُتِل من يهودَ ثلاثةٌ وتسعون رجلا . وأعطى صلى الله عليه وسلم جَبَلَ[٤] بن جَوَّال الثَّعلبى كلَّ داجنٍ[٥] بخيْبر ، وقيل : إنَّما أعطاهُ كل داجنٍ فى النَّطاةِ ، ولم يُعطِه من الكتيبة ولا من الشِّقِّ شيئاً

ما نهى عنه فى خيبر

وفى غزاة خَيْبر نَهى صلى الله عليه وسلم : عن أكل الحمار الأهلىّ . وعن أكْل كلِّ ذى نابٍ من السِّباع . وأنْ توطأ الحبالى حتى يَضَعْنَ . وعن أن تُباعَ

(١) أوجفَ دابته : إذا حَثها ، وأوجف بها : أسرَع . وكلُّ ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فهو خالص لرسول الله

(٢) نوًى : جمع نواة التَّمْر

(٣) فى الأصل : « وقسم بينهم ذى القربى »

(٤) فى الأصل : « جبلة » ، وكان جبل يهوديا وأسلم ، وكان شاعراً

(٥) الداجنُ : هى الشاة التى تعلفها الناسُ فى منازلهم

السِّهامُ حتى تُقْسم . وأن تُباع الثَّمَرَةُ حتى يبدُوَ صلاحها . ولَعن يومئذٍ الواصلةَ والمَوْصولةَ[١] ، والواشمةَ والمَوْشومة[٢] ، والخامشةَ وجهَهَا[٣] ، والشاقَّةَ جَيْبها[٤] . وحرَّم لحوم البِغال وكلَّ ذى مِخْلَبٍ من الطُّيور . وحرَّم المُجَثَّمةَ[٥] والخَلِيسةَ[٦] والنُّهْبَةَ[٧] . ونهى عن قَتْل النساء

بلوغ خبر خيبر إلى أهل مكة

وقدم عبَّاس بن مِرْداس السلمى مكةَ ، فخبَّر أن محمداً سارَ إلى خَيْبَر ، وأنَّه لا يُفْلِتُ . فقال صفْوان بن أمية : أنا مَعكَ يا عبّاس . وضَوى إليه نَفَر ، وقال حُوَيْطب بن عبد العُزّى : إنَّ محمداً سَيظْهَر . ووافَقَهُ جماعة ، فتخاطَرا[٨] مائةَ بعيرٍ . فلما جاء الخبرُ بظهور[٩] رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حويطبٌ

(١) رواية الحديث : « الواصلة والمستَوصلة » . قالوا ، والواصلة : التى تصِلُ شعرها بشعر امرأة غيرها زُوراً ، والمستوصلة التى يفعلُ بها ذلك . وقد روى عن عائشة أنها قالت : « ليست الواصلة بالتى تعنون ، ولا بأسَ أن تعرَى المرأة عن الشعر فتصل قرناً من قرونها بصوف أسود ، وإنما الواصلة التى تكون بغيّا فى شبيبتها ، فاذا أسنت وصلتها بالقيادة » . فالموصولة والمستوصلة لقول عائشة هى التى تبتغى ذلك من الواصلة لتدرج بها إلى الرجال

(٢) الوشم : نقش تجعله المرأة على ذراعها بالإبرة وتحشوه بالنؤور ، وهو دخان الشحم ، أو الكحل ، فيثبت على لحمها أزرق أو أخضر . وفى رواية الحديث « الواشمة والمستوشمة » . والواشمة التى تفعل ذلك لمن تطلبه ، وهى المستوشمة ، وذلك من أمر الجاهلية

(٣) الخامشة : التى تكدحُ وجهها بأظافرها من الحزْن عند النوح فتخمشه وتخدشُه ، وكان من عاداتهن فى الجاهلية

(٤) الشاقة جَيْبها : التى تمزّق ثوبها ، وتقطعه طولا من عند نحرها إلى أسفله ، وذلك أيضا من جاهليتهنّ

(٥) المجثّمة : هى الشاة أو غيرها مما يجثّم ثم يُرْمى بالحجارة حتى تموت ثم تؤكل

(٦) فى الأصل : « الخلسة » ، والخليسة : هى ما يستخلَصُ من السَّبُع إذا افترسها ، فتموت قبل أن تذَكى ، ويذكر اسم الله عليها . وسميت كذلك لأنها اختلستْ منه : أى استلبت من بين أنيابه ومخالبه

(٧) النهْبَة والنهْبى : ما يُنتهَبُ من شىء ، كالغَنم وغيرها أى يُغَار عليه فيُساقُ اختلاساً

(٨) تخاطر القوم على أمر : تراهنوا ، واسم الرِّهان الخَطَر

(٩) الظهور : النصرُ والغلبة

وحَيِّزُهُ[١] الرَّهْن . وكان الذى جاءهم بذلك الحجّاج بن عِلاطٍ السُّلَمِيّ [بن ثُوَيرة بن حنثر بن هلال بن عُبَيد بن ظفَر بن سعد بن عمرو بن تَيْم بن بَهْز][٢] ابن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور ، وقد أسلم بخيبر . [وكان قد استأذنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتىَ مكة ، وكان له بها مالٌ وأهلٌ ، وتخوّف إن علمت قريشٌ بإسلامه أن يذهبوا بماله . فأَذِنَ لهُ رسول الله أن يأتىَ مكة][٣] ليجمَعَ ماله

مصالحة أهل فَدَك

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أقبل إلى خَيْبَر ، بعثَ مُحَيِّصة بن مَسعود بن كَعب بن عامر بن عُدَىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج الأنصارىّ إلى فدَكَ ، يَدْعوهُم إلى الإسلام . فبعَثوا مَعه بنفَرٍ منهم ، حتى صالَحَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنْ يُخَلُّوا بَيْنـه وبين الأموال ، وأَنَّ لهم نصفَ الأرض . وصارتْ[٤] فدكُ خالصةً لرسول اللهِ أبداً ، أَخذَها بغيرِ إيجافِ خيلٍ ولا رِكابٍ

إعراسُه بصفية بنت حيي

وانصرفَ صلى الله عليه وسلم من خيْبَر يريد وادى[٥] القُرى . فلمَّا كان بالصَّهباء أعْرَسَ بصَفِيَّةَ بنت[٦] حُيَىٍّ مساءً ، وأَوْلَم عليها[٧] بالحَيْسِ والسَّويق

(١) فى الأصل : « وجيزة » ، والحيّز : الناحية ، يريد ومن كان فى ناحيته وحزبه

(٢) هكذا عمود النسب ، والذى بين الأقواس من أسد الغابة وغيره . وفى الأصل بعد « السلمى » ما نصه : « بن عمرو بن سعد بن عمرو بن زهير بن امرئ القيس . . »

(٣) فى الأصل : سقط ، وقد استوفيناهُ من خبر الحجّاج بن علاط فى سيرة ابن هشام وغيرها بغير لفظه ، والخبرُ طويل جيّد

(٤) فى الأصل : « وضارب »

(٥) فى الأصل : « وأخرى »

(٦) فى الأصل : « بن حي »

(٧) أولم : اتّخذ لعرسها وليمة

والتَّمْر[١]. وباتَ أبو أيُّوب الأنصاريّ رضى الله عنه قريباً من قُبَّتِه ، آخذاً بقائم السَّيف حتى أصبحَ ، وهو يَحْرسُه صلى الله عليه وسلم

غزوة وادى القُرَى

فلمّا انتهى إلى وادى القُرى — وقد ضَوى إليها[٢] ناس من العربِ — استقبلَه اليهودُ بالرَّمْي ، فقُتِلَ مِدْعَمٌ[٣] — وهو يَحُطُّ رَحْل النبيّ صلى الله عليه وسلم — بسهْمٍ . فعبَّأَ عليه السلام أصحابَهُ وصفَّهم للقتالِ ، ودَفع لواءه إلى سعد ابن عُبادة ، ورايةً إلى الحُباب بن المُنذر ، ورايةً إلى سَهلَ بن حُنَيْف ، ورايةً إلى عَبّاد بن بِشْر . ثم دعاهم إلى الإسلام فأبَوْا . وبرَزوا ، فقُتِل منهم أحدُ عشر رجلا . وباتَ عليهم وغَدا لقتالِهم ، فأعطَوْا بأيديهم[٤] ، فأخذها عَنْوَةً ، وغنِمَ ما فيها فقسَمَهُ ، وعامَلَ[٥] يهودَ على النَّخْل . فطلبت يهودُ تَيْماء الصُّلحَ فصولحوا على الجِزْيَة ، وأقاموا على أموالهم . وانصرَفَ صلى الله عليه وسلم من وادى القُرى — وقد أقام أربعة أيام — يُريد المدينةَ ، فلما قَرُب منها نزَل وعَرّس ، فنام ومن مَعهُ عن صلاةِ الصُّبح حتى طَلعت الشَّمس ، فأذَّنَ بلالٌ ، وركَعوا رَكعتى الفجر ، ثم صلَّى بهم حتى إنَّ أحدَهم لَيسْلُتُ[٦] العَرَقَ عن جَبينهِ من حرِّ الشمس ، فلما سَلم قال : كانت أنفُسنا بيَدِ الله ، فلو شاء قَبضَها ، وكان أوْلَى بها ، فلمّا رَدَّها إلينا صلَّينا . ثم أقبل على بلال — وكان قد قال قبل أن ينام : أَلَا رجلٌ صالحٌ حافظٌ لعيْنَيه يَحْفَظُ لنا صَلاةَ الصُّبح ؟ فقال بلال : أنا ! ثم نَامَ

مصالحة يهود تيماء

النوم عن صلاة الصبح

(١) الحيس : طعام للعرب تتخذه من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعلون عوض الأقط الدقيق والفتيتَ . والسويق يُتخذُ من الحنطة والشعير

(٢) ضوى إليها : مال إليها واجتمع فيها

(٣) مدعم : غلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر ص (٣١٨)

(٤) أعطى بيده : سلم من غير قتال

(٥) انظر ص (٣٢٨)

(٦) سَلَتَ عرقه عن جبينه : أماطَه ومسحَهُ بثيابه أو يَدِه

معهم ، غلَبتْه عيناه — فقال : مَهْ[1] يا بلال ! فقال : بأبى وأمّى ، قبَضَ نفْسى الذى قبَضَ نفْسك ! فتَبَسّم صلى الله عليه وسلم . وقد قيل إنَّ ذلك كان مَرْجِعَه صلى الله عليه وسلم من حُنَيْن . والأوّل قول محمد بن شِهابٍ عن سَعيد بن المُسيَّب ، وهو أعلَمُ النَّاس بالسيَرِ والمَغازى ، وكذلك سَعيد بن المسيَّب ، ولا يُقاس بهما المخالف لَهُما فى ذلك . ورُوِى عن قَتادة أنَّ ذلك كان فى جَيْشِ الأُمراء ، وهذا وَهَمٌ ، وجيشُ الأُمراء كان فى غَزْوة مُؤتَة ، ولم يَشْهَدْها النبىُّ صلى الله عليه وسلم . وعن عَطاء بن يَسار أنها كانت فى غزوة تَبوك ، وهـذا لا يصحُّ ، لأن الآثار الصحاحَ على خِلاف قوله مسندةٌ ثابتةٌ ، وقولُه مُرْسَل

جبل أحُد ، واتخاذ المنبر

ولما نَظَرَ إلى أُحُدٍ قال : هذا جَبَل يُحبُّنا ونحبُّه ! اللهمَّ إنى حَرَّمْتُ ما بين لابَتَى[2] المدينة . ونَهَى أن يَطْرُق الرَّجُل أهلَه بعد صلاةِ العشاء . ولمَّا قدِم المدينة اتَّخَذ المِنبَر ، وله دَرَجتان والمُسْتَراحُ . وخَطب عليه فحَنَّ الجِذْعُ[3] الذى كان يَسْتَنِدُ إليه إذا خَطب

ردّ زينب بنت رسول الله إلى أبى العاص

وفى جُمادى الأُولى من سنة سبعٍ ، رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتَه زينبَ على أبى العاص بن الرَّبيع

سرية عمر بن الخطاب إلى تُربة

ثم كانت سريةُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُرَبَةَ ، فى شعبان سنة سبعٍ . بعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين رجلا إلى عَجُزِ هَوَازن بتُرَبَةَ ، وهى بناحية العَبْلاءِ ، على أربع ليالٍ من مكةَ ، طريقُ صَنعاء ونَجْران . فخرجَ ومعه دليلٌ من بنى هِلال ، فكانُوا يسيرون الليلَ ويكمُنون النَّهار ، حتى

(١) مهْ كلمة للاستفهام ، بمعنى ماذا

(٢) اللاَّبةُ : الحَرَّة ، وهى الأرضُ الواسعة التى قد ألبستها حجارة سُود ، والمدينة ما بين حرتين عظيمتين ، وهما لابَتَاها

(٣) الجذْعُ : ساقُ النَّخلةِ

أتوا محالَّهم وقد فرُّوا . فلم يَلْقَوْا أحداً ، وعادُوا إلى المدينة

سرية أبى بكر إلى بنى كلاب

ثم كانت سريَّة أبى بكرِ الصِّدِّيقِ رضى الله عنه إلى بنى كلاب بنَجْد بناحية ضَرِيَّة ، فى شعبان هذا . فبيَّت ناساً من هوَازن ، وقَتل منهم

سرية بشير بن سعد إلى بنى مُرَّة بفدك

وسريَّة بَشير بن سَعد إلى فَدَك ، فيه أيضاً . ومعه ثلاثونَ رَجُلًا ليُوقِع ببنى مُرَّةَ ، فاستاق نَعَماً وشاءً وانحدر إلى المدينة ، فأدركُوه ليلاً ، ورَامَوْهم بالنَّبْل ، حتى فَنِيَت نَبْل المسلمين ، وأحيط بهم وأُصِيبُوا . واستَاق المُرِّيُّون نَعَمَهم وشاءَهم . فتحامل بَشير بن سعد حتى أنتهى إلى فَدَك ، فأقام عند يَهوديٍّ حتى انْدَمَلت جِراحُه ، وعادَ إلى المدينة

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب بن عبد الله إلى بنى مرّة أيضاً

فهيَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَير بن العوَّام ، وبَعَثه إلى مُصاب القوم ، ومعه مائتا رجل ، وعَقَد له لواءً[1] . ثم بعثَ غالبَ بن عبد الله [الليثىّ][2] على مائتىْ رجلٍ فى صفر سنة ثمان ، ومعه أُسامةُ بن زيد وعُلْبَة بن زَيْد الحارثىّ ، فسارَ حتى دنا منهم . فبعثَ الطَّلائع عليها عُلْبَة بن زيد ، فأعْلموه خبرَهُم . ثم وَافاهُم ، وحَضَّ من معه على الجهادِ ، وأَوْصاهمُ بالتَّقْوَى ، وحَمَل بهم على القوم ، فقاتَلوا ساعةً ثم حَوَوْا[3] الماشيةَ والنِّساء ، وقد قَتلوا الرِّجال . ومرَّ أُسامةُ بن زيد فى إثْر رجلٍ منهم يقال له نَهِيكُ بن مِرْدَاس ، حتى دَنا منه ، فقال : لا إلٰهَ إلا الله ! فقَتله ، ثم ندِمَ . وأقبل إلى جماعته فقال له غالبُ بن عبد الله : بِئْسَ والله ما فعلْت ! تَقْتُل امرءًا يَقول لا إلٰهَ إلّا الله !! وساقَ النَّعَمَ والشَّاءَ والسَّبْىَ ،

قتل أسامة الرجل الذى قال لا إله إلا الله

---

(١) فى ابن سعد ج ٢ ص ٩٠ « أنّه لما قَدِم غالب بن عبد الله الليثى من الكديد من سرية ، قد ظفّره الله عليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزُبير : اجلِسْ . وبعث غالب بن عبد الله الليثى » ، فبيّن من هذا أن الزبيْر لم يغزُ بهذه السريّة واستبدل به

(٢) زيادة للبيان

(٣) حَوَى الشىء : جمعه وضمّه إليه

فكانت سهامُهم عَشْرة أَبْعِرَةٍ كلُّ رجلٍ ، أو عِدْلُها من الغَنم : كلُّ جَزُورٍ بعشْرَة . وقَدِموا المدينةَ ، فحدَّث زيدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخَبره ، فقال : قَتَلْتَه ، يا أُسامةُ ، وقد قال : لا إله إلا الله !! فجعلَ يقول : إنما قالَها تَعَوُّذًا من القَتْل ! فقال : أَفَلَا شَقَقْتَ عن قلبه فتعلمَ أصادقٌ هو أمْ كاذبٌ ؟ فقال أسامة : لا أَقْتُلُ أحداً يَقول لا إله إلا الله أبداً (١)

سرية غالب بن عبد الله إلى المَيْفعة

ثم كانت سريّة غالب بن عبد الله بن مِسْعر اللَّيْثى أيضاً — فى رمضان منها — إلى المَيْفَعَة ، ليُوقع ببنى عُوال و بنى عبْد بن ثَعْلَبة ، فى مائة وثلاثين رجلا ، ومعه يَسَارٌ مَوْلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقوا نَعَمًا وشاءً وقتلوا من أَشرَفَ لهُمْ ، على ماء يُقال له الميْفَعة بناحيةِ نجد ، بُعْدُه من المدنية ثمانيةُ بُرُدٍ ، وعادوا بالغَنيمة

سرية بشير بن سعد إلى يُمْن وجُبَّار

ثم كانت سريّةُ بشير بن سَعْد إلى يُمْنٍ وجُبار فى سنة سبعٍ . وذلك أن حُسَيل بن نُوَيْرة الأشْجَعى أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن جَمْعًا من غطفان بالجَناب ، قد وَاعدُوا عُيَيْنة بن حِصْن أن يَزْحفُوا إلى أَطْرَاف المدينةِ . فذكرَ ذلك لأبى بكْر وعمرَ رضى الله عنهما ، فأشارَ بإرْسال بَشِير بن سعد ، فعقدَ له لواءً ، وبعَثَ معه ثلاثمائة رجُل . وكان حُسَيلٌ دليلَهم . حتى أتوا إلى يُمن وجُبَّار وهى نحو الجناب ، والجنابُ يُعارِضُ سَلَاحِ وخَيْبَر ووَادِى القُرَى ، فنزلوا بسَلاح . ثم دنَوْا من القوْم فأصابوا نعَما كثيراً مَلأوا منه أيديَهم ، وتفرَّقَ الرِّعاء فأنذرُوا أصحابهم ، فمرُّوا على وُجُوههم ، فلم يَلْقَ بشير أحداً . وعاد بالنَّعم ، فوَجَد عَيْناً لعيينة فقتَله ، ثم لقى جَمْعَ عُيَيْنة فأوْقَع بهِمْ وهُم لا يشعرون ،

(١) ذكر ابن سعد ج ٢ ص ٨٦ ، أنّ خبر أسامة كانَ فى خبر السريّة التى تأتى بعد هذا إلى الميفعة

فناوَشهم فانهزَموا ، وأسرَ منهم رجلاً أو رجلين ، وقدمَا المدينة فأسلما وتُرِكا لحالهما

عمرة القضيّة

ثم كانت عمْرَة القضيَّة ، وتسمَّى عُمْرَةَ القَضاء ، وغَزْوَة القَضاء ، وعمْرَة الصُّلح ، ويقال لها عمْرَةُ القِصاصِ . قال الفِرْيابيُّ : أخبرنا[1] وَرْقاء ، عن ابن أبي نُجَيْح ، عن مجاهدٍ ، فى قوله تعالى : « الشَّهْرُ الْحَرَامُ بالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ » (البقرة : ١٩٤) قال : فخزِنَتْ قُرَيش لردِّها[2] رسولَ الله يومَ الحُدَيْبية مُحْرِمًا فى ذى القَعدة عن البلَد الحرَام ، فأدْخَله الله مكة من العام القابِل فقَضَى عُمْرَتَهُ ، وأقصَّه[3] ما حِيلَ بينَهُ و بين يوْمِ الحُدَيْبِيَة

أوّل الجمع للعمرة

وذلك أنَّ ذا القَعدة لمَّا أَهَلَّ فى سنة سبعٍ ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يَعْتَمِروا قضاءَ عُمْرتهم ، وألّا يتخلَّف أحدٌ ممن شهِد الحُدَيْبية ، فلم يَتخلَّفْ من أهلها أحدٌ هو حيٌّ ، وخرَجَ سوَى أهلِ الحُدَيْبية رجالٌ عُمَّارًا . وكان المسلمون فى عُمرة القَضيَّة أَلْفَين . وقال جماعةٌ من العرب : والله يارسولَ الله ما لَنا زادٌ ، وما مِنْ أحدٍ يُطْعِمُنا . فأمر المسلمين أن يُنْفِقُوا فى سبيلِ الله ، وأن يَتصدَّقوا ، وألّا يَكُفُّوا أيْدِيَهم فيهْلِكُوا[4] . فقالوا : يا رسولَ الله ! بمَ نَتَصَدَّق ، وأحدُنا لا يَجِد شيئًا ؟ فقال : بما كانَ ، ولو بِشِقَّة تمرَةٍ ، ولوْ بمِشْقَصٍ[5] يَحْمِلُ به أحدُكم فى سبيلِ الله . فأنزلَ الله تعالى فى ذلك : « وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » (البقرة : ١٩٥) يعنى تَرْكَ النَّفقة فى سبيل الله

(١) فى الأصل : « نا » وهو اختصار حدثنا أو أخبرنا
(٢) فى الأصل : « بردّها »
(٣) أقصَّه : أن يعطيه القصاصَ ويمكنه منه ، والقِصَاصُ : أن تمثل مِثْلاً من فِعْل فُعِلَ بك ، من قتل أو ضرب أو جرح أو غير ذلك
(٤) فى الأصل : « فهلكوا »
(٥) المِشْقَصُ : السهم العريضُ النَّصْل

الهَـدْىُ ، ومسير المسلمين

وساقَ عليه السلامُ ستِّين بَدَنَةً ، وجعَل عليها نَاجيةَ بن جُنْدُب الأسْلَمى ليسير أمامه يَطْلُب الرَّعْى فى الشَّجر ، ومعه أربعة فتيانٍ من أسْلَمَ . وكان أبو رُهْم كلْثُوم بن حُصَيْن الغِفَارِىّ ممن يَسُوقها ويركبُها . وقلَّد صلى الله عليه وسلم هَدْيَه بيدِه . وحَمل السلاح فيها البَيْضُ والدُّرُوع . وقادَ مائة فرسٍ عليها محمّد ابن مَسلَمة ، وقدَّمَ الخَيْل والسلاح . واستخلفَ على المدينة أبَا ذَرٍّ الغِفَارِىّ . وأَحْرَمَ من باب المسجدِ ، لأنَّه سَلَكَ طَرِيقَ الفُرْع[1] ، ولولا ذلك لأَهَلَّ من البَيْداء ، وسارَ يُلَبِّى والمسلمون معه يُلَبُّون . فلما انتهى محمّد بن مَسلمة بالخيل إلى مَرّ الظَّهْرانِ ، وجَد بها نفراً من قريش ، فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يُصَبِّحُ هذا المَنزلَ غـداً إن شاء الله . ورأَوْا سِلاحا كثيراً مع بَشِير بن سعْدٍ ، فأسرعُوا إلى مكةَ ، وأخبرُوا قريشاً ففَزِعُوا ، وقالوا : والله ما أَحـدَثْنا حَدَثاً ، ففيمَ يَغزُونا محمّد ؟ ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران[2] قدَّم السلاح إلى بَطْن يَأجَج[3] وترك معه مائتين من أصحابه ، عليهم أوْس بن خَوْلِىٍّ . وخرج مِكْرَز بن حَفْص فى نَفَرٍ حتى لَقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ببطن يَأْجَج[3] ، فقالوا : يا محمّد ! والله ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغَدْر ! تَدْخُل بالسلاح الحرَمَ ! وقد شَرَطْت ألَّا تَدْخل إلَّا بسلاح المسافرِ ، السُّيوفَ فى القُرُب ؟! فقال : إنى لا أُدخِل عليهم السلاح . فعادَ [مِكْرَز][4] إلى مكةَ فخرجت قريش إلى رُؤُوسِ الجبال ، وقالوا : لا نَنْظُرُ إليـه ولا إلى أصحابه .

بلوغ الخبر إلى قريش

(١) فى الأصل : « الفروع »

(٢) فى الأصل : « من الظهران »

(٣) فى الأصل : « ياحج » ، وهو مكان على ثمانية أميال من مكّة

(٤) زيادة للإيضاح

دخول رسول الله مكة

وحبَس الهَدْى بذى طُوًى ودخلَ عليه السلام مكّة من الثَنِيّة[١] التى تطلُع على الحَجُون ، وقد ركب القصواء ، وأصحابُه حولَه مُتَوَشِّحُو السُّيوف يُلَبُّون ، وعبدُالله ابن رَواحة آخذٌ بزِمام راحلتِه ، فلم يزَل عليه السلام يُلَبِّى حتى استَلَم الرُّكْنَ . وقيل : لم يَقطع التَّلبية حتى جاء عرُوش مكةَ

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثَت قريشٌ أنَّ المسلمين فى جُهْد ، ووَقَف منهم جماعاتٌ عند دار النَّدْوة ، فاضطَبَع[٢] عليه السلام بردائه ، وأخرجَ عَضُدَه اليُمْنى ، ثم قال : رَحِمَ اللهُ امرءا أراهم اليوْم قُوَّةً ! فلمّا أنتهى إلى البيتِ — وهو على راحلته ، وابن رواحة آخذٌ بزِمامها ، وقد صفَّ له المسلمون — دَنا من الرُّكن فاستَلمه بمِحْجَنِه[٣] وهو مُضْطَبِعٌ بثَوْبه ، وهَرْوَل هو والمسلِمون فى الثلاثة الأَشْواط الأُوَل[٤] . وكان ابنُ رواحة يَرْتَجِز[٥] فى طَوافه ، وهو آخذ بزِمام النَّاقَةِ ، فقال عليه السلام : إيهًا[٦] يا ابْن رَوَاحة ! قُلْ : لَا إِلٰه إلَّا اللهُ وحْدَه ، صَدَق وَعْدَه ، ونَصَر عَبْدَه ، وأَعَزَّ جُنْدَه ، وهَزَم الأَحْزاب وَحْدَه ! فقالَها الناس . فلمّا قَضى طَوافَه ، خرج[٧] إلى الصَّفا فَسعى على راحِلَتِه ، والمسلمون يَستُرونه من أهل مكة أن يرْمِيَه أحدٌ منهم أو يُصيبَه بشىء . ووقف عند فَراغه قريباً من المَرْوَة

(١) فى الأصل : « البنية »

(٢) اضطبع : هو أن يدخل الطائفُ بيت الله الحرام رداءهُ من تحت إبطه الأيمن ، ويغطى به الأيسر من جهتى صدره وظهره

(٣) المحجن : عصا معقّفة الرأس كالصولجان . وفى الأصل : « حتى دنا ... »

(٤) هَرْوَل : أسرع سيراً بين المشى والعَدْو . والشَّوْطُ : المرّة الواحدة من الطواف بالكعبة ، وجمعه أشواط

(٥) ارتجز : ترنم بالرَّجز من الشّعْر

(٦) إذا قلت للرجل : « إيهِ ، وإيهِ حدّثنَا » فأنت تستزيده من الحديث ، فإن قلت له : « إيهاً » بالنصب ، فإنما تأمره بالانقطاع والسكوت

(٧) فى الأصل : « وخرج »

— وقد وقفَ الهَدْى عندها — فقال : هذا المَنْحَرُ ، وكلُّ فِجاجِ مكة مَنْحرٌ.

نحر الهدى عند المروة

ونَحَر عند المَرْوَة . وكان قد أُعتمر معه قومٌ لم يشهَدوا الحُدَيبِيَة فلم ينْحَروا ، وشَرِكَهُ فى الهَدْى من شَهِدَ الحُدَيْبِيـة . فمن وَجَد بَدَنَةً من الإبل نَحَرَها ، ومن لم يجدْ بَدَنة رُخِّصَ له فى البَقَرة ؛ وكان قد قدِمَ رجُلٌ ببَقَرٍ فاشْتَراه النَّاسُ منه . وحلَّق عليه السلام عند المروة ، حلقَه مَعْمَر بن عبد الله العدَوِىّ

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخلَ البيْتَ ، ولم يزَلْ فيه حتى أَذَّن بلالٌ بالظُّهْر فوق ظَهْرِ الكَعْبة . فقال عكرمة بن أبى جهل : لقد أكْرَم الله أبا الحَكَمِ ! لم يَسْمَعْ هـذا العبدَ يقول ما يقولُ ! ! وقال صفْوانُ بن أُمَيّـة : الحمدُ لله الذى أَذْهَب أَبى قبل أنْ يرَى هذا ! وقال خالد بن أَسِيد : الحمدُ لله الذى أَمَات أَبى ولم يَشْهَدْ هذا اليومَ ، حين يقومُ ابنُ أُمِّ بلالٍ يَنهَقُ فوْقَ الكَعْبة !! وغطَّى سُهَيْلُ بن عمرٍو ورجالٌ معهُ وجوهَهُم حين سمعوا . وقيلَ لم يدخُلْ عليه السلام الكَعْبة ، بل أرسلَ إليهم فأَبَوْا ، وقالوا : لم يَكُنْ فى شَرْطِك ! فأمَر بلالًا فأَذَّن فوق الكَعْبة مَرَّةً ولم يَعُدْ بعْدُ ، وهو الثَّبْتُ

زواجه ميمونة

وخطبَ مَيْمونةَ ، فجعلتْ أمرَها إلى العبَّاس بن عبد المطَّلِب ، فتزوَّجها وهو مُحْرِم ؛ وقيل تزوَّجها لمَّا أَحلَّ . وكلَّمَ علىُّ بن أبى طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عُمارة بنت حَمزَةَ — وكانت مع أُمِّها سَلْمَى بنت عُمَيْس بمكة — فقال : عَلَامَ نَتْرُك بنتَ عمِّنا يَتيمةً بين ظَهْرَانَىِ المشركين ! فخرج بها ، حتى إذا دَنَوا من المدينـةِ ، أرادَ زيدُ بن حارثة — وكان وَصِىَّ حمزَةَ وأخاهُ أُخُوَّةَ المهاجِرِين — أن يأخُذَها من علىٍّ ، وقال : أَنَا أحقُّ بها ، أُبنَةُ أخى ! فقال جعْـفر ابن أبى طالب : الخالَة والدةٌ ، وأنا أحقُّ بها لمكانِ خالتِها عِنْدِى ، أسمـاء بنتِ

خبر عمارة بنت حمـزة

عُمَيْس[١] ! فقال علىٌّ رضوان الله عليهم : ألَا أراكم فى ابنة عمّى[٢] ، وأنا أخرَجتها[٣] من بين أظهُرِ المشركين ، وليس لكم إليها نَسبٌ دُونى ، وأنا أحقُّ بها منكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحكمُ بينكم ، أمّا أنتَ يا زيدُ فمَوْلَى الله ورسولِه ، وأمّا أنتَ يا علىُّ فأخى وصاحبى . وأما أنتَ يا جعفرُ فتُشْبِهُ خَلْقى وخُلُقى ، وأنتَ يا جعفرُ أوْلَى بها ، تَحتَك[٤] خالَتُها ، ولا تُنْكَح المرأةُ على خالَتِها ولا عَمّتِها . فقضى بها لجعفر ، فقام جعفرٌ فحجَل حوْل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا جَعفر ؟ قال : يا رسولَ الله ؟ كان النَّجاشِىُّ إذا أرْضى أحداً قامَ فحجل حولَه . فقال على رضى الله عنه : تزَوّجْها يا رسولَ الله ! قال : هى أبنَة أخى من الرَّضاعة !

طلب قريش خروج رسول الله من مكة

ولمّا كان عند الظُّهر يوْم الرابع ، أتى سُهَيْلُ بن عمرون وحُوَيْطِبُ ابن عبد العُزّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فى مجلسِ الأنصار ، وهو يتحدَّث مع سعد بن عُبادة — فقال : قد انْقضى أجَلُك ، فاخرُجْ عنّا . فقال : ومَا عليكم لو تركْتُمونى فأعْرَسْتُ[٥] بين أظْهُرِكم ، وَصَنَعْتُ طعاماً ؟ فقالا : لا حاجةَ لنا فى طعامِك . أخرُجْ عنّا ، نَنْشُدُكَ[٦] اللهَ والعَهْدَ الذى بيننا وبَيْنك إلا خرجتَ منْ أرْضِنا ! فهذه الثلاثُ قد مَضَتْ ! فغضبَ سعد بن عُبادة وقال لسهيْل : كذبتَ لا أُمَّ لَكَ ! ليستْ بأرضِكَ ولا أرضِ أبيك ، والله لا يبرحُ منها إلا طَائعاً راضياً ! فتبَسم صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا سَعْد ، لا تُؤْذِ قومًا

(١) فى الأصل : « عميش »
(٢) يريد : أراكم تختلفون فى أمر ابنة عمّى
(٣) فى الأصل : أخرجها »
(٤) فى الأصل : « تحبك »
(٥) يريد إعراسه بزواج ميمونة رضى الله عنها
(٦) نشدَه : استَحْلَفه بالله

زَارُونَا فى رِحَالنا . فأسْكَتَ الرَّجلانِ[1] عن سعد . ورُوِى أنهم بعثُوا عليًّا إلى النبى عليه السلام ليَخْرُج عن بَلدهم

الرحيل ، والبناء بميمونة

وأمرَ عليه السلام أبا رافعٍ بالرَّحِيل ، وقال : لا يُمْسِيَنَّ بها أحدٌ من المسلمين . وركبَ حتى نزَل سَرِف ، وخلَّف أبا رافع ليحمل إليه ميمونةَ حين يمسِى ، فخرج بها مَساء ، ولقى عَنَتاً[2] من سُفهاء المُشركين . مَبَنَى النبىُّ صلى الله عليه وسلم على مَيْمونةَ بسرِف

منزل رسول الله

ولم يَنْزِلْ بمكة بيتاً ، وإنما ضُرِبتْ له قُبَّةٌ من أَدَمٍ بالأَبطح ، وكان هناكَ حتى سَارَ منها . وبعثَ بمائتى رجلٍ ممن طَافُوا بالبيت إلى بَطْن يأْجَج[3] ، فأقاموا عند السلاح حتى أتَى الآخرون فقَضَوا نُسُكَهم[4] . وقدم المدينة فى ذى الحجة

سرية ابن أبى العوجاء إلى بنى سليم

وكانت سريَّة ابن أبى العَوْجاء السُّلَمى إلى بنى سلَيْم ، فى ذى الحجَّة سنة سبعٍ . بعثهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خمسين رجلاً إلى بنى سُليم ، وقد أُنذِرُوا به فجَمَعوا له[5] ، فقاتلوا حتى قتِل عامَّةُ أصحابِ ابن أبى العَوجاء ، وأثْخنُوه بالجراح . ثم تحامل إلى المدينة فقدمها أوَّل يوم من صَفر

إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد ، وعثمان ابن طلحة

وفى صفر سنة ثمان ، خرَج عمرُو بن العاص بن وَائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَىّ القُرشىُّ السهْمِىُّ ، من مكة — بعد

(١) أسكَتَ الرجلُ (وهو فعل لازم) : سكت سكوتاً طويلاً على غضب أو فكرة

(٢) فى الأصل : « عيناً » . والعنتُ : الشِّدَّة والمشقة والضرر

(٣) فى الأصل : « يأجج »

(٤) النُّسُك : العبادة والطاعة وكل ما يتقرّب به إلى الله سبحانه وتعالى . وقضَوْا نُسُكَهم : أى فرغوا من طوافهم ونحرهم ، وأتمّوا عُمْرَتهم

(٥) فى الأصل : « وجمعوا » . وهذه حقّ المعنى ، فإن ابن أبى العوجاء فى سريته هذه ، كان فيمن معه عين لبنى سُلَيم ، فتقدَّم أهلَ السرية وأسرع إلى بنى سليم فأنذرهم بغارته عليهم وحذّرهم

مَرْجِعه من الحَبَشة — يريد المدينةَ ؛ فهاجَر ، فوَجدَ فى طريقِهِ خالدَ بن الوليد بن المُغيرة بن عبْد الله بن عُمر[١] بن مَخْزوم القُرشىّ المخزُومىّ ، وعثْمانَ بن طَلْحةَ بن أبى طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثْمان بن عبْـد الدّار بن قُصَىّ القرشىّ العَبْدرىّ ، وقد قصدَا قصدَه . فقدِمُوا المدينة ، ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبايعهُ خالدٌ أوّلاً ، ثم بايَعه عثْمانُ ، ثم عَمْرو على الإسلام . فقال عليه السلام : إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبْلَه[٢] ، والهجْرةُ تَجُبُّ ما كان قبلَها

سرية غالب بن عبـد الله إلى الكديد

وفى صفر هذا كانت سَرِية غالب بن عبد الله بن [مِسْعر بن جعفر بن][٣] كلْب بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بُكَيْر[٤] بن عبْد مَناة بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مُدْركة بن الياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدْنان الكِنانىّ ثم اللَّيْثى — إلى الكَديد ليُغيرَ على بنى المُلَوَّح من بنى ليث ، فى ربيع الأوّل منها . فخرجَ فى بضْعة عشر رجُلاً حتى [إذَا][٥] كان بقُدَيْدٍ لقى الحارثَ بن مالك بن قَيْس بن عَوذ[٦] بن جابر بن عبد مناف بن شِجْع بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبْد مناة ابن كِنانة ، [وكان يقال لمالك بن قيْس : ابن البرْصاء] فأخـذَه فشَدّه وَثاقاً ؛ [البرْصاء هى أمُّ قيس بن عوف ، واسمها : رَيطة بنت ربيعة بن رَباح بن أبى ربيعة بن نَهيك بن هلَال بن عامر] ، وخلف عليه سوَيد بن صَخْر . وأتى الكَديد

(١) فى الأصل : « عمرو »

(٢) جبّ الشىء : قطعه ، والإسلام والهجرة والتوبةُ تجبّ ما قبلها ، أى تقطع وتمحو ما كان قبلها من الكفر والمعاصى والذنوب

(٣) هذا سياق نسبه اعتمدناه من كتب التراجم ، الإصابة ، وأسد الغابة وغيرهما . وفى الأصل مكان ما بين القوسين ما يأتى : [بن فُقَيم بن حَزْن بن سيَّار بن عبد الله بن عُبَيد] . ولم نجد أحداً نسبه كذلك ، فمن أجل هذا لم نثبتْه فى المتن

(٤) فى الأصل : « بكر »

(٥) زيادة للسياق

(٦) فى الأصل : « عوف »

عند غُرُوب الشَّمس ، فكمن فى ناحيةِ الوادى ، و بَعَث جُندُب بن مَكِيث الجُهَنِىّ رَبِيئةً ، فأتى تلاًّ مشرِفًا على الحاضرِ (١) فعلاَهُ وَانبَطَح ، فخرج رجلٌ من خِباء فقال [لامرأته] (٢) : إنى أرى على هذا التلِّ سواداً (٣) ما رأيته عليه [أوَّلَ من يومى هذا] (٢) . ورماه بسهم ثم آخرَ فما أخطأَه ، وثبت مكانه ، فقال : لو كان زَائلةً (٤) لقَد تحرَّك بعدُ ! لقد خالَطَه سهماىَ !! ثم دخل خباءه . وراحت ماشيةُ الحىّ من إبلهم وأغنَامهم ، فحَلَبُوا وعطَّنوا ، حتى إذا اطمأَنوا شَنّ المسلمون عليهم الغَارَةَ ، فقتلُوا المُقَاتلة ، وسبَوُا الذّرِّيةَ ، واستاقوا النَّعَمَ والشاءَ . وكان شعارُهم أَمِت أَمِت . ثُمَّ انحدرُوا بها نحو المدينة ، واحتَملوا ابنَ البرْصَاء مَعَهم . فجاءهم القَوم بما لاَ قبل لهم به ، وبَيْنهم وَبَيْنَهُمْ الوَادى ، فجاء الله بالسَّيل حتَّى مَلأَ جَنبَتَيه (٥) ولم يَسْتطع أَحَدٌ يجوزُه . فوقَفَ المشركون ينْظُرون إليْهم ، حتى فاتوهم ولا يقدرون على طلبهم ، إلى أنْ قدمُوا المدينةَ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتى رجل إلى مُصاب أصحاب بَشِير بن سعد ، وذلك فى صفر سنة ثمان كما تقدم (٦)

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

ثم كانت سريَّةُ كَعب بن عُمَيْر الغِفَارِىّ إلى ذاتِ أَطْلاحٍ من أرض الشَّأْم ، وراء وادِى القُرى ، فى خمسة عشر رجلا ، فقَاتَلهُم حتى قُتِلوا . وأَفلَت

(١) الحاضر : الحىّ الذى يحضره القوم

(٢) زيادة لا بُدّ منها ، انظر ابن سعد ج ٢ ص ٩٠

(٣) السَّوَادُ : شخْص الشىء تبينُ هيأتُه ولا يتبينُ ما هو ، وأكثر ذلك فى سواد الليل

(٤) فى الأصل : « ذابلا » . والزائلة كل شىء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقرّ فيه . وكان جندب قد سكَّن نفْسَه لا يتحرَّك ولا يزول لئلا يحسَّ به فيُجْهَز عليه . ولفظه فى بعض الروايات : « دابة » المسند ج ٣ ص ٤٦٨ ، وفى أخرى « ربيئة » ابن سعد ج ٢ ص ٩٠ ، وجميعها سواء

(٥) جنبَةُ الوادى : جانبه وناحيتُه وشاطئه

(٦) انظر ص (٣٣٤)

منهم رجلٌ جريحٌ ، فتحامَل حتى أتى المدينةَ فشَقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم

سرية شجاع بن وهب إلى السّىّ

وكانت سريّةُ شُجاعِ بن وَهْبٍ [الأسدىّ][1] إلى السُّىِّ — وهو مَاءٌ من ذات عِرْقٍ إلى وَجْرَة ، على ثلاث مَراحِلَ من مكة إلى البَصرة ، وخمسٍ من المدينة — يريد بنى عامرٍ بناحية رُكْبَةَ فى ربيع الأوّل أيضاً ، على أربعة وعشرين رجُلا . فخرَجَ حتى أغارَ على القومِ وهم غارُّون ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ، وقَدِموا المدينةَ . وكانت سِهامُهم خمسة عشر بعيراً كلُّ رجلٍ ، وعدَّلوا البعيرَ بعشرة من الغَنَم . وغابوا خمس عشرة ليلة . وقَدِموا بسَبايا ، فيهِنَّ جاريةٌ وضيئةٌ ، فقَدِم وَفْدُهم مُسلِمين ، فردُّوهُنَّ إليهم ، واختارَتِ الجاريةُ الوَضيئةُ شُجاعَ بن وَهْبٍ ، وكان قد أخذها بثَمَنٍ ، فأقامت عنده حتى قُتِل باليَمامَةِ

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قُطْبَةَ بن عامرِ بن حَديدَةَ فى عشرين رجلا إلى حَيٍّ من خَثْعَمَ بناحية تَبالَةَ . فخرجوا على عشرة أبعِرَةٍ يَعْتَقِبونَها ، فوجَد رجلا فسألَه فلم يُجِبْه عن القَوْم ، وجَعل يصيحُ بالحاضِر ، فضرَبَ عُنُقَه . وشنَّ الغارةَ ليلًا فقاتَله القوم قِتالا شديداً حتى أتى قُطْبَةُ عليهم ، وساقَ النَّعَمَ والشَّاءَ والنِّساءَ حتى قدِمَ المدينة . فكانت سِهامُهم أربعةَ أبعرة لكلِّ رجل أو عَدْلَها : عشرةً من الغَنَم عن كل بعير

غزوة مؤتة

ثم كانت غزْوَةُ مُؤتَةَ من عمل البَلْقاءِ بالشأم دون دِمَشق ، [وهى بضمّ أوّله ، وإسْكان ثانيه ، بعده تاءٌ مُعجَمةٌ باثنتَين من فوقها] ، كانت فى جُمادى الأُولى . وسببُ ذلك أنَّ الحارث بن عُمَيْر الأَزْدىّ لما نزَل مُؤتَةَ بكتابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بُصْرَى ، أخذه شُرَحْبيل بن عمرو

سببها

(١) زيادة للبيان

الغَسَّانِيّ وضرَب عُنُقَه . فاشتدَّ ذلك على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ونَدَب النَّاسَ ، فأسرعوا وعَسْكَروا بالجُرْف ، ولم يُبَيِّنْ لهم الأمْرَ[1] . فلمّا صلَّى الظهرَ جَلس فى أصحابه وقال : زَيْدُ بن حارثةَ أميرُ الناسِ ، فإن قُتِل زيدُ بن حارثة فجَعْفَرُ بن أبى طالب ، فإنْ أُصيب جَعفر فعبدُ الله بن رَوَاحة ، فإن أُصيب عبدُ الله ابن رَوَاحة فلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجُلا فيَجْعَلوهُ[2] عليهم . وعقَد لواءً أبيضَ ودَفعه إلى زيدِ بن حارثة . فودَّعَ الناسُ الأُمراء ، وخرج مَعهم إلى مُؤتَة ثلاثةُ آلافٍ ، وجَعل المسلمون يُنادون : دَفَع الله عنكم ورَدَّكُم صالحين غانمين

الأمراء يوم مؤتة

وشَيَّعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ثَنِيَّة الوَداعِ ، ثم وقفَ وهم حوْلَه ، وقال : أُوصيكُم بتَقْوى اللهِ ، وبمن مَعكم من المسلمين خيراً . اغْزوا بسمِ الله فى سَبيل الله ، فقاتلوا من كَفَر بالله . لا تَغْدِروا ولا تَغُلُّوا ولا تَقْتُلوا وَليداً . وإذا لَقيتَ عدوَّك من المشركين فادْعُهُم إلى إحدى ثلاثٍ فأيَّتُهُنَّ ما أجابوك إليها ، فاقْبل منهم واكْفُفْ عنهم : ادعُهُم إلى التُّحول فى الإسلام ، فإن فَعلوا فاقبَل منهم واكْفُفْ عنهم ؛ ثم ادعُهم إلى التَّحَوُّل من دارِهم إلى دارِ المُهاجِرين ، فإن فَعلوا فأَخْبِرْهُم أنَّ لهم مَا للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، وإن دَخلوا فى الإسلام واختَاروا دارَهم ، فأَخْبِرهم أنَّهم يكونون كأَعْرابِ المسلمين ، يَجْرى عليهم حُكْمُ الله ، ولا يكونُ لهم فى الفَيْء ولا فى الغَنيمةِ شىءٌ إلّا أنْ يُجاهِدُوا مع المسلمين ؛ فإنْ أَبَوْا فادعُهم إلى إعْطاء الجِزْيَةِ ، فإن فَعلوا فاقبل منهم واكْفُفْ عنهم ؛ فإن أبَوْا فاسْتَعِنْ بالله وقاتِلْهُم

وداعُ جيش مؤتة ووصية الأمراء

وإنْ أنْتَ حاصَرْتَ أهل حِصْنٍ أو مدينةٍ فأرادوك أن تَستَنزِلَهم على حكمِ

(١) فى الأصل : « الأمراء »

(٢) فى الأصل : « فليجعلوه »

الله فلا تَستنزِلهم على حكمِ الله ، ولـكن أنزِلهم على حُـكْمِك ، فإنَّك لا تدْرِى أتُصيب حكمَ الله فيهم أم لا ؟ وإنْ حاصرت أَهْلَ حصنٍ أو مدينةٍ فأرادوك على أن تَجْعَلَ لهم ذِمَّةَ الله وذمَّةَ رسوله ، فلا تجعَلْ لهم ذمَّةَ الله وذمّةَ رسولِه ، ولـكن اجعَلْ لهم ذمّتَك وذمّةَ أبيكَ وذِمّةَ أصحابك ، فإنّـكم إنْ تُخْفِروا[1] ذِمَّتَـكم وذِمّة آبائِـكم خيرٌ لـكُم من أن تُخْفِروا ذمّةَ الله وذمّةَ رَسوله

وستَجِدُون رجالًا فى الصَّوامع مُعْتَزِلين للنَّاس ، فلا تتعرَّضُوا لهم ، وستجدون آخرين فى رءوسهم مَفَاحِصُ[2] فاقْلَعُوها بالسُّيوف . لا تَقْتُلُنَّ امرأةً ولا صغيراً ضَرَعًا[3] ، ولا كبيراً فانياً ، ولا تُغْرِقُنَّ نخلاً ، ولا تَقْلَعُنَّ شجرًا ، ولا تهدِمُوا بيتاً

من خبر عبد الله ابن رواحة

وقال عبد الله بن رَوَاحة : يا رسولَ الله ! مُرْنى بشىء أَحْفَظه عَنك . قال : إنَّك قادِمٌ غداً بَلداً ، السُّجودُ فيـه قليلٌ فأكثِر السُّجودَ . قال : زِدْنى يا رسولَ الله . قال : اذْكُرِ الله ، فإنّه عَوْن لَكَ عَلَى ما تَطْلُب[4] . فقامَ من عنده ، حتى إذا مَضى ذَاهباً رَجَع . فقال : يا رسول الله ، إنَّ اللهَ وِتْرٌ يحبُّ الوِتر[5] ! فقال : يا ابن رواحة ، ما عَجَزْت فلا تَعْجِزَنَّ إنْ أَسأتَ عَشْرًا أن تُحْسِنَ واحدةً . فقال : لا أسألُك عن شىء بعدَها

(١) أخْفَر الذمّة : نقضها ، ولم يوف بهـا ، ولم يُتمَّها ، وأزال خِفارتها : أى أمانها وذِمامها

(٢) مفاحص جمع مَفْحَص : وهو كالأخوص ، حيث تجثُم القطا وتفرّخُ . ومعنى الحديث أن الشيطان قد عشَّش فى رؤوس هؤلاء وفَرَّخ ، فجعل له فيهـا مفاحص كمفاحص القطا والطير ، فاستوطنَ فيهم ، فألزمهم شدة الغىّ ، والانهماك فى الشر

(٣) الضرَع والضارع : الصغير السنّ الضعيفُ الضاوى ، يذل من ضعفه ، ولا يدفعُ عن نَفْسه

(٤) فى الأصل : « تطالب » ، ولا باس بها

(٥) الوتر (بكسر الواو وفتحها) : الفردُ الأحد . وكان ابن رواحـة كما ترى سال رسول الله شَفعاً (أى سؤالين) ، فأراد أن يُوتِر سؤاله ، فيجعله فرداً غير شفع

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث ابن عمير

ومضى المسلمون ، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ ينتهُوا إلى مَقتل الحارث بن عُمَيْر ، وسمع العدوُّ بمسيرهم ، فجمعُوا لهم . فقام فيهم رجلٌ من الأَزْدِ يقال له شُرَحْبيل [بن عمرو الغسّانى] (١) ، وقدم الطَّلائع أمامَه (٢) ، وبعث أخاه سَدُوسَ بن عمرو فى خمسين فلقُوا المسلمين بوادى القُرَى فقاتَلُوه وقتَلُوهُ . ونزلوا مُعَان [من أرض الشَّأم] (٣) ، فبلغهم أن هِرَقْل قد نزَل مَآبَ من البَلْقاء ، فى مائة ألفٍ من الرُّوم ، ومعه من بَهْراء ووَائل وبكْر ولَخْم وجُذامٍ مائةُ ألفٍ ، عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ يقال له مالكٌ

أول القتال يوم مؤتة وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتين ، وأرادوا أنْ يكتبُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبَر ليرُدَّهُمْ أو يزيدَهُمْ رجالا ، فشجَّعَهم عبدُ الله بن رَواحةَ وقال : والله ما كنّا نُقاتِلُ الناسَ بكثرَةِ عَدَدٍ ، ولا بكثرة سلاحٍ ، ولا بكثرةِ خيولٍ ، إلا بهذا الدِّينِ الذى أكرَمنا الله به ! انْطَلِقُوا ، والله لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ مامَعنَا إلا فَرسان ، ويومَ أُحُدٍ فرسٌ واحد ! فإنما هى إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ : إمَّا ظُهورٌ عليهم ، فذلك ما وَعَدَنا الله وَوَعَد نبيُّنا ، وليس لوَعدِه خُلْفٌ ؛ وإما الشَّهادةُ ، فنَلْحَقُ بالإخوان نُرَافقهم فى الجِنان ! فشجَّعَ الناسَ ومَضَوْا إلى مُؤْتَةَ . فرأوا المشركين ومعهم مالا قِبَلَ لهم به من العَدَد ، والسِّلاح ، والكُرَاعِ ، والدِّيباجِ ، والحريرِ ، والذَّهَب . قال أبو هريرة : وقد شَهِدْتُ ذلك فَبَرِقَ بَصرى (٤) ، فقال لى ثابتُ ابن أقْرم (٥) : يا أبا هريرة ! مالَكَ ؟ كأنَّك ترى جُمُوعا كثيرةً ! قلت : نعم !

(١) زيادة للإيضاح ، وقد مضى ذكره ص (٣٤٤)
(٢) فى الأصل : « أو قدم الطلا مع أمامة »
(٣) زيادة للبيان
(٤) بَرِق البَصرُ : دهش فلم يُبصر ، وتحير فلم يطرف ، من فزع وحيرة
(٥) فى الأصل : « بن أقوم »

قال : لمْ تَشْهدْنَا ببدْرٍ ! إنَّا لم نُنْصَر بالكثرَة !

مقتل زيد بن حارثة

وقاتلَ الأمراء يومئذٍ على أرجُلِهم : فأخذَ اللواء زيدُ بن حارثة فقاتَل وقاتلَ الناسُ معه ، والمسلمون على صُفوفهم ، وعلى المَيْمنة قُطْبة بن قَتادة السَّدُوسىّ ، وعلى الميسرة عَبَايَةُ[1] بن مالك ، فقُتِل زيدٌ طعناً بالرِّماح

مقتل جعفر بن أبى طالب

ثم أخذه جَعفر فنزَل عن فرسه فعَرْقَبَها[2] ، ثم قاتل حتى قُتِل : ضرَبه رجل من الرُّوم فقطعه بنِصْفَين ، فوقع أحدُ نِصفيْه فى كَرْمٍ ، فوُجِد فى نِصفه بضعٌ وثلاثون جُرْحا . وقيل : وُجد — ممَّا قِبَل يدَيه[3] فيما بين مَنْكِبيْه — اثنتان وسبعون[4] ضَرْبة بسيْف أو طعنةً برُمْح ، ووُجِد به طَعْنَةٌ قد أنفذَتْه

مقتل ابن رواحة

ثم أخذَ اللواء بعدَه عبدُ الله بن رَوَاحة ، فقاتَل حتى قُتِل

سقوط لواء المسلمين وهرب المسلمين

وسقَطَ اللواء ، فاختَلط المسلِمون والمشركون ، وانهزَم المسلمون أسوأ هزيمةٍ ، وقُتِلوا ، واتَّبعَهم المشْركون . فجعل قُطْبة بن عامرٍ يَصيح : يا قوم ! يُقْتَلُ الرجُل مُقْبِلًا أحسنُ من أن يُقْتَل مُدبِرًا ! فما يَثوب[5] إليه أحدٌ . ثم تَراجعوا ، فأخذ اللِّواء ثابت بن أقْرَم ، وصاح : يا لَلأنصار !! فأتاه النّاسُ من كلِّ وَجْهٍ وهم قليلٌ ، وهو يقول : إلىَّ أيها النّاس ! فلما نظَر إلى خالد بن الوَليد قال : خُذِ اللواء يا أبا سُليْمان ! فقال : لا آخُذُه ، أنت أحقُّ به ، أنْتَ رجُلٌ لك سِنٌّ[6] ، وقد شهدتَ بدراً . قال ثابتٌ : خُذْه أيها الرَّجل ! فوالله ما أخذتُه إلَّا لكَ !

أخذ اللواء لخالد ابن الوليد

(١) فى الأصل : « عباية »

(٢) عرقب فرسه : قطع عُرقوبها ، وهو الوتر الذى خلف كعبيها من مفصل القدم والساق . وكانت تلك عادتهم إذا حمى البأسُ . قالوا : وكانت فرس جعفر أول فرس عُرقبت فى الإسلام

(٣) فى الأصل : « مما قبل من يديه »

(٤) فى الأصل : « اثنتين وسبعين »

(٥) ثاب يثوب : رجع

(٦) فى الأصل : « شن »

فأخذَه خالدٌ فحمله ساعة ، وجعل المشركون يَحمِلُون عليه ، فثبت حتى تَكَركَرَ[١] المشركون ، وحمل بأصحابه فَفَضَّ جَمعاً من جَمعِهم ، ثم دَهَمَهُ منهم بَشرٌ كثير[٢] ، فانْحَاشَ[٣] بالمسلمين فانكشفوا راجعين . وقد قيل : إنّ ابن رَوَاحة قُتِل مَساء . فباتَ خالدٌ فلمّا أَصْبحَ غَدَا ، وقد جعلَ مُقَدِّمتَه ساقَةً ، وساقَتَهُ مُقدِّمةً ، ومَيْمنَته مَيسَرَةً ، ومَيسرتَه مَيْمنةً ، [فأنكَرَ المشركون][٤] ما كانوا يَعرِفون من راياتِهمْ وهَيْأَتِهم ، فقالوا : قد جاءهم مَدَدٌ !! ورُعِبُوا ، فانكشَفُوا مُنهزِمين ، فقَتَلُوا منهم مَقْتَلةً لم يُقْتَلْها قومٌ . والأوّل أَثْبَتُ : أَنَّ خالداً انهزَمَ بالنَّاس فعُيِّرُوا بالفِرار ، وتشاءَم الناسُ[٥] به . فلما سَمع أهلُ المدينة بقُدُومِهم تَلَقَّوْهم ، وجعلوا يَحْثُون فى وُجوههم التُّرابَ ويقولون : يا فُرّار ! أَفَرَرتُم فى سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيسُوا بفُرّارٍ ، ولكنهم كُرّارٌ إن شاء الله !

هزيمة المسلمين ومرجعهم إلى المدينة

فانصرَفُوا إلى بُيوتهم فلَزِمُوها ، فإنهم كانوا إذا خَرَجُوا صاحوا بهم : يا فُرّار ! أفرَرْتم فى سبيل الله ؟ وكان الرّجل يَدُقُّ عليهم فيأْبَوْن يَفْتَحُونَ له لئلّا يَقول[٦] : ألّا تقدَّمْتَ مع أصحابك فقُتِلت ؟ حتى جعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُرسل إليهم رجُلاً رجلاً ، يقول : أنتم الكُرّارُ فى سبيلِ الله ! وكان بَين أبى هريرة وبين ابنِ عمٍّ له كلامٌ ، فقال : إلّا فِرارَكم يومَ مُؤْتَةَ ! فما دَرَى ما يقول له

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

(١) كركرَهُ عن الشىء : ردّه ودفعه وحبَسَه ، فتكركر : ارتدّ
(٢) فى الأصل : « كبير »
(٣) انحاش بهم : جمعهم فتصرّفَ بهم ثم نفر بجمعهم
(٤) فى الأصل مكان ما بين القوسين : « فأنكروا » ، وهذه أبينُ للسياق
(٥) أى تشاءموا بخالد
(٦) فى الأصل : « تقول »

إخبار رسول الله عن أهل القتال يوم مؤتة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — لمّا التقى الناسُ بمُؤْتة — جلس على المنبر وكُشفَ له ما بينه و بين الشَّأم ، فهو ينظُر إلى مُعْتَرَكهم فقال : أخَذَ

زيد بن حارثة

الرّايةَ زيدُ بن حارثة ، فجاءه الشيطانُ فحبّبَ إليه الحياة وكرّه إليه الموت فقال : الآن حِين اسْتحكم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين ، تُحَبِّب إلىَّ الدنيا ! فمضَى قُدُمًا حتى استُشهد . فصلى عليه وقال : اسْتغفِرُوا له ! وقَدْ دَخَل الجنَّةَ وهو يَسْعَى

جعفر بن أبى طالب

ثم أخـذَ الرايةَ جعفرُ بن أبى طالبٍ فجاءه الشيطان فمنّاهُ الحياةَ وكَرّه إليه الموتَ ، فقال : الآن حين اسْتحكم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين تُمَنِّينِىَ الدُّنيا ! ثم مَضى قُدُما حتى استُشْهِد . فصلى عليه ودعَا له . ثم قال : اسْتَغفِروا لأَخيكم فإنه شهيدٌ دخَل الجنة ، فهو يَطِيرُ فى الجنَّة بجناحَيْن من ياقوتٍ حيثُ شَاء من الجنّة

عبدالله بن رواحة

ثم أَخَذ الراية بعدَه عبدُ الله بن رَوَاحة فاستُشهد[1] ، ثم دخَل الجنة مُعْترِضاً . فشقّ ذلك على الأنْصار ، فقال : أصَابته الجراحُ . قيل : يا رسولَ الله ما إعْرَاضُه ؟ قال : لمّا أصَابتْه الجراح نكلَ[2] ، فعَاتَب نفسه فشَجُع ، فاستُشهد فدخَلَ الجنة فسُرِّىَ عن قومِه

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذٍ : خيرُ الفرسان أبو قَتَادة ، وخيرُ الرِّجال[3] سلَمَةُ بن الأكْوع . ولما أخَذَ خالدٌ الرّاية قال صلى الله عليه وسلم : الآن حَمِىَ الوَطيسُ[4]

(١) فى الأصل : « فاستشهدوا »

(٢) نَكَل الرجُل عن الأمر : جَبُنَ وتخاذَل

(٣) الرّجال : جمع راجل ، وهو الذى لا فرس له ، فهو يركبُ رجليه فى الجهاد

(٤) هذه الكلمة لم تُسْمع إلاّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وذلك يوم حنين ، وقيل يوم مؤتة . والوطيس : حفيرة تحتفر فى الأرض فتوقد فيها النّارُ ويصفّر رأسُها ، ويخرقُ فيها خرق للدخانِ ثم يوضَع فيها اللحم ويُسَدُّ ، ثم يؤتى من الغَدِ واللحم غابٌّ لم يحترقْ ، ولحمها شواء . وهذه الكلمة من بليغ المجاز فى شدة الحرب وقيامها واحتدامِها

دخول رسول الله على أهل جعفر بن أبى طالب

ودخل صلى الله عليه وسلم على أسماء بنتِ عُمَيْسٍ (١) امرأةِ جعفرِ بن أبى طالبٍ فقال : يا أسماء أيْنَ بنُو جعْفر ؟ فجاءت بهم إليْه ، فضَمّهم إليه وشمّهم ، ثم ذَرَفَتْ عَيْناهُ فبكى ، فقالت : أىْ رسولَ الله لعلَّه بَلَغك عن جعفر شىء ؟ فقال : نعم ، قتِل اليوم ! فقامت تصيحُ ، واجتمع إليها النِّساء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أسماء ! لا تَقُولى هُجْراً (٢) ، ولا تضْربى صدْراً . وخَرَج حتى دخَل على ابنَتِه فاطمةَ عليها السلام وهو يقول : وَاعَمّاه ! وقال (٣) : على مثْل جعفر فَلْتبْكِ (٤) الباكِية ! ثم قال : أصْنعوا لآل جعفرٍ طَعامًا ، فقد شُغِلُوا عن أنفسهم اليوْمَ . وقد رُوى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم لما نَعى لأسماء جعفراً ، مَسَحَ على رأس عبدالله بن جعْفر ، وعيناهُ تُهرَاقان (٥) الدُّموعَ حتى لحيتُه تَقْطُر (٦) ، ثم قال : اللّهم إنَّ جَعْفَراً قد قدَّم إلىّ أحْسَن الثَّواب ، فأخْلُفْه (٧) فى ذُرِّيته بأحْسَن مَا خَلَفْتَ أحداً من عبادك فى ذُرِّيته ! ثم قال : يا أسماء ، ألَا أُبَشِّرُك ؟ قالت : بَلَى ، بأبى أنْت وأمّى ! قال : فإنَّ الله جَعَل لجعفر جَنَاحَين يَطِيرُ بهما فى الجنّة ! قالت : بأبى وأمّى يا رَسُولَ الله ! فَأعْلِمِ الناسَ ذلكَ . فقَامَ ، وأخـذَ بيَد عبد الله ابن جَعْفر ، يمْسح بيدَيْه رَأْسَ عبد الله حتى رَقِىَ المِنْبَر ، وأجْلَسَ عبدَ الله أمامَه على الدرجَة السُّفْلى ، والحزْنُ يُعْرَفُ عليه ، فتكلَّم وقال : إنَّ المَرْءَ كثيرٌ بأخِيه

خطبته فى أمر جعفر

(١) فى الأصل : « عميش »
(٢) الهُجر : التخليط فى الكلام أو الإفحاش
(٣) فى الأصل : « فقال »
(٤) فى الأصل : « فلتبكى »
(٥) هَرَاق الماء والدَّمع : أراقَه وسفحه وصبّه
(٦) فى الأصل : « حتى تقطر لحيته »
(٧) خلفه الله فى ولده : كان خليفةً عليهم . ومن أدب الدعاء أن تقول : « خَلَف الله عليك » لمن هلك له من لا يعتاضُ عنه كالأب والأمّ والعم ، وتقول : « أخلفَ الله عليك » ، لمن هلك له ما يعتاضُ منه كالمال والولدِ والأهْل

وابْنِ عمّه . ألَا إنّ جعفراً قدِ استشهد ، وقد جَعَل الله له جناحَيْن يَطِيرُ بهما فى الجنة . ثم نزَل ، ودخل بَيْته ، وأمر بطعامٍ يُصْنَع لآلِ جعفر ، وأرْسل إلى أخى عبدِ الله بن جعفر فتغدَّيا عِنْدَه : شعيراً طَحَنَتْه سلْمى خَادمُه ؛ ثم نَسَفَته[1] ؛ ثم أنْضَجَتهُ . وأدَمَتْهُ بزَيْتٍ[2] ، وجعلت عليه فُلْفُلاً . وأقامَا ثلاثةَ أيامٍ فى بيته ، يَدُوران معه فى بيوتِ نِسَائه

غنائم مؤتة

وغَنِم المسلمون بعضَ أمتِعَةٍ بمُؤْتَةَ . وجاء رجُلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتَمٍ ، فقال : قتلْتُ صاحبَهُ يومئذٍ ! فنَفَّلَه إيّاه . وقتَل خُزَيْمة بن ثابتٍ يومئذٍ رجلا ، وعليه بَيْضَةٌ فيها ياقوتةٌ ، فأخَذها وأتى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَفَّلَهُ إيّاها ، فباعَها بمائةِ دينارٍ . واستُشْهدَ بمُؤْتَةَ ثمانيةُ نفَرٍ

غزوة ذات السلاسل وسببها

ثم كانت غزوةُ ذاتِ السَّلاسِل . [ويقال السَّلْسَل] ، وهو ماءٌ وراء وادى القُرَى من المدينة ، [بينه وبين المدينة][3] عشرةُ أيام . وسببها أنَّ جَمْعاً من بَلِيٍّ وقُضَاعةَ تَجمَّعوا لِيَدْنُوا من أطراف المدينةِ ، فعقدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص لواءً أبيضَ ، وجعل معه رايةً سَوْداء ، وبعثه فى جُمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سَراةِ[4] المهاجرين والأنصار ، وأمرَه أن يَستعين بمنْ مرَّ به من بلادِ بَلِيٍّ وعُذْرَة وبَلقَيْن . وذلك أنَّ عمراً كان ذا رَحِمٍ فيهم : كانت أمُّ العاصِ بن وائل بَلَوِيَّةً ، فأراد عليه السلام يتألَّفُهُم بعمرٍو . فسارَ يكْمُن النهار ويسيرُ الليل — وكانت معه ثلاثون فرساً — حتى دنَا منهم ،

(١) نَسَفَ الحنطة والشعير : نَخَله وغربله ونَقَضَه حتى تذهب نسَافتُه وقصرُه

(٢) أدَمته بزيت : خلطته به فجعلتْه إداماً

(٣) زيادة للسياق

(٤) سرَاة القوم : أصحابُ الشرف والمروءة منهم ، وأحدهم سرِى ، وجمعه بفتح السين غير قياسىٍّ

فنزل على ماء بأرضِ جُذام[1] يقال له السّلاسِل . وكان شتاء ، فجمَع أصحابُه الحَطبَ ليصطَلُوا فمنَعَهم ، فشَقّ ذلك عليهم ، حتى كلّمه بعضُ المهاجرين بغِلْظةٍ ، فقال عمرٌو : قد أُمِرْتَ أن تَسمَعَ لِي وتُطيع ! قال : أفعلُ

المَدَد ، واختلاف عمرو وأبي عبيدة على الإمارة

وبعثَ رافعَ بن مَكيثٍ الجُهَنِيّ يُخْبِرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ للقَوْمِ جَمعاً كثيراً ويَستَمِدُّه ، فبعثَ أبا عُبَيْدةَ بن الجرّاحِ وعقَد له لواء ، وبعثَ معه سَراةَ المهاجِرين كأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعدّةً من الأنصار . فسارَ فى مائتين ، وأَمرَهُ أنّ يكونا جميعاً ولا يختلِفا . فلمّا لَحِق بعمرٍو ، وأرادَ أنْ يؤُمّ الناسَ ويتقدّم عمراً ، فقال له عمرو : إنما قدِمْتَ مَدَداً لِي ، وليْسَ لكَ أن تؤمّنى ، وأنا الأميرُ ! فقال المهاجرون : كلا ! بَلْ أنتَ أميرُ أصحابِك ، وهو أميرُ أصحابه . فقال : لا ! أنتُم مَدَدٌ لنا . فقال أبو عُبيْدة — وكان حسَنَ الخُلُق — أنظُرَنْ يا عمرو ! تعلَّمَنّ أنّ آخِرَ ما عهِدَ إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ قال : إذا قَدِمْتَ على صاحبك فتطاوعا ولا تَختلِفا ، وإنّك والله إن عصَيْتَنى لأُطيعنّك ! فكان عمرو يصلّى بالناس . وسارَ — وقد صارَ فى خمسمائة — حتى وَطِئَ بلادَ بَلِيّ ودَوّخَها ، وكلّما انتهى إلى موضِعٍ ، بَلَغه أنّه قد كان به جَمْعٌ فلمّا سَمِعوا به تفرّقوا ، حتى انتهى إلى أقْصى بلادِ بلِيّ وعُذْرةَ وبَلقَيْن . ولقِىَ فى آخر ذلك جَمْعاً ، فقاتلهمْ ساعةً وهَزمهمْ . وأقامَ أيّاماً يَبُثُّ سَراياهُ ، فيُؤتَى بالشّاءِ والنَّعَمِ ، فيَنْحَرون ويذبَحون . ولم يكُنْ فى ذلك أكثرُ من هذا ، ولم تكنْ غنائمُ تُقْسم

خبر صاحب الجزور

وخرَج عَوْفُ بن مالك الأشْجَعِيُّ يوماً فى العسكَرِ ، فمرّ بقَوْمٍ[2] قد

(١) فى الأصل : « خدام »

(٢) فى الأصل : « فمن يقوم »

عجزوا عن نَحْرِ جزورِهم وعملها ، فقال : أتعطُونى عليها وأقسمُها بينكم ؟ فجعلوا له عَشيراً منها ، فنحرها ، وجزَّأها بينهم ، وأخذ جُزْءَهُ وأتى به أصحابَه ، فطَبخوه وأكلوهُ . فلمّا فرغوا ، قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : من أينَ لك هـذا اللّحم ؟ فأخبرهما . فقالا : والله مَا أحسنْتَ حين أطْعمتَنا هذا ! ثم قامَا يتقيَّآن ، وفعل ذلك الجيشُ . وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما لعوفٍ: تعجّلْتَ أُخرَى ! ثم أتى أبا عبيدة رضى الله عنه ، فقال له مثل ذلك

صلاة عمرو بالناس بغير غُسْل

واحتلَمَ عمرُو بن العاص رضى الله عنه فى ليلةٍ باردةٍ كأشدِّ ما يكون من البرْد فقال لأصحابه : ما تَرَوْن ؟ قدْ واللهِ احتلَمْتُ ، وإن أغْتَسَلْتُ متُّ ! فدعا بماء فتوَضَّأ وغسَل فرْجَه وتيمَّم ، ثم قام فصلَّى بهمْ . وبعثَ عوفَ بن مالك بَريداً[1] ، فقدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم عليه ، فقال : عَوْفُ ابن مالك ؟ قال : عَوْفُ بن مالكٍ يارسولَ الله ! قال : صاحبُ الجَزُورِ ! قال نعم ! قال : أخْبرْنِي ! فأخبره بمَسيرهم ، وما كانَ بين أبى عبيدة وبين عَمْرٍو ، ومُطاوَعةِ أبي عُبَيْدة ! ثم أخبره أنَّ عَمْرًا صلَّى وهو جُنُبٌ ومعهُ ماء ، لم يَزِدْ على أنْ غسل وَجْهَه بماء وتيَمَّمَ . فلما قَدِم عمرُو وسألهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن صلاتِه قال[2] : والذِى بَعثَك بالحقِّ لو أغْتسلْتُ لَمِتُّ ، ولمْ أجِدْ قطُّ بَرْداً مثلَه ، وقد قالَ الله : « وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا » (النساء : ٢٩) ، فضحكَ صلى الله عليه وسلم ولم يَقُلْ شيئاً

سريّةُ الخَبَط

ثم كانت سريَّةُ الخَبَطِ[3] أميرُها أبو عُبيدة عامرُ بن الجرَّاح ، [وقيلَ :

(١) البَريدُ : الرَّسُول ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبْردْتُمْ إلىّ بَريداً فاجعلوهُ حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنِ الاسمِ »

(٢) فى الأصل : « فقال »

(٣) الخَبَط : ورقُ العضاه من الطَّلْح ونحوه من الشجر يُخْبَطُ بالعصا (يضربُ) فيتناثر ، والورق الساقطُ هو الخَبَطُ . وكانت تُعْلَفه الإبلُ

عبدُ الله بن عامر بن الجَرَّاح][1]، والصحيح : عامرُ بن عبد الله بن الجرَّاح بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارثِ بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة القرشيُّ الفِهْرِيُّ . بعثَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى رجَب على ثلاثمائةٍ — إلى حيٍّ من جُهَيْنَة ، بالقَبَلِيَّةِ مما يَلى ساحل البحرِ ، على خمس ليالٍ من المدينة . فأصابهم جوعٌ شديدٌ ، فجمعوا زادَهم حتى إنْ كانوا لَيَقْتَسِمُونَ[2] التَّمْرةَ ، ولم يكنْ معهم حَمولةٌ[3] ، إنما كانوا على أقْدَامِهم ، وأباعِرُ يحملون عليها زَادَهم . فأكلوا الخَبَطَ ، حتى ما كادُوا[4] أن تكون بهم حرَكةٌ إليه . فابتاعَ قَيْس ابن سعد بن عُبادَةَ خمسَ جزائرَ ، كلُّ جَزُورٍ بوَسْقَيْنِ من تمرٍ : يقومُ بها إذا رَجَع ، ونَحَرها — كلَّ يوم جزوراً — للقوم ، مدَّةَ ثلاثةِ أيامٍ ، حتى وَجَدُوا حُوتاً يقالُ له العَنبَرُ قد ألْقاهُ البَحر ، فأكلوا منه اثنتَىْ عشرة ليلةً . ثم أمر أبو عبيدة بضِلَعٍ من أضْلاعه فنُصِبَتْ ، ومرَّتْ تحتَها راحلةٌ برحْلِها فلم تُصِبْها ، وكان يَجْلِسُ فى مَأْقِ[5] عيْنِ الحوتِ الجماعةُ من النَّاسِ

سرية أبى قتادة إلى خُضْرة

ثم كانت سريَّةُ أبى قتادةَ بن ربعيٍّ الأنصارىّ إلى خُضْرَة ، وهى أرضُ مُحارِبٍ بنجْدٍ[6] ، أميرها أبو قتادة الأنصارىّ ، [بعثَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم][7] فى شعبان منها — فى خمسة عشر رجلا إلى غَطَفان نحو نجدٍ . فسارُوا

(١) وهذه الجملة التى بين القوسين مكررة فى الأصل

(٢) فى الأصل : « ليقتسموا »

(٣) الحمولة : ما يحتمِلُ عليه الناسُ من الدوابِّ كالحمير والبغال والإبل . يريد لم يكن لهم زاد أو ميرة يحملونها على دوابّ

(٤) فى الأصل : « حتى ما كاد وأن يكون »

(٥) فى الأصل : « ميق » . والمأقُ : حرفُ العين الذى يلى الأنف . والذى يلى الصدغَ والأذن يقال له : اللَّحاظُ

(٦) فى الأصل : « ثم كانت خُضْرة أرض محارب سرية أبى قتادة بنجد »

(٧) زيادة لسياق الكلام

ليلا وكمنوا نهاراً ؛ حتى أتوْا ناحيتَهُمْ ، فهجموا على حاضر منهم[1] عظيم ، وجرَّدوا سيوفهم وكبَّرُوا ، فقتلوا رجالا ، واستاقُوا النَّعَم ، وحملُوا النساء ، حتى قَدِموا بمائتى بعير ، وألف شاة ، وسَبْيٍ كثير ، فعزَلوا من ذلك الخُمُس . وقد غابُوا خمس عشرة ليلةً . وكانتْ سُهمانُهم اثنى عشرَ بعيراً ، أو عَدْلَها عن البعير عشرة من الغَنَم

سرية أبى قتادة إلى بطن إضَم

ثم كانَتْ سريَّةُ أبى قَتادة بن رِبْعِيٍّ الأنصارىِّ إلى بَطْن إضَم — وهى فيما بين ذِى خُشُبٍ وَذِى المَرْوَة ، على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة — فى رمضان ، على ثمانية أنفُسٍ . وذلك حين هَمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بغَزْوَة الفَتْح ، ليَظُنَّ ظانٌّ أنه عليه السلام تَوَجَّه إلى تلك النَّاحية ، ولِأَنْ تَذْهَب بذلك الأَخْبَارُ .

قتل المسلم

فلقِيَهُم عامرُ بن الأَضْبَط الأشْجَعى ، فسَلَّم عليهم بتحيَّةِ الإسلام ، فبَدَر إليه[2] مُحَلِّم بن جَثَّامة اللَّيْثِىُّ فقتَله ، وأخَذ بعيره وسلبَهُ . ثم لَحِقُوا برَسُولِ الله وقد علِموا مَسيرَه ، فأدركُوهُ بالسُّقْيا ولم يَلْقَوْا جَمْعاً

ماتزل فيه من القرآن

وفيهم نَزَل قولُه تعالَى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فَعِنْدَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ، كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء : ٩٤)[3]

الاختلاف فى سبب نزول الآية

وقال ابْنُ عبد البَرّ : والاختلاف فى المراد بهذه الآية كثير مُضطَرِبٌ جدًّا ، قِيلَ : نَزَلتْ فى المِقْداد ، وقيل : نَزَلت فى أُسَامة بن زَيْد ، وقيل : فى محلِّم بن جَثامة . وقال ابن عباس : نَزَلت فى سَرِيَّةٍ ؛ ولم يُسَمِّ أحداً . وقيل : نَزلت

(١) فى الأصل : « على حاضرتهم عظيم » . والحاضرُ : الحىّ يقيمون على ماء عِدّ
(٢) بدر إليه : سبق إليه وسارَعَ
(٣) فى الأصل : « ... الحياة الدنيا ، الآية »

فى غالب الليثى من بنى ليث ، يقال له فُلَيْت ، كان على السَّرِيَّة [١] ، وقيل : نَزَلت فى أبى الدَّرْداء . وهذا اضطرابٌ شديدٌ جدًّا

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غَزْوَةُ الفَتْح . وسببها أنَّ أَنَسَ بن زُنَيْم الدِّيلِيَّ هَجَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمِعَه غلامٌ من خُزَاعة فضَرَبه شَجَّه ؛ فثار الشَّرُّ بين بنى بكر [حِلْفِ قُرَيش] ، وبين خُزَاعة [حِلف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم] . فلما دخل شعبانُ على رأسِ اثنين وعشرين شهراً من صُلح الحُدَيْبِية — [وقال ابن إسحاق : فمكثُوا فى تلك الهدْنَةِ نحو السَّبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً] — كلَّمتْ بنو نُفَاثَةَ من بنى الدِّيلِ أشرافَ قُرَيْشٍ أن يعينوها بالرِّجال والسِّلاح على خُزاعة ؛ فأَمَدُّوهُم بذلك . وخرَج إليهم صفْوانُ بن أُمَية ، ومِكْرز بن حَفْص بن الأَخْيف [٢] ، وحُوَيطب بن عبد العزّى ، وشَيْبَة بن عُثمان ، وسهيْل بن عمرو [٣] ، وأجْلبوا معهم أرِقَّاءهم فبيّتوا — مع بنى بَكْرٍ ، ورأسهم نَوْفَل بن مُعاوية الدُّؤَلِيّ — خُزاعةَ ليلاً وهم آمنون ، فقتلوا منهم ثلاثةً وعشرين رجُلا . وذلك على ماءٍ يقَال له الوَتِيرُ قريبٍ من مكة ، وعامَّتهم نساءٌ وصِبْيان وضَعَفَةُ الرِّجال ، حتى أدخلوهم

(١) فُلَيْت ، ويقال أيضاً ، فُلَيْب . قال ابن حجر فى الإصابة ما نصه : « ووقع ذكره فى تفسير محمد بن سعيد العوفى ، عن أبيه ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن جدّه عطيّة بن سعد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : «ولا تقولوا لمن ألْقى اليكمُ السَّلامَ لستَ مُؤمناً» وهو رجُل اسمه مرداس خلّى قومه هاربين من خيل بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رجل من بنى ليث يقالُ له فُلَيْب . واستدركه أبو موسى على ابن منده ، وابن فتحون على الاستيعاب [لابن عبد البر] ، لكن ذكره أبو موسى بقاف أوله ، وموحدة آخره ، وابن فتحون بفاء أوله ، ومثنّاة آخره . والذى يظهر أن كلا منهما تصحيف ، وإنما هو غالب الليثى كما تقدّم فى ترجمته » . انتهى كلام ابن حجر فى الإصابة ، وانظر ص (٣٣٤) من هذا الكتاب ، فى خبر غالب بن عبد الله الليثىّ

(٢) فى الأصل : « الأحيف »

(٣) قال ابن سعد ج ٢ ص ٩٧ ، إنهم خرجوا «متنكّرين متنقّبين» . وذلك خوفَ أن يبلغ رسول الله أنهم نقضوا العَهْد والمدّة

دارَ بُدَيْل بن وَرْقاء ، وقيل حتى انتهَوْا بهم إلى أنصَابِ الحَرَمِ[١]

ندم قريش على نقض العهد

وندِمَت قريشٌ ، وعرفوا أنَّ هـذا الذى صنَعوا نَقْضٌ[٢] للمدَّة والعهد الذى بينهم وبيْن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء الحارثُ بن هشام وجماعةٌ إلى صَفوان بن أُمَيَّة ومَن كان معه فَلاموهم ، وقالوا لأبى سُفْيان بن حرْب : هذا أمرٌ لا بُدَّ له من أَنْ يُصلَح . فاتَّفقوا على مَسيره إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليَزيد فى الهُدْنَةِ ، ويُجَدِّدَ العَهدَ ، فخرج لذلك . وقد سار عَمْرو بن سالم بن حُصَيْرة بن سالم الخُزَاعِىّ فى أربعين راكباً ، من خُزاعة ، حتى دخلَ المسجدَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ، فقامَ ينْشِد شعراً ، وأَخْبره الخبَر واستَصْرَخَه[٣] ، فقام صلى الله عليه وسلم وهو يَجُرُّ ثَوْبه ويقولُ : لا نُصِرْتُ إن لم أَنْصُر بَنى كعب مِمَّا أَنْصُرُ منه نفْسى !

قدوم أبى سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سُفْيان فقال : يا محمَّد ! إنِّى كنْت غائباً فى صُلْح الحُدَيْبية ، فاشْدُدِ العهد وزِدْنَا فى المدَّة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولذلك قَدِمْتَ يَا أَبَا سفْيان ؟ قال : نعم ! قال : هل كان قِبَلَكُم حَدَثٌ ؟ قال : مَعاذَ الله ! قال : فنحنُ على مُدَّتنا وصُلْحِنا يوم الحُدَيبية ، لا نُغَيِّر ولا نُبَدِّل

خبر أبى سفيان فى دار أم المؤمنين ابنته

ثم قام أبو سفيان فدخَل على أُبنَتِه أُمِّ حَبِيبَة[٤] رضى الله عنها ، فلما ذَهَب ليَجْلِسَ على فراشِ رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَتْه دُونه ، وقالت : أَنْت امرُؤٌ نَجَسٌ مُشْرِكٌ ! فقال : يا بُنَيَّة ! لقد أَصَابك بعدى شرٌّ ! قالت : هَدَانى اللهُ للإسْلام ، وأنتَ يا أَبَتِ سَيِّد قرَيْش وكبيرُها ، كيف يسقط عنكَ دخُولُك

(١) أنصابُ الحَرَم : حُدُوده التى تفصِلُ بين الحِلّ والحَرَم
(٢) فى الأصل : « نقضاً »
(٣) استصرخه : استغاثه واستنصرَهُ
(٤) أمّ المؤمنين زوج نبى الله صلى الله عليه وسلم

فى الإسلام ؟ وأنتَ تعبُد حَجراً لا يَسْمَع ولا يبْصر ! ! قال : يا عجَبَاهُ ! وهـذَا منكِ أيضاً ! أأَتْرُكُ ما كان يعْبدُ آبائى ، وأتبع دينَ محمَّدٍ ! ؟

مناشدة أبى سفيان لكبار أصحاب رسول الله

ثم خرج فلقىَ أبا بكرٍ رضى الله عنه فكلَّمه ، وقال : تُكلِّم محمداً ، أوْ تُجيرُ[1] أنتَ بين الناس ! فقال : جِوَارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقى عُمَر رضى الله عنه فكلَّمه بمثل ما كلَّم به أبا بكر فقال [عُمر][2] : والله لوْ وَجَدت الذَّرَّ[3] تقَاتلكم لأعَنْتها عَليكم ! فقال [أبو سفيان][2] : جُزِيتَ من ذِى رَحِمٍ شرًّا . ثم دخل على عُثْمان رضى الله عنه فقال : إنه لَيْس فى القوم أحَدٌ أقربَ بى رَحِماً مِنْك ، فزِدْ فِى الهدْنة وجدِّد العهْد ، فإن صاحبَك لن يرُدَّه عليك أبداً ! قال : جِوَارى من جِوَار رسول الله ! فدَخَل على فاطمةَ وكلمها فى أن تُجِيرَ بين الناس ، فقالت : إنما أنَا امرأةٌ ! قال : مُرِى أحدَ أبنَيْك يُجِيرُ بين الناس ! قالت : إنما هما صَبِيَّان ! ولَيس مِثلُهما يُجِيرُ

مناشدته عليًّا ومشورة علىّ

فأتى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أبا حسَن ! أجِرْ بين الناس أوْتكلمُ محمداً يزِيدُ فى المدَّة ! فقال : وَيْحَك يا أباسفْيان ! إن رسول الله قد عزَم أن لا يفْعَل ، وليس أحدٌ يستطيع أنْ يكلمه فى شىء يكرهُه . قال : فما الرَّأْى ؟ يَسِّرْنى[4] لأمرى ، فإنه قد ضَاقَ علىَّ ، فمرْنى بأمرٍ ترَى أنه نافعى . قال : وَالله ما أجِدُ لك شيئاً أمْثلَ من أن تقومَ فتُجِير بين الناس ، فإنك سَيِّد كِنَانة . قال : ترَى ذلك مُغْنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا أظُنُّ ذلك والله ، ولكنى لا أجد لك غَيْرَه . فقام أبو سفيان بين ظَهْرَىِ الناس فصاح : ألا إنى قد أجَرْتُ بين الناس ، ولا

(١) فى الأصل : « وتجير »
(٢) زيادة للبيان
(٣) الذرّ : النمل الأحمر الصغيرُ
(٤) فى الأصل : « يشرنى »

أظنُّ محمداً يُخْفِرُنى ! ثم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ! ما أظنُّ أن تردَّ جوارى ! فقال : أنتَ تقولُ ذَلك يا أبا سفيان ! ! ثم جاء لسعد ابن عُبادة فقال : يا أبا ثابتٍ ، قد عرفتَ الذى كان بيْنى و بينك ، وأنى كنتُ لك فى قَوْمِنا جاراً ، وكنتَ لى بيَثْرِب مثل ذلك ، وأنت سيِّد هذه البَحْرة[1] ، فأَجِرْ بين الناس وزِدْ فى المُدَّة . فقال : يا أبا سفيان ! جِوارِى فى جوار رسول الله ، ما يُجير أحدٌ على رسول الله !

ويقال : خرَج أبو سُفيان على أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أنت تقولُ ذلك يا أبا سفيان !! ويقال : لما صَاح لم يقْرَبِ النبىَّ عليه السلام ، ورَكِب راحِلته وانطلق إلى مكة

مرجع أبى سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالتْ غَيْبَتُه ، واتَّهمته قريش أنه قد أَسْلَم . فلما دخل على هِنْدٍ ليلا قالت : لقد حَبَسْت حتى اتَّهمك قومُك ! فإن كنتَ مع طولِ الإقامة جِئتهم بنُجْحٍ ، فأنتَ الرّجل! ثم دَنَا منها فجلَس منها مَجْلِس الرّجل من امرأته ، فجعلت تقول : ما صنعتَ ؟ فأخبرَها الخبرَ وقال : لم أَجِد إلَّا ما قال لِى علىٌّ ! فضرَبت برِجليها فى صدْره ، وقالت : قبُّحْت من رَسُول قَوْمٍ ! وأصبَح فحلَق رأْسه عند إسافٍ ونَائِلَةَ[2] ، وذَبح لهما ، ومَسح بالدمِ رؤُوسهما ، وقال : لا أُفارق عبادتكما حتى أَموت على ما ماتَ عليه أَبى

وقالت له قريشٌ : ما وراءَك ؟ هَلْ جِئْتَنا بكتابٍ من محمدٍ ، أَو زيادةٍ فى مُدَّةٍ أماناً من أن يغْزُوَنا ؟ فقال : والله لقد أَبَى علىٌّ ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قَدَرتُ على شىءٍ منهم ، إلا أنهم يرمُونى بكلمةٍ وَاحدة . إلَّا أن علياً قد قال —

(١) البَحْرة : البلدة

(٢) صنمان من أصنام المشركين كانا بمكة

لما ضاقت بى الأمور — : أنت سيد كِنانة ، فأجِرْ بين الناس ! فنادَيتُ بالجوار ، ثم دخلتُ على محمد فقلتُ : إنى قد أجرتُ بين الناس ، وما أظنُّ أن تردَّ جوارى ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفْيان ! ! لم يزدنى على ذلك . قالوا : ما زَاد على أن تَلَعَّب بك تَلَعُّباً !! قال : والله ما وَجَدتُ غيرَ ذلك

جهاز رسول الله للفتح

ولما وَلَّى أبو سُفيان راجعاً قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعائشةَ رضى الله عنها : جَهِّزِينا وأَخْفِى أَمْرَكِ . وقال عليه السلام : اللهمَّ خُذْ من قريشٍ الأخبارَ والعُيونَ حتى نَأتيَهُم(١) بَغْتَةً . [وفى رواية : اللهم خُذْ عن قُرَيش الأخبارَ والعيونَ حتى نأتيَهم بغتةً . وفى رواية : اللهم خُذْ على أبصارهم فلا يرَوْنى إلّا بَغتةً ، ولا يَسْمَعون بى إلّا فجأةً] . وأخذ صلى الله عليه وسلم بالأنْقَاب(٢) ، وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يَطُوفُ عليها ويقول : لا تَدَعُوا أحداً يَمُرُّ بكم تُنْكِرُونَه إلّا رددْتُموه . وكانتِ الأنقاب مُسْلِمةً ، إلّا من سَلك إلى مكة فإنه يُتَحَفَّظ به ويُسَاءَل عنه

خبر أبى بكر

ودخَل أبو بكر رضى الله عنه على عائشةَ رضى الله عنها وهى تُجَهِّزُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تَعْمَل قمحاً سَوِيقاً ودَقيقاً ، فقال : يا عائشةُ ! أهَمَّ رسولُ الله يَغْزُو ؟ قالت : ما أدْرِى ! قال : إنْ كان همَّ بسفرٍ فآذِنينا(٣) نتهيّأ له . قالت : ما أدْرِى ! لعلَّه يُريد بنى سُلَيم ! لعلَّه يريد ثَقيفاً ! لعلَّه يُريد هَوازِن ! فاسْتَعْجَمْتُ عليه(٤) حتى دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ! أردتَ سَفراً ؟ قال : نعم ! قال : أفأتَجَهَّزُ ؟ قال : نعم ! قال : فأين تريدُ يا رسول الله ؟

(١) فى الأصل : « تأتيهم »

(٢) الأنقاب جمع نقب : وهو الطريقُ بين الجبلين ، وأنقابُ المدينة طُرُقها التى تُفْضِى إليها

(٣) آذنه : أعلمه وأخبره

(٤) استعجَم عليه : التوى عليه واستبهم ، فلم يجب سائله بياناً

قال : قريشاً ، وأَخْفِ ذلك يا أبا بكر ! وأمر صلى الله عليه وسلم الناسَ بالجهاز ، وطَوَى عنهم[1] الوَجْهَ الذى يريدُ . وقال أبو بكر : يا رسولَ الله ! أوليْس بيننا وبينهم مدةٌ ؟ قال : إنَّهم غَدَرُوا ونقَضُوا العهدَ ، فأنا غازيهم ، وأطْوِ ما ذكرْتُ لك ! فظَنَّ يظُنُّ أنه يريدُ الشَّأْم ، وظنَّ يظنُّ ثقيفاً ، وظنَّ يظُنُّ هَوازنَ

خبر حاطب بن أبى بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى قُرَيشٍ وعَلِم بذلك النَّاسُ ، كتب حاطِب بن أبى بَلْتَعـةَ إلى قريش ، يُخْبرهم بالذى أجمعَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرِهم . وكان كِتابُه إلى ثلاثة نفرٍ : صفوان بن أُمَيَّة ، وسُهَيْـل ابن عمرو ، وعِكْرِمة بن أبى جَهل ، فيقول فيه : «إنّ رسولَ الله قد أذَّنَ[2] فى النَّاس بالغَزْوِ ، ولا أُرَاهُ يُرِيدُ غـيرَكُم ، وقد أَحْبَبت أن يكونَ لى عِندكم يدٌ بكِتابى إليكمُ» . وأعْطَى الـكتابَ إلى امرأةٍ من مُزَيْنَة من أهل العَرْج — [يقال لهـا كَنُود ، ويقال : سَارَة ، مولاةُ عَمْرو بن صَيْفِيّ بن هاشم بن عبدِ مَناف] — وجَعل لهـا ديناراً [وقيل : عشرةَ دَنانير] ، عَلَى أَنْ تُبلِّغَهُ قريشاً ، وقال : أَخْفِيهِ ما اسْتَطَعْتِ ، ولا تَمُرِّى على الطَّريق فإنَّ عليه حَرَساً[3] . فجعلَتْهُ فى رأسها ثم فَتَلَتْ عليـه قُرُونَها[4] ، وسَلـكتْ على غيرِ نَقْبٍ[5] ، حتى لَقِيَت الطريقَ بالعقِيقِ . وأتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بمـا صنَع حاطِبٌ ، فبعث عليًّا والزُّبيْر رضى الله عنهما فقال : أَدْرِكا امرأةً من مُزَيْنة ، قد كتَب معها حاطبٌ كتاباً يُحَذِّرُ قريشاً . فخرجا ، فأدْرَكاها ، فاستَنْزَلاها ، وٱلْتَمَساهُ[6] فى

(١) طَوَى عنه الخبر : أخفاهُ وسترَهُ

(٢) أذَّن : نادى فيهم إعلاماً لهُمْ وإعلاناً ودعاء

(٣) فى الأصل : « محرساً »

(٤) القرون جمع قرن : وهى غدائر المرأة وضفائرها

(٥) سلـكت على غير نقب : أى خرجت من المدينة تسلك طرقاً لا يركبها الناس من طرق المدينة التى تسمى الأنقاب ، وانظرها فى ص (٣٦١)

(٦) فى الأصل : « والتماساه »

رحلها فلم يجدا[1] شيئاً . فقالا لها : إنَّا نحلفُ بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ولا كُذِبْنَا ، ولتُخْرِجِنَّ هٰذا الكتابَ ! أَوْ لَنَكْشِفَنَّكِ ! فلما رأتْ منهما الجِدَّ قالت : أَعْرِضَا عَنِّي ! فأعرضا عنها ، فحلَّتْ قُرُون رأسها ، فاستخرجت الكتابَ . فجاءا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فدَعا حاطباً فقال : ما حملَكَ على هٰذا ؟ فقال : يا رسولَ الله ! والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ماغيَّرْتُ ولا بدَّلْتُ ، ولكنى كنتُ امرءًا ليسَ لى فى القوْم أصلٌ ولا عشيرَةٌ ، وكان لى بين أظْهُرِهم أهْل وولدٌ ، فصانعْتُهُمْ . فقال عمر رضى الله عنه : قاتَلَكَ الله ! ترى رسولَ الله يَأْخُذُ بالأنْقَابِ ، وتكتبُ إلى قريش تُحذِّرُهم !! دَعْنِي يا رسولَ الله أضْرِبْ عُنُقه ، فإنه قد نافَق . فقال : وما يُدْرِيك يا عُمر ؟ لعلَّ الله اطَّلعَ يَوْم بدرٍ على أهل بدرٍ فقال : اعْمَلُوا ما شِئْتُم ، فقد غَفرْتُ لكم . وأنزلَ الله فى حاطبٍ : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ، وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » (الممتحنة : ١)

ومضتْ سارةُ إلى مكة ، وكانت مُغَنِّيةً ، فأقبلتْ تتغنَّى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ارتدَّتْ عنِ الإسلام

دعوة المسلمين من القبائل

فلمَّا أَبَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أرسل إلى أهلِ البادية وإلى مَنْ حَوْلَه من المسلمين يقولُ : من كان يؤمن بالله واليومِ الآخر فليَحْضُرْ رمضانَ

(١) فى الأصل : « فلم يجد »
(٢) فى الأصل : « ... تلقون إليهم بالمودّة ، الآية »

بالمدينة . وبعَثَ رُسُلا فى كلِّ ناحية حتى قَدِموا . فقدِمَتْ أَسْلمُ ، وغِفَارُ ، ومُزَيْنةُ ، وجُهَيْنة ، وأَشْجعُ ، المدينةَ ، وأتَتْ بنو سُلَيْم بقُدَيْد . وعَسْكر ببِئر أبى عِنَبة ، وعقد الأَلْوِية والرَّايات

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم ثلاثمائة فَرَس ؛ وكانت الأنصارُ أربعةَ آلاف ، ومعهم خمسمائة فرس ؛ وكانت مُزَينة ألفاً ، فيها مائة فرس ومائة دِرْعٍ ؛ وكانت أسْلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ؛ وكانت جُهَينة ثمانمائة ، معها خمسون فرساً ؛ وكانت بنو كَعب بن عمرو خمسمائة . ويُقال : لم يَعْقِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَلوِيةَ والرَّاياتِ حتى انتَهى إلى قُدَيدٍ

الخروج إلى الفتح

وخرَجَ يومَ الأربعاء لعشر خَلَوْن من رمضان بعد العصر . وروَى أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب ، من حديثِ شُعْبة ، عن قَتَادة ، عن أَبى نَضْرَة ، عن أبى سَعيد الخُدْرىّ ، قال : خَرَجْنا مع رسولِ الله حين فَتَح مكة لسبع عشرة أو تسع عشرة بَقِينَ من رمضان ؛ الحديث . ورواه سَعِيد[1] بن أبى عَرُوبةَ ، عن قَتَادة بإسناده ، فقال فيه : خَرَجْنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لِثِنْتَى عشرة . وقال هِشامٌ عن قتادةَ فيه بإسناده : لثمان عشرة . وعن عطيَّة بن قيس ، عن قَزَعَة[2] ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : آذَنَنا[3] رسولُ الله بالرَّحيل عامَ الفَتح لليلتين خَلَتَا من رمضان ، الحديث

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادُوا الخيول ، وامْتَطَوُا الإبل . وكانوا عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : اثنا عشر ألفاً . وقدَّم صلى الله عليه وسلم أمَامَه الزُّبَير بن

(١) فى الأصل : « سعد »

(٢) هذا هو « قزعة بن يحيى » أبو الغادية البصرى ، مولى زياد بن أبى سفيان

(٣) فى الأصل : « آذنا » ، آذنه : أعلمه وأعلنه ودعاهُ

العوّام رضى الله عنه فى مائتين ، فلمّا كان بالبَيْداء قال : إنى لأرَى[١] السَّحَابَ يَستَهِلُّ[٢] بنَصْر بنى كعب . ولمَّا خرجَ من المدينةِ نادى مُنَادِيه : مَنْ أَحبَّ أن يَصُوم فلْيَصُمْ ، ومن أحبَّ أن يُفطِر فَلْيُفْطِرْ . وصامَ هو ، حتى [إذا][٣] كان بالعَرْج صَبَّ على رأسِه وَوَجْهه الماء من العَطَش . فلمّا كان بالكَديد — بين الظُّهْر والعصر أخَذَ إناءً من ماء فى يده حتى رآه المسلمونَ ، ثم أفْطَر تلك الساعة ، ويقال كان فِطْرُه يومئذٍ بعد العصر . وبلَغَه أنّ قوماً صَامُوا ، فقال : أولئك العُصَاة ! وقال بمَرِّ الظَّهْران : إنكم مُصَبِّحُو[٤] عَدُوِّكم ، والفِطْرُ أَقْوَى لكم

منزل رسول الله بالعَرْج

فلما نزَل العَرْجَ — والناسُ لا يدرون أَيْنَ يَتوجَّه[٥] ! أإلى قُرَيش ، أو إلى هَوازن ، أو إلى ثَقِيفٍ ؟ وأحبُّوا أنْ يَعْلَموا — أَتَى[٦] كعب بن مالك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وقد جَلَس فى أصحابه ، وهو يَتَحَدَّث — ليعلمَ ذلك ، فأنشده شعراً ، فتبسَّمَ ولم يَزِدْ على ذلك . فلمَّا نزل بقُدَيد قيل : هَلْ لَكَ يارسولَ الله فى بِيضِ النِّساء وأَدَمِ الإبل ؟ فقال : إنَّ الله حرَّمهم علىَّ بِصِلة الرَّحِمِ ، ووَكْزِهم فى لَبَّات الإبل . [وفى رواية : [إنَّ][٧] الله حرَّمهم علىَّ بِبرِّ الوالدِ ووكْزِهم فى لبَّات الإبل] . وجاء عُيَيْنةُ بن حِصْن بالعَرْج وسارَ[٨] . وكان الأقْرَعُ بن حابس قد وَافَى بالسُّقْيا فى عشرة من قومه . فلمّا عَقَد صلى الله

(١) فى الأصل : « لا أرى »
(٢) استهلَّ السَّحابُ : إذا أشرقَ قبل أوّل المطر ، ثم انصبَّ بمائه
(٣) زيادة للسياق
(٤) فى الأصل : « مصبّحوا »
(٥) فى الأصل : « توجه »
(٦) فى الأصل : « فأتى »
(٧) زيادة للسياق
(٨) يريد أنه جاء مُسْلِماً

عليه وسلم الأَلوية بقُدَيد ، نَدِم عُيَيْنة ألاَّ يكون قَدِم بقَوْمه [١]

خبر الكلبة ونَظَر عليه السلام بعد مَسيره من العَرْج إلى كَلْبة تَهِرُّ [٢] على أولادها ، وهُن حولها يرْضَعْنَها ، فأمر جُعَيْل بن سُرَاقة أنْ يقومَ حِذاءها ، لا يَعْرِضْ لها أحدٌ من الجَيش ولا لأوْلادها

الطلائع وقَدَّم من العَرْج جريدةً من خيْل [٣] طليعةً ، فأتَوْا بعَيْنٍ من هَوَازن ، فسأله عنهم فقال : تركتُهم ببِقْعاء قد جَمّعوا الجُمُوعَ وأَجْلَبُوا العرب ، وبَعَثوا إلى ثقيفٍ فأجابتهم ، فتركتُ ثَقِيفاً قد جَمَّعوا الجُمُوع ، وبعثوا إلى جَرَش [٤] فى عَمَل الدَّبّابات [٥] والمَنْجنيق ، وهم سائرون إلى هوازن فيكونون جميعاً . فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [٦] : وإلى مَن جَعَلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عَوْف . قالَ : وكلُّ هوازنَ قد أجاب ؟ قال : أبْطَأُ من بنى عامرٍ كعبٌ وكلابٌ ؛ وقد مَرَرْتُ بمكة فرأيتُهم ساخطين لما جاء به أبو سُفيان ، وهم خائفون . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حَسْبُنا الله ونعم الوكيل ، ما أُراه إلاَّ صَدَقَنى ! وأَمر خالدَ بن الوليد فحبَسه حتى دخل مكة وفَتَحها فأَسْلم ، وشهد هوازنَ فقُتل بأَوْطاس

---

(١) وندمه من أجل حبّه أن يعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء على قومه

(٢) هَرَّت الكلبة على ولدها : نبحتْ وكشرتْ عن أنيابها ، تذبُّ عن أولادها وتدافع

(٣) فى الأصل : « من خيل جديدة » . والجريدة : الطائفة من الفرسان ليس فيها رجّالة

(٤) جرش : مدينة — كانت — فى أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق ، وكانت إذ ذاك فى يد الروم ، وفتحها شرحبيلُ بن حسنة فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٥) فى الأصل : « الدباب » ، والدبّابة : كانت على عهدهم آلة تُتّخذ من جلود وخشب يدخُل فيها الرجالُ ، ثم يقربونها من الحصن المحاصَر ، ثم تدفَعُ فى أصل الحصن — والرجالُ فى جوفها — لينقبُوه ، وتقيهم ما يُرْمون به من فوقهم . وسميت كذلك لأنها تدبُّ دبيباً

(٦) زيادة للبيان

أبو سفيان بن الحارث وإسلامه

وقَدِم بالأَبْواء أبو سُفْيان بن الحارث بن عبدِ المطَّلب يريد الإسلام ، بعد ما عادَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنةً وهَجاه ، ولم يَتخلَّفْ عن قتاله . فلمّا طلَع صلى الله عليه وسلّم فى مَوْكبه وقفَ تِلْقاء وَجهه ، فأَعْرَض عنه ، فتَحَرَّك إلى ناحيتِه ، فأَعرَض عنه مِراراً ، وأعْرَض عنه النَّاس وتَجَهَّموا له ، فجلَس على بابِ مَنزِل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُلازِمُه حتى فَتح مكة ، وهُو لا يكلِّمه ولا أحدٌ من المسلمين . فلما كان يومُ هَوازِن ، ثبَت فيمَنْ ثبَت مع رسولِ الله ، وأخذَ العبّاس رضى الله عنه بلِجام بَغْلتِه ، وأخذَ أبو سفيان بالجانب الآخر[1] ، فقال : مَن هذا ؟ فقال العباس : يا رسول الله ! أخوك وابْنُ عمِّك أبو سُفيان بن الحارث[2] ! فأَرضَ عنه ، أىْ رسولَ الله ! قال : قد فَعلْتُ ، فغَفر الله له كلَّ عَداوةٍ عادانيها . فقبّل أبو سفيان رِجلَه فى الرِّكاب . فالتفتَ عليه السلام إليه ، فقال : أخى لَعَمْرِى ! ! ويقال إنَّه جاء هُو وعبدُ الله ابن أبى أُمَيّة — أخو أُمِّ سَلَمة — إلى فِيقِ العِقَاب فطردهُما ، فشفَعَت فيهما أُمُّ سَلَمة ، وأبلغَتْه عنهما ما رقَّقَه عليهما ، فقبلهُما

العباس ابن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل

وقدِمَ العبّاس بن عبد المطَّلب ومَخْرَمةُ بن نوْفل ، بالسُّقْيا . وقيل : بل قَدِم العبّاس بذى الحُلَيْفَةِ — وقيل بالجُحْفَةِ — فأسلَم ، وبعَث ثَقَلَه[3] إلى المدينة . ومَضى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأقامَ معه ، ولم يخرُج من عنده حتى راحَ عليه السلام . وكان يَنزِل معه فى كلِّ منزلٍ حتى دخل مكة

رُؤيا أبى بكر

ورأى أبو بكرِ الصِّدِّيق رضى اللهُ عنه — فى اللَّيلةِ التى أصبح فيها بالجُحْفَة — أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا دنَوْا من مكة ، خرجتْ عليهم

(١) فى الأصل : « بالجناب »
(٢) مضى فى ص (٥) أنه ابن عمه وأخوه من الرضاعة ، من قِبَل حليمة السعدية
(٣) الثَّقَلُ متاعُ المسافر وحَشَمُه

كلْبة تَهِرُّ ، فلمّا دنَوْا منها استلقَتْ على ظهرِها ، فإذا أطْباؤُها تَشْخَبُ لبناً[١] . فذكَرها أبو بكرٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذهَب كلَبهُم ، وأقبل دَرُّهم[٢] . هُم سائِلوكم بأرحامِكم ! وأنتُم لاقُون بَعْضَهم ، فإن لَقيتُم أبا سُفْيان فلا تَقْتُلوه

منزل المسلمين بقديد

فلما نزَل عليه السلام قُدَيْداً لقِيَتْه سُلَيْم — وهم تسعمائة على الخُيول جميعاً ، مع كلِّ رجُلٍ رُمْحُه وسِلاحُه ، ويقال إنهم أَلْفٌ — فجَعلهُم مُقَدِّمَتَه مع خالدِ ابن الوَليدِ رضى الله عنه . واجتَمع المسلمون بمَرّ الظَّهْران ، ولم يبلُغْ قريشاً حرْفٌ واحد من مَسيرهِم . فأمرَ صلى الله عليه وسلم المسلمينَ أن يوقِدوا النِّيرانَ ، فأوقدوا عشرة آلاف نارٍ ، وأمرَ بالأَجْراس أن تُقطَع من أعناقِ الإبل ليالىَ فتْحِ مكة ، وفى غزْوَةِ بَدْر

بعثة قريش أبا سفيان يتجسَّس

وبعثَت قريشٌ أبا سُفْيان يَتَجسَّسُ الأَخبارَ ، وإن لقِىَ محمداً يَأْخُذ لهم منه جِواراً ، فإن رأى رِقَّةً من أصحابه آذَنَهُ بالحَرب . فخرج ومعه حكيمُ بن حِزام وبُدَيل بن وَرْقاء ، فرأَوْا الأَبْنيَة والعَسكرَ والنيرانَ بمرِّ الظَّهْران ، وسَمِعوا صَهيل الخيلِ ورُغاء الإبِل ، فأفزعَهُم ذلك فزَعاً شديداً وقالوا : هؤُلاء بنو كَعب جَاشَتها الحربُ[٣] ! فقال بُدَيْل : هؤلاء أكثر من بنى كعب ! قالوا : فتَنجَّتْ[٤]

(١) الأطباء جمع طُبْي : حلمةُ الضَّرْع التى فيها اللّبن من ذوات الخف والظّلْف والحافر والسباع ، وهو كالثّدى للمرأة ، إلاّ أنه حَلَمَة . شخب الثدىُ يشخَبُ : تفجّر لبنُه وسَالَ

(٢) الكَلَب : داء شبهُ الجنون ، وسُعَار يأخذُ الكلابَ فتنبح وتَعَض ، فإذا عضّت إنساناً أصابَهُ مثلُ ذلك . وهذا كناية عَنْ عنادِ قريش وجُنُونها وإرْصادها العداوة لرسول الله بالأَحْقَاد والأضغان والصر . والدر : اللّبن يدِر به الثدىُ وذلك حين يسيلُ . وهذا كناية عن تسهل أعمالهم ، وإقبال خيرهم

(٣) جاشتها الحربُ : هاجتها وفَارت بها ، كما تجيشُ النارُ القدرَ فيَغلى ماؤها

(٤) التنجّع والانتجاعُ والنّجْعةُ : طَلبُ الكلأ ومساقط الغيث ، وذلك يكون أيام الربيع حين يهيجُ العُشْب

هَوازِنُ على أرضِنا ! واللهِ ما نَعْرِف هذا ! إنَّ هذا العسكَرَ مثلُ حاجِّ النّاس ! وكان على الحرَس تلك اللّيلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

خبر العباس وقدومه بأبى سفيان وصاحبيه على رسول الله

وقد رَكِبَ العباس رضى الله عنه دُلْدُلَ[1] ، على أنْ يُصيبَ رسولًا إلى قُرَيْش يُخبِرُهم : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم داخلٌ عليهم فى عشرة آلاف . فَسمِع صوتَ أبى سُفْيان ، فقال : أبا حنْظَلة ! فقال : يا لَبَّيْك ! أبا الفَضل ! قال : نعم ! قال : فما وراءك ؟ قال : هذا رسولُ الله فى عشرة آلاف من المسلمين ، فأَسلِم ، ثَكِلَتْك أُمُّك وعشيرتُك . وأَقْبَلَ على حَكيم بن حِزام وبُدَيل بن وَرقاء فقال : أَسلِما ، فإنى لكما جارٌ حتى تنْتهوا إلى رسول الله ، فإنى أخشى أن تُقطَعوا دون النبىّ ! قالوا : فنحنُ معك . ويُرْوَى أن أبا سفيان وحكيما وبُدَيلًا لما طلَعوا على مَرِّ عِشاء[2] ، ورأَوا النِّيرانَ والفَساطيطَ والعسكَرَ راعهُم ذلك . فبيْنَا هُم كذلك لم يَشعُروا حتى أَخذَهم نفَرٌ — كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثهم عُيوناً له — بخُطُم أبعِرَتِهم[3] ، وأتَوْا بهم العسكرَ ، فَلقِيهم عند ذلك العبّاس فأجارهم . وأَتى بهم العبّاس ودَخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! أبو سُفْيان ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيْل بن وَرْقاء ، قد أجرْتُهُم ، وهم يَدخلون عليك ! فقال : أدْخِلْهُم . فدَخلوا عليه ، فمكَثوا عنده عامّة الليل ليَستَخْبرَهم ، ودَعاهم إلى الإسلام ، فأسلَمَ حكيمٌ وبُدَيْل . وقال أبو سفيان : أشهد أن لا إله إلّا الله . فقال رسول الله . وأنى رسولُ الله . قال : والله يا مُحَمّد ، إنَّ فى النَّفْس من هذا لشَيْئاً بَعدُ ، فأَرْجِها[4] . ثم قال للعبّاس :

دخولهم على رسول الله

(١) دُلْدل : اسم بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) فى الأصل : « مدعشا » ؛ ومرّ : يعنى مرّ الظّهْران

(٣) الخُطُم جمع خِطام : وهو الحبل الذى يقاد به البعير

(٤) أرْجَأ الأمرَ أخّره ، وسُهّلت الهمزة فصار الأمر أرْجِ ، مكان أرجِىْ

أمر أبي سفيان وإسلامه

قد أجَرْناهم ، أذهَبْ بهم إلى منزِلِك . فذهَب بهم . فلمَّا أُذِّنَ الصُّبْحُ أَذَّنَ العسكرُ كلُّهُم، ففزِع أبو سُفْيان من أذانِهم وقال : ما يَصنعون ؟ أُمِروا فِيّ بشيء ! قال : لا ! ولـكنهم قاموا إلى الصَّلاة ! قال أبو سـفيان : كَم يُصلُّون فى اليوْمِ واللَّيْلة ؟ قال : يُصَلُّون خمسَ صلوات . قال : كثيرٌ والله ! فلما رآهم أبو سفْيان يَبْتَدِرون وَضُوءَ النبيّ صلى الله عليه وسـلم قال : ما رأيت يا أبا الفَضل مُلْـكا كهذا ! لا مُلْكَ [1] كسرى ولا مُلْكَ بنى الأَصفَر ! فقال العباس : وَيحَك آمِنْ ! قال : أَدْخِلنى عليه . فأَدخَله . فقال : يامُحمّد ! استنصَرْتُ إلهى واستَنْصَرتَ إلهَكَ ، فلا والله ما لَقيتُك من مرَّة إلا ظُفِّرْتَ علىَّ ، فلو كان إلهى حقًّا و إلهُك مُبْطِلًا لقد غَلَبْتُك ! وشهِدَ أن محمداً رسولُ الله

مقالة أبي سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحَـكيم : يامحمّد ! جِئْتَ بأوْباش الناس — من نَعرف ومن لا نعرف [2] — إلى عشيرَتِك وأَصْلِك ! فقال صلى الله عليه وسـلم : أنْتم أظلم وأفجرُ ، غَدَرْتم بعَهد الحُدَيبية ، وظَاهَرتم على بنى كعب بالإثم والعُدْوان فى حَرَم الله وأَمْنه . فقال أبو سفيان وحَكيم بن حِزام : يا رسول الله ! [3] لو كُنْتَ جعلت حَدَّك [4] ومَكيدَتَك بهوازن ، فهُمْ أبعَدُ رِحْماً ، وأشَدُّ لك عداوة ! فقال : إنّى لأرْجو [5] من رَبِّى أن يَجْمَع ذلك لى كلّه : فتحَ مكة و إعْزازَ الإسلام بها ، وهَوازِنَ ، وأنْ يُغنِّمَنى الله أموالَهم وذَرَاريَّهم ، فإنّى راغبٌ إلى الله فى ذلك

وقيل : إنَّ أبا سفيان رَكِب خَلْف العبَّاس ، ورَجع حكيم بن حِزام و بُدَيل

(١) فى الأصل : « إلا ملك كسرى »
(٢) فى الأصل : « من تعرف ومن لا تعرف »
(٣) فى الأصل : « فقال أبو سفيان : يا رسول الله وحكيم بن حزام »
(٤) فى الأصل : « جدك » . الحدّ : الشدّة والمضاءُ
(٥) فى الأصل : « لأرجوا »

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبى سفيان

ابن وَرْقاء . فلمّا مرّ العبّاس بعُمر بن الخطاب ، ورأى أبا سُفْيان قال : أبا سفيان ! عَدُوّ الله ! الحمدُ لله الّذِى أمْكن منك بلا عَهدٍ ولا عَقْدٍ . ثمّ خرج نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشتدُّ ، فرَكَض العبّاس البغلةَ حتى اُجْتَمعوا على بابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدَخلوا . فقال عمر : يا رسولَ الله ! هٰذا أبو سفيان عدُوُّ الله ، قد أمكنَ الله منه بلا عهد ولا عقْد ، فدَعْنى أضْرِبْ عنقَه . فقال العبّاس : إنى قد أجَرْتُه ! ثم الْتزَمَ[1] رسولَ الله ، فقال : والله لا يُناجيهِ اللّيْلةَ أحدٌ دُونى . فلما أكْثر عمرُ فى أبى سفيان قال العبّاس : مَهْلاً ياعمَرُ ! وتلاَحَيَا[2] ، فقال النبى عليه السلام للعباس : اُذْهبْ به فقد أجَرْتُه ، فَلْيَبِتْ عندَك حتى تَغْدُوَ به علَيْنا إذا أصبحتَ . فغَدَا به . فقال له رسول الله : وَيْحَكَ يا أبا سفيان ! ألم يَأْنِ لك[3] أن تعلمَ أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنْتَ ! ما أحْلَمَك وأكْرَمَك وأعْظَمَ عَفْوَك ! قَدْ كان يَقَعُ فى نفسى أن لو كان مع الله إلهٌ[4] لقد أغْنَى عنّى شيئاً بعدُ . قال : يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لَكَ أنْ تعلمَ أنّى رسولُ الله ؟ [قال][5] : بأبى أنتَ وأمّى ! ما أحلمَك وأكرمَك وأعظمَ عَفوَك ! أمّا هذه فوَالله إنّ فى النفس منها لشَيْئاً بعدُ . فقال العباس : وَيْحَكَ ! أشْهَدْ أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله قبلَ واللهِ أن تُقْتَل ! فشَهِدَ شهادةَ الحقّ

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

فقال العباس : يا رسول الله ! إنّك قد عَرَفْتَ أبا سفيان وحُبَّه الشَّرَفَ والفَخْر ، اُجعَلْ له شيئاً . قال : نَعَمْ ! مَنْ دخل دار أبى سفيان فهُوَ آمِنٌ ، ومَن

(١) التزمه : اعتنقه واحتضنه
(٢) تلاحى الرجلان : تخاصما وتنازعا
(٣) أنى له يأنى : حانَ وقتُه
(٤) فى الأصل : « إلاه »
(٥) زيادة يقتضيها السياق

أغلق [عليه] [1] دارَه فهو آمِنٌ . وأمر ألّا يُجْهَزَ على جريحٍ ، ولا يُتَّبَع مُدْبِر . ويُرْوَى أن أبا سفيان وحكيماً قالا : يا رسول الله ! أدْعُ الناسَ إلى الأمان ! أرأيتَك إن اعتزَلَتْ قريشٌ وكفَّت أيديَها ، آمنون هم ؟ قال : نعَم ! مَن كَفَّ يَدَه وأغلق [عليه] [1] بابه فهُو آمِنٌ . قالوا : فابْعثْنا نُؤَذِّنْ فيهم بذلك . قال : انطلَقوا ، فمن دَخَل دارَك يا أبا سفيان فهو آمن ، ودارَك يا حكيمُ ، و[من] [1] كَفَّ يدَه فهو آمن

رد أبي سفيانَ بعد فراقه

فلما توجّهوا قال العباس : إنى لا آمَنُ أبا سفْيان أن يرْجعَ عن إسلَامه ويكْفرَ ، فارْدُدْهُ حتى يَفْقَهَ ويرَى جُنود الله مَعَك . فأدركه عباسٌ فحبَسَه ، فقال : أغَدْراً يا بَنِي هاشم ؟ قال : ستَعْلمُ أنّا لَسْنا بغُدُرٍ [2] ، ولكنْ لِي إليكَ حاجةٌ ، فأَصبِحْ حتى تَنْظُر إلى جُنُود الله ، وإلى ما أُعِدَّ للمشركين . فحبسه بالمضيق — دون الأَرَاكِ إلى مكة — حتى أصبحوا . وقيل : بلْ قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان : أحبِسه بمضيق الوَادى حتى تمُرَّ به جنودُ الله فيَرَاها . فعدَل به العباس فى مَضِيق الوادى ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادَى : لِتُصْبِحْ كلُّ قبيلةٍ قد ارتحلَتْ ووَقفتْ مع صاحبها عند رَايتِهِ ، وتُظْهِرْ ما معها من العُدَّة

تعبئة المسلمين ومرورهم على أبي سفيان

فأصبح الناسُ على ظَهْرٍ [3] ، وعَبَّأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فجعلَ أبا عُبَيْدَة بن الجرّاح على المقدِّمة ، وخالد بن الوليد على المَيْمَنة ، والزُّبَيْر بن العوّام على الميسرة ، وهُو صلى الله عليه وسلم فى القَلب ، وقدَّم بين يديه الكَتَائب . فمرَّتِ القَبائلُ على قادَتها ، والكتائبُ على رَاياتها . فقدم خالدُ بن الوليد فى بنى

(١) زيادة للسياق

(٢) غُدُر جمع غَدُور : وهو الغادر

(٣) يقال أصبحَ فلان على ظهْرٍ : أى مُزْمِعاً للسفر أو غيره ، فهو غيرُ مطمئنّ ، كأنه قد ركب لذلك الأمر ظهْراً ، والظَّهْر : ما يُركَب

سُلَيْم — وهم أَلْف يحمل لواءهم عباس بن مِرْداس ، وخُفَاف بن نُدْبَة — فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : خالدُ بن الوليد . فلما حَاذَى خالدٌ العباسَ وأبا سفيان ، كَبَّر بمن مَعه ثلاثاً ومَضَوْا . ثم مرَّ على إِثْرِه الزُّبَيْر بن العَوَّام ، فى خمسمائة ومعه رايةٌ سَوْداء ، فلما حاذَاهما كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابه ، فقال [أبوسفيان][1] : مَنْ هذا ؟ قال [العباس][1] : الزُّبَيْر بن العَوَّام . قال : أَبْنُ أُخْتِك ؟ قال : نعم ! ومرَّت بنُو غِفَارٍ فى ثلاثمائة يَحْمِل رايتَهم أبو ذَرٍّ الغِفارىُّ ، [ويقال : إيماء بن رَحْضَة] ، فلما حاذَوْهما كبَّروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : بنو غِفَار . فقال : مالِى ولبَنِى غفار ! ثمَّ مَضَت أَسْلَمُ فى أربعمائة — فيها لواءان يحمل أحدَهما بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب ، والآخرُ ناجيةُ بن الأعجم — فلما حاذَوْهما كبَّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : أَسلَم . قال : مالِى ولأَسلَم ! ما كان بيننا وبينها تِرَةٌ[2] قطُّ . قال العباس : هم قومٌ مُسْلِمون دخلُوا فى الإسلام . ثم مَرَّت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائة ، يَحْمِل لواءهم بُسر ابن سُفْيان . قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو . فلما حاذَوْهُ كَبَّرُوا ثلاثاً . ثم مَرَّتْ مُزَيْنة فى ألف — فيها ثلاثةُ ألوية ومائةُ فرس ، يَحْمِل أَلويتها : النُّعمان بن مُقَرِّن ، وبلالُ بن الحارث ، وعبدُ الله بن عمرو — فلما حاذَوْه كبَّرُوا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : مُزَيْنَة . قال : مالِى ولمُزَينة ! جاءتْنى تُقَعْقِعُ من شَوَاهِقِها[3] ! ثم مرَّت جُهَيْنة فى ثمانمائة — معها أربعةُ أَلوِية

(١) زيادة للبيان

(٢) التِّرةُ : الثَّأر والذَّحْل . وكنى أبو سفيان بذلك عن هَوَانهم ، وأنهم لم يكنْ لهم عز فى الجاهلية يصونونه بالدَّم

(٣) القَعْقَعة : حكاية حركة الشىء إذا سُمع له صوت كالسلاح وما إليه . والشواهق جمع شاهق : وهى الجبال العالية . وكانتْ مزينةُ من أصحاب الجبال ، كانت منازلهم فى جبال طيء والعيص وما دانى هذه البلاد . وكنَى أبو سفيان بذلك عن أنهم أجْلاف غِلاظ

يحملها أبو زُرْعَة[١] مَعْبدُ بن خالد ، وسُوَيْدُ بن صَخْر ، وَرافع بن مَكِيث ، وعبدُ الله بن بَدر — فلما حاذَوْها كبَّرُوا ثلاثاً . ثم مرَّت كِنانَةُ : [بنو لَيْثٍ ، وضَمْرةُ ، وسَعدُ بن بَكر] فى مائتين ، يَحْمِل لواءهم أبو واقدٍ اللَّيْثِي ، فلما حاذَوْهُما كبَّروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنُو بَكْر . قال : أَهْلُ شُؤْم ! هؤُلاءِ الذين غزَانا محمَّد بسببهم ، أما وَالله ما شُوورْتُ[٢] فيه ولا عَلِمْتُه ، ولقد كنتُ له كارهاً حَيْثُ بَلَغنى ، ولـكنَّهُ أمرٌ حُمَّ[٣] ! قال العبّاس : قد خارَ الله[٤] لك فى غَزْوِ محمّدٍ لكم ، ودَخَلتم فى الإسلام كافَّة . ومرَّت بنو ليْث — وهم مائتان وخمسونَ ، يحملُ لوَاءهم الصَّعْب بن جَثَّامَة — فلما حاذَوْهُما كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو لَيْث . ثم مرّت أَشْجَعُ — وهم ثلاثمائة معهم لِواءانِ يَحْملهما[٥] ، مَعْقِلُ بن سِنان ، ونُعَيْم بن مسعود — فقال أبو سفيان : [من هؤلاء ؟ قال : بنو أشْجع . قال][٦] : هؤُلاء كانوا أَشَدَّ العَرَبِ على محمّدٍ ! فقال العبّاس : أَدْخَل الله قلوبَهم الإسلامَ ، فهذا مِن فضلِ الله

كتيبة رسول الله

فلمّا طلَعت كتِيبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَضْراء ، طلَع سوادٌ وغَبَرةٌ من سَنَابِك الخَيْل ، ومرَّ النّاسُ حتى مَرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَاقَته القَصْواء بين أبى بكر وأُسَيْد بن حُضَيْر — وهو يُحدِّثُهُما — ، ومعه المهاجرون[٧] والأنصارُ ، — فيها الرَّاياتُ والألويةُ ، مع كلِّ بَطْنٍ من الأنصارِ

(١) فى الأصل : « أبو روعة »
(٢) فى الأصل : « شووت » . وهذا من المشاورة
(٣) فى الأصل : « جمّ » . وحمّ الأمرُ : قُضى وأُنفِذَ
(٤) خارَ الله لك : اختار لك خير الأمرين ، فهداك إليه
(٥) فى الأصل : « لوان يحملها »
(٦) زيادة
(٧) فى الأصل : « المهاجرين »

رايةٌ ولواءٌ — فى الحديدِ لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق ، ولعُمَرَ بن الخطاب فيها زَجَلٌ[١] ، وعليه الحديدُ ، وهو يَزَعُها[٢] . فقال أبو سفْيان : لَقد أَمِرَ أَمْرُ عَدِيٍّ[٣] بَعد قِلَّة وذِلَّةٍ !! فقال العباس : إنّ الله يرفع ما يَشاء بما يَشاء ، وإنَّ عُمَرَ ممن رَفَعه الإسلام

مقالة سعد بن عبادة لأبى سفيان

وكان فى الكتيبةِ ألفُ دَارعٍ ، وسعدُ بن عُبادة يَحمِل رايةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أمامَ الكتيبة ، فنادَى : يا أبا سفيان ! اليَوْم يَوم المَلْحَمة ، اليومَ تُسْتَحلُّ الحُرْمةَ ، اليومَ أذَلّ الله قُرَيشاً !! فنادى أبو سفيان — عند ما حاذَاه النبيُّ عليه السلام — : يا رسولَ الله ، أمَرْتَ بقَتْل قَوْمك ؟ زَعَم سَعدٌ ومَنْ معه كذا — وذَكَرَ ما قالهُ سَعدٌ — وإنى أَنْشُدُكَ اللهَ فى قومِك ! فأنتَ أبَرُّ الناس ، وأرْحَم النّاسِ ، وأوْصَلُ الناس ! فقال عبد الرحمن بن عَوْف وعثمان بن عفّان : يا رسول الله ! ما نأْمَن من سَعد أن تكُون منه فى قريشٍ صَوْلةٌ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا سفْيان ! اليومَ يومُ الرّحمةِ ، اليومَ أعزّ الله فيهِ قريشاً ! وأرسلَ إلى سَعد فعزَله ، وجَعل اللواء إلى قَيْس بن سعد . فأبَى سعدٌ أن يُسَلِّم اللِّواء إلا بأمارَةٍ ، فأرسلَ صلى الله عليه وسلم بعِمامتِه ، فدفع اللواء إلى أبنه قَيس . ويُقال : دخَل سعدٌ بلِوَائه حتى غرَزَهُ بالحَجُون . ويقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عليًّا فأخذَ الرّايةَ ، فذهبَ علىّ بها حتى دخَل بها مكة فغرَزَها عند الرُّكن . وقيلَ : بل أمرَ الزُّبَيْر بن العَوّام فأخذَ اللِّواء . وصَحّحه جماعةٌ

عزل سعد عن راية رسول الله

(١) زَجَل : جلبة وصوت رفيع عال كأنّه الرَّعْدُ

(٢) وزَعَ الجيش يَزَعُه : رتّبَه وصفّه ، وسوّى صفوفه ، وكفّه عن التفرّق والانتشار . ومنه الوازعُ فى الحرب ، وهو الموكل بالصفوف يدبّر أمرهم وترتيبَ قتالهم

(٣) أمِرَ أمْرُه : ارتفع شأنُه ، وعظُم سُلْطانُه

مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى

وقال أبو سفيان : ما رأيتُ مثلَ هذه الكتيبة قطُّ ، ولا خَبَّرَنيهِ مُخَبِّرٌ ! مالأحدٍ به طاقةٌ ولا يَدَانِ ! لقد أصْبح مُلك ابْنِ أخيك الغَداةَ عظيما !! فقال له العباس : يا أبا سُفْيان ! لَيس بمُلْك ولكنه نُبُوَّةٌ . قال : فنَعَر[1] ! قال : فانْجُ وَيحَكَ فأدْرِكْ قوْمَك قبل أن يَدْخُلَ عليهِمْ

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرَج أبو سفيان فتقدَّم الناسَ كلَّهم حتى دَخل مكة من كُداء وهو يقول : من أغلَق بابَه فهو آمِنٌ ! حتى أنتهى إلى هِنْد بنت عُتْبة ، فأخذتْ برأسه فقالت : ما وراءَك ؟ قال : هذا مُحمد فى عشرةِ آلافٍ عليهم الحديدُ ، وقد جَعل لى : من دَخل دارى فهو آمنٌ ! قالت : قبَّحك الله رسولَ قَوْم ! وجَعل يصْرُخ بمكة : يا مَعشَرَ قريْشٍ ! وَيْحكُم ! إنَّه قد جاء ما لا قِبَل لكم به ! هذا محمد فى عشرةِ آلافٍ عليهم الحديدُ ! فأسلِموا تَسْلَموا ! قالوا : قبَّحك الله وافِدَ قوْمٍ ! وجعلت هِنْدُ تقولُ : أقْتُلوا وَافِدَ كم هذا ، قبَّحك الله وَافِدَ قوْمٍ ! فيقول : وَيْلَكم ! لا تغُرَّنَّكُم هذه مِنْ أنفُسكم ! رأيتُ مَا لم تروْا[2] ! رأيتُ الرِّجَالَ والكُراعَ والسِّلاح ، فما لأحدٍ[3] بهذا طاقةٌ !

خبر العباس فى مكة

وذكر عُمرُ بن شبّةَ[4] : أنَّ العبّاس ركِبَ بَغْلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مَرِّ[5] ليَدْعُوَ أهلَ مكة ، فقدِمها وقال : يا أهل مكة أسلِموا تَسْلَموا ، قد استُبْطِنْتُم بأشْهبَ بازِلٍ[6] . وأعلَمهم بمَسير الزُّبيْر من أعلى مكة ، ومَجِيء

(١) نَعَر ينعَر : صاح وصوّت صوتاً شديداً من خَيْشُومه
(٢) فى الأصل : « ما لا تروا »
(٣) فى الأصل : « مال أحد »
(٤) فى الأصل : « عمرو بن شيبة »
(٥) مرّ : يريد مرّ الظهران
(٦) استبطنَ الوادى وتبطّنه : دَخَل بطنَهُ . والأشهب : الأبيض ، يريدُ الجيش لكثرة سلاحه وحديده يلمعُ فى الشّمْس . والبازلُ : هو البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعنَ فى التاسعةِ وفَطَر نابُه ، وذلك وقت نهاية قُوّته . ومعنى قول ابن عباس : إنّه قد رُميتم بهذا الجيش الصعب ، فنفَدَ فيكم ، ولا طاقة لكم به

خالد بن الوليد من أسفلها ، لقتالهم . ثم قال : مَنْ ألقى سلاحَه فهو آمِنٌ ، ومن أغلق بابه فهو آمنٌ ، ومن دَخل دارَ أبي سُفْيان فهو آمنٌ

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذى طُوًى ، فوَقَفوا يَنْظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاحقَ النَّاس . وقد كان صفْوانُ بن أُميَّة ، وعِكْرِمةُ بن أبي جَهل ، وسُهَيْل بن عمرٍو دَعوْا إلى القِتَال ، واجتمع إليهم — من قريش وغيرِهم — جماعةٌ عليهم السِّلاح ، يَحْلِفون بالله لا يَدخُلها محمدٌ عَنْوةً أبداً

دخول رسول الله مكة

وأقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضْراء — على ناقته القَصْواء ، مُعْتَجِراً بشقَّةِ بُرْد حِبَرَة(١) ، [وفى رواية : وهو مُعتَجِر بشِقَّة بُرْدٍ أسود] ، وعليه عِمامةٌ سوداء ، ورايتُه سوداء ، ولواؤُه أسودُ — حتى وقفَ بذى طُوًى وتوَسَّط النَّاسَ ، وإنَّ عُثْنونَه (٢) ليَمَسُّ واسطة الرَّحْل أو يَقْرُب منه ، تواضعاً لله تعالى حينَ رأى ما رأى من فَتْح الله وكثرةِ المسلمين ، ثم قال : العَيْشُ عيْشُ الآخرة

مداخل المسلمين إلى مكة

وأمرَ الزُّبيْر بن العوّام أن يدخلَ من كُداء من أعلَى مكة ، وأن يَنْصِبَ رايتَه بالحَجون . وأمرَ خالد بن الوليد أن يدخلَ من اللِّيط : وهى كُداء من أسفَلِ مكة . [ويقال : بعثَ الزُّبيْر بن العوّام من أعلَى مكة ، وأمر سعدَ بن عُبادة أن يدخل من كُداء] . ودَخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أذاخِرَ . ونهى عن القِتال . ويقال : بل أمَرهم بقِتَال من قاتَلهم ، فترامَوْا بشىء من النَّبْل . فظَهر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمّن الناسَ إلَّا خُزاعةَ عن(٣)

النهى عن القتال

(١) بُرْدُ حِبَرة : ضرب من ثياب اليمن موشّى مخطط . واعتَجَرَ : لَوَى الثوب على رأسه واعتم به

(٢) العثنون : من لحية الرجل ما نبت على الذّقَن وتحته

(٣) فى الأصل : « غير »

بنى بكر . وذكر جماعةٌ أنه لم يُؤَمِّنهُم . وقيل : أمرَ بقَتْل سِتّةِ نَفَرٍ ، وأربعِ نِسْوة : عِكْرِمةَ بن أبى جَهْل ، وهَبَّارِ بن الأسود ، وعبدِ الله بن سعد بن أبى سَرْح ، ومِقْيَس بن صُبابة اللَّيْثِيّ ، والحُوَيرث بن نُقَيذ[1] بن بُجَير بن عبْد بن قُصَيّ ، وهِلال بن عبد الله بن عَبْد مناف بن أسعد بن جابر بن كَبير ابن تَيْم بن غالب بن فهْر[2] ؛ فتَيْم هو الأدْرَم[3] [وعبدُ الله بن عبد مناف ، هو خَطَل بن خَطَل الأدْرَميّ] . وهِنْدَ بنت عُتبة بن رَبيعة ، وسَارةَ مولاةُ عَمْرو ابن هِشام ، وقَيْنَتَيْنِ لابن خَطَل : فَرْتَنَا وقُرَيْبة ، ويقال : فَرْتَنا وأَرْنَبَة

قال خالد بن الوليد

فكلُّ الجُنُودِ دَخل فلم يَلْقَ جمْعاً ، إلّا خالدُ بن الوليد ، فإنه وَجَد جمْعاً من قريشٍ وأَحابيشِها : فيهم صَفوانُ بن أُميّة ، وعِكْرِمةُ بن أبى جَهل ، وسُهَيْل ابن عمرو ، فمَنَعُوه الدُّخولَ ، وشهَرُوا السِّلاحَ ، ورَمَوْا بالنَّبْل ، وقالوا : لا تدخُلُها عَنوَةً أبداً . فصاح خالدٌ فى أصحابه وقاتَلهم ، فقتَل منهم أربعة وعشرين رجُلاً من قُرَيشٍ ، وأربعةً من هُذَيْل ، [وقيل : بَلْ قَتَل من المشركين ثلاثة عشر رجُلاً] ؛ وانْهَزموا أقْبح هزيمة . وقُتِل من المُسْلمين ثلاثةٌ

خبر راعش المعرك

وكان راعشٌ[4] ، أحدُ بنى صَاهلة الهُذَلِيّ ، [وقيل : حِماس[5] بن قيس بن خالد أحد بنى بكر] ، يُعِدُّ سلاحاً ، فقالت له امرأته : لِمَ تُعِدُّ ما أرَى ؟ قال :

---

(١) فى الأصل : « نفيد » . وبعد هذا فى الأصل : [وابنُ بُجَير بن عبد بن قصىّ] ، والصواب حذف واو العطف . وسيأتى بعدُ فى أخبار من أسلم ومن قتل يوم الفتح ، ص ٣٩٣

(٢) فى الأصل : « فهم »

(٣) فى الأصل بعد قوله « هو الأدرم » ما نصه : « وعبد الله بن عبد مناف بن أسعد ابن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهم » ، وهو تكرار من الناسخ

(٤) فى ابن هشام وابن كثير وغيرهما : « الرّعاش الهذلى »

(٥) فى الأصل : « خماس »

لمحمد وأصحابه ! فقالت لهُ : ما أرى أنَّه يقوم لمحمدٍ وأصحابه شيء ! فقال : والله إنى لأرْجُو أنْ أُخْدِمَكِ بَعْضَهُمْ ، ثم قال :

إنْ تُقْدِمُوا اليومَ فما بى عِلَّهْ هٰذَا سلاحٌ كامِلٌ وألَّهْ(١)
وذُو غِرَارَيْن سريعُ السَّلَّهْ

هزيمة المشركين

ثم شهد الخَنْدَمة مع صَفْوان وعِكْرمة وسهيْل ، فهزَمَهم خالدُ بن الوليد . فرَّ حِماسٌ(٢) منهزِمًا حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أَغلِقى علىَّ بابى ! فقالت : فأين ما كنْت تقول ؟ فقال :

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَه إذْ فرَّ صفْوَانُ وفرَّ عِكْرِمَهْ
وَاسْتَقْبلَتْنَا بالسيوفِ المُسْلِمَهْ يَقْطَعْنَ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إلَّا غَمْغَمَهْ لهمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وهَمْهَمَهْ
لم تَنْطِقِى فى اللَّوْم أَدْنَى كَلِمَهْ(٣)

الأمين

وَاتَّبعَهم المُسْلِمون ، وأبُو سفْيان بن حرب وحكيمُ بن حِزَام يصيحان : يامَعْشر قريش ! عَلَامَ تَقْتلون أنْفسكم ؟ مَن دخَل دارَه فهو آمِنٌ ، ومَن وَضَع السِّلاح فهو آمِن ! فاقتحم الناسُ الدورَ ، وأغلقوا عليهم الأبوابَ ، وطَرَحوا السِّلاح فى الطُّرُق ، فأخذَها المسلمون . ويرْوَى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقَدَ لأبى رُوَيْحة عبد الله بن عبد الرحمن — أحَدِ الفَزْعِ بن شَهْرَان بن عِفْرِس بن خلف بن أفْتَل [وهو خَثْعَم] — لواء وأمرَه أن ينادِىَ : مَن دخل تحت لِوَاء أبى رُوَيحة فهو آمن

(١) الألّة : الحربة العظيمة النَّصْل
(٢) فى الأصل : « خماس »
(٣) فى الأصل : « فى اليوم »

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر[١] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ثَنِيّةِ أَذَاخِر ، نظَر إلى البارِقةِ[٢] فقال : ما هذه البارِقة ؟ أَلَمْ أَنْهَ عن القِتَال ؟ فقيل : يارسول الله ، خالدُ بنُ الوليد قُوتِل ، ولو لم يُقَاتَلْ ما قَاتَل ! فقال : قَضَاء الله خيرٌ

ابن خَطَل

وأقْبل ابن خَطَلٍ من أعلَى مكة فى الحديد على فرسٍ بيَده قناةٌ ، و بناتُ سَعِيد بن العاص قد نَشَرْنَ رُؤُوسَهُنَّ ويَضْرِبْنَ بخُمُرِهِنَّ[٣] وُجُوهَ الخَيْل ، فقال لهن : أَمَا والله لا يَدْخُلُها محمّدٌ حتى تَرَيْنَ ضَرْبًا كأفْواه المَزَاد[٤] ! فلمّا أنْتَهى إلى الخَنْدمةَ ، ورأَى خَيْلَ المسلمين وقتالَهم ، دَخَلَهُ رُعْبٌ حتى ما يَسْتَمسِك من الرِّعْدَةِ ، فأنْتَهَى إلى الكَعْبة فنَزَلَ ، وطَرَحَ سِلَاحه ، ودَخَل بين أَسْتَارها . فأَخَذَ رجُلٌ من بنى كَعْب دِرْعَه ومِغْفَره و بَيْضَتَه وسَيْفَه وفَرَسه ، ولَحِق النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالحَجُون

دخول الزبير مكة

وأَقْبَل الزُّبَيْرُ بمن معه حتى أنتهى إلى الحَجُون ، فغَرَزَ به الرَّايةَ . ولم يُقْتَل من المسْلمين إلّا رجُلَان[٥] أخْطَآ الطَّريقَ ، هما : كُرْزُ بن جابرٍ الفِهْرِىّ ، وخالد الأَشْعَر الخُزَاعىّ

منزل رسول الله بمكة

ولمّا أَشْرَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أَذَاخِر فنَظَر بُيُوتَ مكة ، وَقَفَ فحمد الله وأَثْنَى عليه ، ونَظَر إلى مَوْضع قُبَّتِه فقال : هٰذَا مَنْزِلُنَا يا جابرُ ، حيث تقَاسَمَتْ علينا قُرَيْشٌ فى كُفْرِها ! وكان أبو رافعٍ قد ضَرَب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحَجُونِ قُبَّةً من أَدَمٍ ، فأَقْبل حتى أنتهى إلى القبَّة ، فى

(١) ظهر : ارتفع عليها وركبها

(٢) البارقة : بريقُ السلاح ولمعانُه ، والسيوفُ تسمى من أجل ذلك البارقة

(٣) الخُمُر جمع خِمار : هو ما تُغطّى به المرأةُ رأسها

(٤) المزاد جمع مَزَادة : وهى الظّرفُ الذى يحمل فيه الماءُ كالقربة . ويريد ضربا يتفجّر منه الدم كما يتفجر ماء المزاد إذا أُرْسِل فُوهُ

(٥) فى الأصل : « إلاّ رجلين »

يَوْم الجُمعة لعَشْر بقين من رَمَضان ، وقيل لثلاث عشرة مَضَتْ من رمضان[١] . فمضَى الزُّبَيْر بن العوّام برايته حتى رَكَزها عند قُبّة رسول الله . وكان معه أُمُّ سَلَمة ومَيْمونةُ رضى الله عنهما . وقيل : يا رسولَ الله ! أَلَا تَنْزِلُ منزلَك من الشِّعْبِ ؟ فقال : وهل ترَكَ لنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا ؟ وكان عَقِيلُ بن أبى طالب قد باع منزِلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومنْزِلَ إخْوَته ، والرِّجالُ والنِّساء بمكة . فقيل : يا رسولَ الله ! فانْزِلْ فى بعض بيوت مكة فى غير مَنَازِلك ! فقال : لا أَدْخُل البُيُوت . فلم يزل مُضْطَرِبًا[٢] بالحَجُونِ لم يَدخل بيتاً ، وكان يَأْتى المسجدَ من الحَجُون لكل صلاة

خبر إجارة أم هانئ عبد الله بن أبى ربيعة والحارث بن هشام

وكانت أُمُّ هانئٍ بنتُ أبى طالب تحت[٣] هُبَيرة بن أبى وَهْب المخْزُومى ، فدَخَل عليها حَمَوانِ لها — : عبدُ الله بن أبى رَبيعة عَمْرُو بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمَر[٤] بن مَخْزوم المخزومى ، والحارثُ بن هِشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر[٤] ابن مَخْزوم — يَستَجيران بها ، فأَجارَتْهُما . فدَخل عليها أَخُوها علىُّ بن أبى طالب يريد قَتْلَهما ، وقال : تُجيرين المشْركين ؟ فحالت دُونهما وقالت : واللهِ لتَبْدَأَنَّ بى قَبْلَهما ! فخرَجَ ولم يَكَدْ ، فأَغْلَقت عليهما بَيْتًا ، وذهَبَتْ إلى خِبَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبَطْحاء ، فشَكَتْ إلى فاطمةَ عليها السلام عَلِيًّا فلم تُشكِها[٥] ، وقالت لها : لِمَ تُجيرينَ المشرِكين ؟ وإذا برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عليه[٦]

(١) « وقيل لثلاث عشرة ... » ، هذه الجملة مكررة فى الأصل
(٢) مضطرباً : ضارباً قُبَّتَه
(٣) فى الأصل : « تحب »
(٤) فى الأصل : « عمرو »
(٥) شكا له فأشكاهُ : أى أخذ له منه ما يحبّ حتى يرضى
(٦) فى الأصل : « عليها »

رَهَجَةُ الغُبَار[1] ، فقال : مَرْحَباً بفَاخِتَةَ أُمِّ هانئٍ ! فقالت : ماذا لَقيتُ من ابن أُمِّى علىٍّ ! ما كِدْتُ أَنفَلِتُ منه ! أَجَرْتُ حَمَوَيْن لى من المشركين ، فتَفَلَّتَ عليهما ليَقْتُلَهما ! فقال : ما كان ذلك لَهُ ! قد أَمَّنَّا من أَمَّنْتِ ، وأَجَرْنا من أَجَرْتِ . ثم أمر فاطمةَ عليها السلام فسَكَبَتْ له ماء فاغتَسَل ، وصلَّى ثمانى ركعاتٍ فى ثَوْبٍ واحد مُلْتَحِفاً به ، وذلك ضُحًى . وَرَجعتْ أُمُّ هانئٍ فأَخبرتهما ، فأقاما عندها يَوْمين ثم مَضَيا . وأَتَى آتٍ فقال : يا رسولَ الله ! الحارثُ بن هِشام وابنُ أبى رَبيعة جالسان فى نادِيهما فى المُلاءِ المزَعْفر[2] ! فقال : لا سبيل إليهما ! قد أَمَّنَّاهما

تجهّز رسول الله للطواف بالبيت

ومكَث صلى الله عليه وسلم فى منزله ساعةً من نهارٍ ، واغتَسَل وضَفَرَ رأْسَه ضَفَائر أَرْبع ، [وقيل : بل اغتَسَل فى بيت أُمِّ هانئٍ بمكة] ، وصَلَّى ثمانى ركعاتٍ ، وذلك ضُحًى . وذلك فى الصَّحيحين ، وزادَ أبو داود : سَلَّمَ من كلِّ ركْعتَين . ثم لَبِسَ السِّلَاحَ ومِغْفَرًا من حَدِيدٍ ، وقد صَفَّ له الناسُ ، فرَكِبَ القَصْوَاء ، ومَرَّ وأبو بكر رضى الله عنه إلى جَنْبه يُحَادِثُه ، وعبدُ الله بن أُمِّ مكْتُوم بين يديه من بين الصَّفَا والمَرْوَة وهو يقول :

يا حَبَّذَا مكةُ من وَادِى [أرضٌ] بها أهْلِى وعُوَّادِى[3]

[أرضٌ] بها أَمْشِى بلا هادِى [أرضٌ] بها تَرْسَخُ أَوْتَادِى[4]

طوافُه

حتى انتهى إلى الكَعْبَة . فتقدّم عَلَى راحلتِه فاستَلم الرُّكن بِمِحْجَنِه وكبَّرَ ،

(١) رهجة الغبار : آثارُ الغبار

(٢) الملاء جمع ملاءة : وهى ثوب يُشتَمل به . ومُزَعفَر : مصبوغ بالمُصفر فهو أصفرُ

(٣) ما بين الأقواس زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ١٠٢

(٤) فى الأصل : « ترنخ »

فكبَّرَ المسلمون لتكْبيره حتى ارتجَّتْ مكةُ تكْبيراً. فأشارَ إليهم : أَنِ اسْكُتُوا ! والمشركون فَوْق الجبال يَنْظُرون . ثم طافَ، ومحمد بن مَسْلَمَة [1] آخذٌ بزمامها ، وحولَ الكَعْبة ثلاثمائة وستُّون صنماً مرصّصةٌ بالرَّصاص — وهُبَلُ أعظمها وهو وِجاهَ الكَعْبة على بابها ، وإسافٌ ونائلةُ حَيْثُ يَنْحَرون ويَذْبَحون — ، فجعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كلَّما مرَّ بصنمٍ منها يُشير بقضيبٍ فى يَدِه ويَقُول : « جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً » . فيَقَعُ الصنمُ لوَجهِه . فطاف سَبْعاً يَسْتَلِم الركن بمِحْجَنِه فى كلِّ طوافٍ . فعَطِش [صلى الله عليه وسلم] [2] — وكان يوماً صائفاً — فاسْتَسْقى [3] ، فأُتِيَ بقَدَحٍ من شرابِ زَبيبٍ ، فلمَّا أَدْناه من فِيهِ وَجَد له ريحاً شديدةً فرَدَّه ، ودَعا بماءٍ من زَمْزَم فصبَّهُ عليه حتى فَاضَ من جَوَانِبه ؛ وشرِب منه ، ثم نَاوَله الذى عَنْ يمينه . فلمَّا فَرَغ من سُبْعِه [4] نَزَل عن رَاحلَته ، وجاء مَعْمَرَ بن عبد الله بن نَضْلة فأَخرج راحلتَه . وانتَهى رسولُ الله إلى المقَام — وهو يَوْمَئِذٍ لاصقٌ بالكَعبة ، والدِّرع والمِغْفَرُ عليه ، وعمامةٌ لها طَرَفٌ بين كَتِفَيْه — فصلَّى ركعتين ، ثم انْصرَف إلى زَمْزَم فاطَّلع فيها وقال : لَوْلا أنْ يُغْلَبَ بَنُو عبد المطَّلب لنَزَعْتُ منها دَلْوًا ! فنَزَع له العبّاس بن عبد المطلب دَلْوًا فشَرِب منه . ويقال : الذى نَزَع الدَّلْوَ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب . ولم يَسْعَ بين الصفا والمرْوَة لأنَّه لم يكن يومئذ مُعتَمِرًا

الأصنام التى حول الكعبة

وأُمِر بهُبَل فكُسِّر وهو واقفٌ عليه ، فقال الزُّبير بن العوّام لأبى سفيان

كسر هُبَل

(١) فى الأصل : « سلمة »

(٢) ما بين القوسين كان فى الأصل بعد قوله : « صائفا » ، وهذا موضعه

(٣) استسق : طلب أن يُسقَى

(٤) السُّبْعُ والأسبوع : طوافُ المعتمر والحاجّ بالكعبة سَبْعَة أشواط

ابن حَرْب : يا أبا سُفْيان ! قد كُسِرَ هُبَل ! أَمَا إنَّكَ قد كنت منه يوم أُحُدٍ فى غُرُور ، حين تَزْعُمُ أنَّه قد أَنْعَمَ ! فقال : دَعْ هٰـذَا عنك يا ابنَ العَوَّام ، فقَدْ أُرَى لوْ كان مع إلٰه محمّدٍ غيرُه لَـ نَ غيرُ ما كان

خبر زَمْزم

ثم أنْصَرَف رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فجلَسَ ناحيةً من[1] المسجد والنّاسُ حولَه ، فأُتِى بدَلْوٍ من زَمزم فغَسَل منها وَجهَه ، فما يَقع منه قَطْرَةٌ إلَّا فى يَدِ إنْسَان : إنْ كانت قَدْرَ ما يَحْسُوها حَسَاها ، و إلا تَمَسَّح بها . والمشركون يَنظُرون ، فقالوا : ما رأينا مَلِكاً قَطُّ أَعظَمَ من اليَوْم ، ولا قَوْمًا أَحْمَق من القَوم يَتَّصِلُ به !

إسلام قريش والبيعة

وجاءتْه قُرَيش فأَسـلموا طَوْعاً وكَرْهاً ، وقالوا : يا رسولَ الله ! أَصنَعْ بنا صُنْع أخٍ كَرِيم . فقال : أنتُمُ الطُّلَقاء ! وقال : مَثَلِى ومَثَلكم كما قال يُوسُفُ لإخوَتِه : « لَا تَثْرِيبَ علَيـكُمُ اليَوْمَ يَغفِرُ الله لـكُمْ وهُوَ أرحَمُ الرَّاحمين » . ثم اُجتَمعوا لمُبَايعته ؛ فجلَس عَلَى الصَّفَا ، وجلس عمر بن الخطَّاب أسفَلَ مجلِسِهِ يأخُذُ عَلَى النّاس ، فبايَعُوا عَلَى السَّمْعِ والطَّاعة لله ولرسوله فيما استَطَاعوا ، فقال :

غسل الكعبة

لَا هِجْرَةَ بعد الفَتْح . وتجرَّد الرجال من[2] الأُزُر ، ثم أخَذُوا الدَّلْوَ فغَسَـلوا ظَهْرَ الـكعبَة وبَطْنها حتى انبعَجَ[3] الوادى من المـاء ، فلم يَدَعُوا فيه صورةً ولا أثراً من آثار المشركين إلَّا مَحَوْه . وكان صلَّى الله عليه وسلم لمَّا جلَسَ ناحيـةً من المسجد ، تَوَضَّأَ بسَجْلٍ[4] من زَمزَم قريباً من المَقَام ، والمسلمون يُبَادرون

(١) فى الأصل : « من من » مكررة

(٢) فى الأصل : « فى »

(٣) فى الأصل : « إن بعج » . وانبَعَج : اتّسع فيه المـاء وانفرج

(٤) السجل : الدلو الضخمة

وَضوءه يَصُبُّونه على وُجُوههم ، والمشركون يَتعجَّبون ويقولون : ما رأينا مَلِكاً قطُّ بَلَغَ هذا ولا شبيهاً به !

مفتاح الكعبة

ثم أرْسَل بلالاً إلى عُثْمان بن طَلْحَة ليأتِيَه بمِفْتاح الكَعْبَةِ فمَنعتْه أُمُّه ، حتى جاء أبُو بَكْر وعمرُ رضى الله عنهما ، فدَفعَتْه إلى ابنها فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تَنَاوَلَهُ قالى العباس : يا رسول الله ! أجمَعْ لنا بين السقَايةِ والحِجَابةِ[1] . فقال عليه السلام : أُعْطِيكم ما تُرْزَأُون فيه ولا أُعطيكم ما تَرْزَأُون به[2] . وقيل : بَلْ جاء عُثْمان بنُ طلحة بالمِفتاح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بَلَغَ رأس الثَنِيَّة . وقيل : بَعَثَ صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه من البَطْحاء — ومعه عُثْمان بن طلحة — ليَفْتَحَ البَيْتَ ، ولا يَدَعَ صورةً إلاَّ مَحَاها ، [ولا تِمْثالا][3] ، فتركَ عمر صورةَ إبْراهيم عليه السلام حَتى مَحَاها عليه السلام . ودخَلَ صلى الله عليه وسلم الكَعْبَةَ — ومعه أُسامة بن زَيْد وبِلالٌ وعُثْمان بن طَلْحَة — فمكَث فيها وصلّى ركْعَتين ، ثمَّ خَرَجَ والمفتاحُ فى يَدِه . ووقف على البَاب خالدُ بن الوليد يَذُبُّ الناسَ عَنْه حتى خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف على باب البيت وأخَذَ بعِضَادَتَيْه[4] ، وأشْرَفَ على الناس وفى يَدِه المِفتاح ، ثم جَعله فى كُمِّه ، وقال — وقد جَلَس الناسُ — :

محو الصور

دخوله الكعبة

(١) السقايةُ : سقاية الحاجِّ ، وذلك سقيهم الشراب ، وكانت قريش تسقى الحاجّ من الزبيب المنبوذ فى الماءِ . وكان العباس بن عبد المطلب يلى سقاية الحاج فى الجاهلية والإسلام . والحجابة : حجابة الكعبة ، وهى السِّدَانة أيضاً : وهى تولّى حِفْظها ، وفى أيدى أصحابها تكون مفاتيح الكعبة . وقد قال رسول الله : « كلّ مأثُرَة من مآثر الجاهلية تحت قدَمَىَّ ، إلا سقايةَ الحاجّ وسِدَانة البيت »

(٢) رُزِئَ : أصيب فى ماله . ورَزَأه : أصاب منه خيراً ما كان . يقول رسول الله : أعطيكم ما يصيبُ الناسُ به من خير أموالكم ، ولا أعطيكم ما تصيبون به من خير الناس

(٣) هذه زيادة فى الخبر من الأصل ، وإجماع الرواية على أنه أمر عمر أن يمحو الصُّوَر . وأما خبر كسر التماثيل ففيه أقوال كثيرة ليس هذا موضع بيانها

(٤) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله

خطبة رسول الله على باب البيت

الحمدُ لله الذى صَدَق وعْدَه ، ونَصرَ عَبْدَه ، وهَزَمَ الأَحْزَاب وَحْدَه : [يا مَعشَرَ قُرَيش][1] : مَاذا تَقُولون ؟ وماذا تَظُنُّون ؟ قالوا : نَقُول خيراً ونَظُنُّ خيراً ، أخٌ كَرِيمٌ وابْنُ أخٍ كَرِيم ، وقَدْ قَدَرْتَ . فقال : فإنِّى أقول كما قال أخى يُوسف : « لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ »

ألاَ إن كُلَّ رِباً فى الجَاهِلية ، أو دَمٍ ، أومالٍ ، أوْ مَأْثُرَةٍ فهوَ تحتَ قَدَمىَّ هاتَيْنِ إلاّ سِدَانةَ البيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ . ألاَ وَفِى قَتِيل العَصَا والسَّوْط الخطأُ شِبْهُ العمد ، الدِّيةُ مُغَلَّظَةً مائةُ ناقةٍ ، منها أربعون فى بُطُونِها أولادُها

إنَّ الله قد أذْهَب نَخْوَةَ الجاهِليّة وتَكَبُّرَها بآبائها ، كلُّكم لآدَمَ وآدمُ من تراب ، وأكْرَمُكُمْ عندَ الله أتْقاكُمْ . ألَا إنَّ الله حَرَّم مكةَ يومَ خلَق السَّمٰوات والأَرضَ ، فهى حَرامٌ بحَرام الله ، لم تُحَلَّ لأحدٍ كان قَبلى ، ولا تَحِلُّ لأَحدٍ كائنٍ بعدى ، ولم تُحَلَّ لى إلَّا ساعةً من النهار . ألا لا يُنَفَّرُ صَيْدُها ، ولا يُعضَدُ عِضاهُها[2] ، ولا تَحِلُّ لُقطَتُها إلّا لمُنْشِدٍ[3] ، ولا يُخْتَلى خَلاها[4] . فقال العبَّاس : إلّا الإذْخِرَ يا رسولَ الله ، فإنَّه لا بُدَّ منه للقُبورِ وظُهورِ البُيوت ! فسكتَ ساعةً ثم قال : إلّا الإذْخِرَ فإنَّه حلالٌ

ولاَ وصيَّةَ لوارِثٍ . وأنَّ الوَلَدَ للفِرَاش وللعاهِرِ الحَجَرُ . ولا يَحِلُّ لامْرَأةٍ تُعْطِى من مَالِها إلا بإذْن زَوْجِها . والمُسلِمُ أخُو المُسلم ، وَالمسلمون إخْوةٌ . والمُسلِمون يدٌ واحدةٌ على مَنْ سِواهُم ، يَتَكافَؤُنَ دِمَاءُهُمْ ، يرُدُّ عليهم

(١) زيادة لازمة للبيان

(٢) العضاه : شجر عظام له شوك ، وهو ضروب كثيرة . ويعضَدُ : يُقطَعُ

(٣) اللُّقطة : الشىءُ تراه ملقى فتأخذه . والمنْشِد : المعرِّف الذى يعرِّف الضالة واللَّقْطَة

(٤) الخلا : الحشيش من بقول الربيع ما دام رطبا . واختلى : قَطَع أو نزع

أَقْصَاهُم ، ويَعْقِدْ عليهم أَدْناهم ، ومُشِدُّهُمْ على مُضْعِفِهم[١] ، ومُسيِّرُهم[٢] على قَاعِدهم . ولاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكافرٍ ، ولا ذُو عَهْدٍ فى عَهْدِه . ولا يتوارَثُ أهلُ مِلتَيْن مُخْتَلِفَتَيْن . ولا جَلَبَ ولا جَنَبَ[٣] . ولا تُؤْخَذُ صدقاتُ المسلمين إلاّ فى بُيوتهم وبِأَفْنِيَتِهم . ولا تُنْكَح المرأةُ على عَمَّتها وخَالَتِها . والبَيِّنَةُ عَلَى من ادَّعى ، واليمينُ على من أَنْكَر . ولا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ مسيرةَ ثَلاثٍ إلا مَع ذِى مَحْرَم . ولا صلاةَ بعد العَصْر وبَعد الصُّبْح . وأَنْهاكُم عن صِيامِ يَوْمين : يومِ الأَضْحَى ويومِ الفِطْر ، وعَنْ لِبْستَين : لا يَحْتَبِ أَحَدُكم فى ثوبٍ واحدٍ يُفْضِى بعَوْرَتِه إلى السَّماء ، ولا يَشْتَمِل الصَّمَّاءَ[٤] ؛ ولا إِخَالُكُم إلاَّ وقَدْ عَرَفْتُمُوهَا

ردّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزلَ ومعه المِفْتاحُ ، فتَنَحَّى ناحيةً من المسجد فَجَلَس فقال : ادْعُوا إِلَىَّ عُثْمان بن طَلْحَةَ ، فدُعِىَ . وكانَ صلّى الله عليه وسلم قال له يوما بمكّةَ ، وهو يَدْعوه

(١) المُشِدّ : الذى دوابّه شديدة قوية . والمضعف : الذى دوابّه ضعيفة . يريد أن القوىّ من الغُزاة يُساهِم الضعيف فيما يكسبُه من الغنيمة

(٢) فى الأصل : « متسيرهم » . والمسيّر : الذى أخرجَ من بلده للغزو ، والقاعد : الذى لم يخرجْ له

(٣) الجَلَبُ : أن يتخلّف الفرسُ فى السّباق ، فيحرّكَ وراءه الشىء يستحثّ فيسبقُ . والجنبُ : أن يُجْنَبَ مع الفرس الذى يسابقُ فرس آخر عُرْى ، فيرسَل ، حتى إذا دَنا تحوّل راكبُه على الفرس المجنوب فأخذ السَّبَق . هذا تفسيره فى السباق ، وثمّة تفسير آخرُ لهذين الحرفين فى أمر الزكاة . وذلك أن الجلب : أن يقدم المصدّق على أهل الزكاة ، فينزل موضعاً ، ثم يرسل إليهم من يَجلبُ إليه الأموال من أماكنها ليأخُذَ صدقاتها ، فنُهى عن ذلك ، وأُمِر أن يأخُذَ صدقاتهم من أماكنهم وعلى مياههم وبأفنيتهم . والجنب : أن ينزل العامل المصدّق بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ، ثم يأمُر بالأموال أن تُجنَبَ إليه أى تُحضَر ، فنهوا عن ذلك . أو أن يُجنِبَ رب المال بماله (أى يبعدهُ عن موضعه) ، حتى يحتاج العاملُ إلى الإبعاد فى اتّباعه وطلبه

(٤) الاحتباء : أن يَضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظَهْره ، ويشدّه عليها ، فهو جالس كأنه مستند . واشتمل : تغطّى بشملة ، واشتَمَل الصماء : أن يردّ الكساءَ من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن ، ويغطيهما جميعاً ، فكذلك يسدّ على يديه ورجليه المنافذ كلها ، كأنها لا تصل إلى شىء ولا يَصلُ إليها شىء ، كالصخرة الصماء التى ليس فيها خَرْق ولا صدْع

إلى الإسْلام ، ومع عُثمان المِفْتاحُ ، فقال : لعلَّك سَتَرى هَذَا المِفْتاحَ يوماً بيَدِى أَضَعُه حيثُ شِئْتُ ! فقال له عُثْمان : لقد هَلَكَتْ إذَنْ قُرَيْشٌ وذَلَّت ! فقال صلى الله عليه وسلم : بل عَمِرَت وعَزَّت يَوْمئِذٍ[1] ! فأَقْبل عثمانُ ، فقال عليه السلام : خُذُوهَا يا بَنِى أَبى طَلْحة تَالِدةً خالدةً[2] ، ولا يَنْزِعُها منكم إلاّ ظالِمٌ ! يا عُثْمان ! إن الله استَأْمَنَكُمْ على بَيْتِه ، فكُلُوا بالمعروف . فلما وَلَّى عُثْمان نادَاه عليه السلام فرجَع إليه ، فقال له : أَلم يَكُنِ الَّذِى قُلْتُ لَكَ ؟ فذكر عثمان قَوْلَه لَهُ بمكة ، فقال : بَلَى ! أشهد أنَّك رسولُ الله . فقال : قُمْ عَلَى البَابِ ، وكُلْ بالمَعْرُوفِ . وَدفَع عليه السلام السِّقَايَةَ إلى العبَّاس رضى الله عنه

معاتبة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالدِ بن الوَليد رضى الله عنه : لِمَ قاتلتَ وقد نُهِيتَ عن القِتَال ؟ فقال : هُمْ يا رسولَ الله بَدأُونا بالقِتَال ، ورَشَقُونا بالنَّبْل ، ووضَعُوا فينا السِّلاَح ، وقد كَفَفْتُ ما اسْتطعتُ ، وَدَعَوْتُهم إلى الإسْلام وأَنْ يدخُلوا فيما دَخَل فيه النَّاسُ فأَبَوْا ، حتَّى إذا لم أجِدْ بُدًّا قاتَلْتُهم ، فظَفَّرنا الله عليهم وهَرَبوا فى كلِّ وَجْهٍ يا رسولَ الله ! فقال : فكُفَّ عَنِ الطَّلَبِ . قال : قَدْ فَعَلْتُ يا رسولَ الله . قال : قَضاء الله خيرٌ

النهى عن القتال إلا خزاعة عن بنى بكر

ثم قال : يا مَعَاشِرَ المُسلمين ! كُفُّوا السلاحَ ، إلاَّ خُزَاعةَ عن بنى بَكْرٍ إلى صلاة العَصْر . فخَبَطُوهم ساعةً ، وهى السَّاعة التى أُحِلَّتْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَمْ تُحَلَّ لأحدٍ قَبْله . وقيل : خَبَطُوهم إلى نِصْفِ النَّهار . وكان صلى الله عليه وسلم نَهَى أنْ يُقْتَل من خُزاعةَ أحدٌ . و بعث تَمِيمَ بن أَسَدٍ الخُزاعِىَّ فَجَدَّد أَنصاب الحَرَم . ودخل جُنَيْدِب بن الأدْلع [الهذلىّ][3] مكةَ يرْتادُ ويَنظُر

تجديد أنصاب الحرم

(١) عَمِرَ الرجل يعمر عَمَراً : عاش وبقى زماناً طويلا
(٢) تالدة : قديمة أصلية يتوارثونها عن آبائهم
(٣) زيادة للبيان

— والناس آمِنُون — فرآهُ جُنْدُب بن الأعجم[١] الأسلمىّ ، فقال : جُنَيدِبُ ابن الأدْلع ! قاتِلُ أحمرَ ؟[٢] فقال : نعم ! فخرَج جُنْدُبُ [بن الأعجم][٣] يستجِيشُ عليه[٤] حَيَّه ، فَلَقِىَ خِراشَ بن أُمية الكعْبىَّ فأخْبره . فاشتَمل خِراشٌ على السيفِ ثم أقبل إليه — والناسُ حوله وهو يُحدِّثهم — فحمل عليه فقتَله .

ويقال إنه قتله بالمُزْدَلِفَة

خطبته لما كثر القتل بين خزاعة وبنى بكر

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه ، قام خطيباً — الغَدَ من يوْم الفَتح بعد الظُّهر — فقال : أيها الناسُ ! إن الله حرَّمَ مكةَ يومَ خَلَق السمواتِ والأرضَ ، ويومَ خَلَق الشمسَ والقمرَ ووضع هذيْن الجَبَلين ، فهى حرامٌ إلى يومِ القِيامة . لا يَحِلُّ لِمُؤْمنٍ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِر أن يَسْفِكَ فيها دَمًا ، ولا يَعْضِدَ فيها شجراً . لم تُحَلَّ لأحدٍ كان قَبْلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ [يكونُ][٥] بعدى ، ولمْ تُحَلَّ لى إلا ساعةً من نهارٍ ، ثم رجعتْ حُرْمَتَها بالأمسِ ، فَلْيُبَلِّغْ شاهدُكم غائبَكم . فإن قالَ قائل : قد قاتَلَ فيها رسولُ الله ! فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لِرَسولِه ولم يُحِلَّها لكم ! يا معشر خُزاعة ! أرْفعوا أيديكم عن القَتلِ ، فقدْ واللهِ

(١) فى الأصل : « الأعجر »

(٢) فى الأصل : « فقال : جنيدب بن أحمر ، قاتل أحمر باسا » . وهذا نصّ فاسد ، وقد اعتمدنا فى تصحيحه على سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٢٢ . وقوله : « قاتل أحمر بأسا » تخليط ، فإن خبر ابن هشام عن رجُل من أسلم قال : « كان مَعَنَا رجُل يقال له أحمَرُ بَأساً ، وكان شجاعا ، وكان إذا نام غَطّ غطيطاً منكراً لا يَخفَى مكانه . . . . فإذا بُيِّتَ الحىّ صَرَخوا : يا أحمرُ ! ! فيثورُ مثلَ الأسدِ لا يقومُ لسبيله شىء » . فقوله : « أحمر بأساً » ، ليس اسمه مركباً كما توهم المقريزى ، وإنما المراد أنه سُمّى (أحمر) لبأسه . والعرب تصف الشديد القوى الذى لا يقوم له شىء فتقول مثلا : مَوْت أحمر ، لما فيه من المشقة والشدة ، وسَنَة حمراء : شديدة ، قد أجدبتْ

(٣) فى الأصل : « جنيدب » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وزدنا ما بين القوسين للإيضاح والبيان

(٤) استجاش قومه : أى أثارهم وجمّعهم ، وطلب أن يؤلّفهم جيشاً

(٥) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٨٢٤

كَثُرَ إن نَفَعَ[١] . وَقد قَتلتُمْ هذا القتيل ، وَالله لأُدِيَنَّه ! فمنْ قُتِل بعد مَقَامى هذا فأَهْلُه بالخِيار : إن شاءوا فَدَمُ قَتِيلِهم ، وَإن شاءوا فعَقْلُه[٢] . وَيُرْوَى أنه قام خطيباً فقال : إن أَعْدَى الناسِ على الله[٣] : من قَتَل فى الحَرَم ، ومن قتل غير قاتلِهِ ، ومن قتل بذُحُولِ الجاهلية[٤] . ويقال : إنَّ قَتْل خِراشٍ لجُنَيدِب كان بعد ما نَهَى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن القَتل ، وإنه عليه السلام قال : لو كُنْتُ قاتلاً مُؤْمِناً بكافرٍ لقتلت خراشاً بالهُذَلِىّ . ثم أمَر خزاعة يُخرِجونَ دِيَتَه ، فأخرجوها مائةً من الإبِل ، فكان أوَّل قَتيلٍ وَداهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام

أذان بلال على ظهر الكعبة ، ومقالة قريش

وجاءت الظُّهْر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالًا أن يُؤَذِّنَ فوْق ظهرِ الكعبة . وكانت قُرَيْشٌ فوق رؤوسِ الجبالِ ، وقد فرَّ وُجوههم وتغَيَّبُوا خوفاً أن يُقتَلوا . فلمَّا أذَّنَ بلالٌ ورَفع صوتَه كأشدِّ ما يكونُ وقال : أشهَدُ أن محمداً رسولُ الله — قالت جُوَيْرِية بنت أبى جَهل : قَدْ لَعَمرِى رَفَعَ لَكَ ذِكْرَك ! أمَّا الصلاةُ فسَنُصَلى ، والله لا نُحِبُّ من قَتَل الأحبَّة أبداً ، ولقد كان جاء أبى الذى جاء محمداً من النُّبُوَّة فردَّها ، وكرِه خِلافَ قَوْمه . وقال خالدُ بن الأسِيد : الحمدُ لله الذى أكْرَم أبى فلم يَسْمَع هٰذا اليوْم ! وقال الحارثُ بن هِشام : واثُكلاه ! ليتَنى مِتُّ قَبْل هٰذا اليوْم ! قبل أن أسمَع بلالا يَنهَقُ فوْق الكعبة ! وقال الحَكَم بن أبى العاص : هذا والله الحَدَث العظيم ، أَنْ يَصِيحَ عَبْد بنى جُمَح على بَنِيَّةِ أبى طَلحة[٥] ! وقال سهيل بن عمرو : إنْ كان هذا سَخَطاً لله فسَيُغَيِّرُه ،

(١) فى الأصل : « كبر أن يقع »
(٢) فى الأصل : « فغفله » ، والعَقْل : دية القتيل
(٣) أعدى الناس : أجرأهم وأكثر تعدياً لحدود الله
(٤) الذّحول جمع ذَحل : وهو الثأرُ والعداوةُ
(٥) البنيّة : البيت المبنى ، يريد الكعبة

وإن كان لله رضًى فسَيُقِرُّه . وقال أبو سُفيان بن حرْب : أمَّا أنَا فلا أقول شيئاً ، لو قلتُ شيئاً لأخبَرَتْه هذه الحَصباء[1] ! فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرَه خبرَهم

أمية بن أبى عبيدة

وأتاه يَعْلَى بن مُنْيَة بأبيه[2] فقال : يا رسولَ الله ، بايعْ أبى على الهِجْرة . فقال : لا ! بلْ أُبايعُه على الجهاد ، فقَدِ انْقَضَت الهجرةُ

سهيل بن عمرو

وكان سُهَيْل بن عمرو أَغلقَ عليه [بابَه][3] ، وبعث إلى ابنه عبد الله بن سُهَيْل أن يأخذَ له أماناً ، فأمَّنَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : مَنْ لقِيَ سهَيل بن عمرو فلا يُشِدَّ النَّظرَ إليه[4] ! فلَعَمْرِى إن سُهَيلًا له عَقْل وشَرَفٌ ، وما مثلُ سهيلٍ جَهِل الإسلام ، ولقد رأى ما كانَ يُوضِعُ فيه[5] أنَّه لم يكن له بنافعٍ . فخرجَ عبد الله إلى أبيه فأَخبرَه ، فقال سُهَيْل : كان والله بَرًّا صغيراً وكبيراً ! فخرج وشهِدَ حُنَيْناً ، وأَسْلم بالجِعِرَّانَة

هبيرة بن أبى وهب وابن الزّبعرى

وهرَب هُبَيْرة بن أبى وَهْب زوج أمِّ هانئ بنت أبى طالب — هو وعبدُ الله ابن الزِّبَعْرَى بن قَيْس بن عَدِىّ بن سعد بن سَهْمٍ القرشىُّ السَّهْمِى — إلى نَجْران . فبعَثَ حَسان بن ثابتٍ بشعر إلى ابن الزِّبَعْرَى فجاء . ولما نظَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليْهِ قال : هٰذا ابن الزِّبَعْرَى ومعه وجْهٌ فيه نورُ الإسلام ! فأسلمَ . وماتَ هُبَيرةُ بنَجْران مشرِكاً

(١) الحصباءُ : الحصا الصغارُ

(٢) أبوه هو : « أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث التميمى الحنظلى ، حليف قريش » . وأما « مُنْيَةُ » التى يُنسَب إليها فهى : « منية بنت الحارث بن جابر » ، قيل : هى أمه ، وقيل : أم أبيه أميّة ، وأمّ العوّام والد الزبير بن العوّام أيضا

(٣) زيادة للبيان

(٤) أشدَّ النظر إليه : أحدَّهُ وشدد فيه

(٥) أوْضَع فى الأمر : اجتهد فيه واشتدَّ وأسرع فى إنفاذه ، وأصله من الوَضْع : هو سير الإبل والدواب سيراً ليس بالشديد

حويطب بن عبد العزى

وهرَبَ حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى بن أبى القيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤَى القرشىُّ العامرىُّ ، فأمَّنَه أبو ذَرٍّ رضى الله عنه ، ومشَى معه ، وجمَع بَيْنه و بين عِياله

إسلام نساء من قريش

وأَسلَمتْ هِندُ بنت عُتبة ، وأمُّ حكيم بنتُ الحارث بن هشام : امرأةُ عِكْرِمة ابن أبى جَهْل ، والبَغُوم بنت المُعَذَّل[1] : امرأةُ صَفوان بن أُمَيّة ، وفاطمة بنتُ الوَليد بن المُغيرة ، وهندُ بنت مُنَبِّه بن الحجَّاج : أمُّ عبدِ الله بن عمْرو بن العاص فى عَشر نِسْوَةٍ من قُرَيش . فأتَين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأَبْطَح — وعنده زَوْجَتاه وفاطمةُ ابنتُه ، فى نساء من نساء بنى عبد المطَّلب ، فبايعْنَه ، ولم تمَسَّ يدُه يدَ امرأةٍ . وقيل : وَضَع على يده ثوبا ثم مَسَحْن على يده . وقيل : أَدْخَل يده فى قَدَحٍ فيه ماء ، ثم دَفعه إليْهِنَّ فأدخَلْنَ أيْدِيَهُنَّ فيه . وقيل : بل كانت بَيعة النساء عُقَيْب بَيعة الرِّجال عند الصفا . ورُؤِيَتْ[2] فيهنَّ هِند وهى مُتَنَكِّرَةٌ لأجْل صنيعها بحَمْزَة — وكان زوجُها أبو سفيان حاضراً — فعرَفَها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنَّكِ لهِنْدُ ! فقالت : أنا هِند ، فاعْفُ عمَّا سَلَفَ . فبايعَهُنَّ عُمَر رضى الله عنه ، واستغفرَ لهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

إسلام عكرمة بن أبى جهل

وطلبتْ أمُّ حكيم أماناً لِعِكْرِمةَ وَقد هربَ إلى اليمن ، فأمَّنَه . فخَرَجتْ إليه حتى قَدِم . فلما دَنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأْتيكمُ عِكرِمةُ بنُ أبى جَهْلٍ مؤمناً مُهاجِراً ، فلا تَسبُّوا أباهُ ، فإنَّ سَبَّ الميِّتِ يُؤْذِى الحىَّ ولا يَبْلُغُ إليه ! فلما رآه وَثَبَ إليه فَرَحا ، فوقَفَ — ومعه امرأته مُنْتَقِبَةٌ — فقال : يا محمَّد ، إنّ هٰذه أخبرَتْنى أنك أَمَّنْتَنى ! فقال : صَدَقَتْ ، فأنت آمنٌ ! فأسْلَم

(١) فى الأصل : « المعزل »
(٢) فى الأصل : « رأيت »

صفوان بن أبى أمية

وهرب صفوانُ بن أُمَيّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح القُرَشىُّ الجُمَحىُّ . فأخذ له عمير بن وَهْب بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافةَ أماناً ، وَخَرج فى أثرِه حتى رَجَع . وشهد هَوازن كافراً ، وأسلم بالجِعِرّانة

عبد الله بن سعد بن أبى سرح

وكان عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْحٍ ممن أَهْدَر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمَهُ يوم الفَتح ، فأتى به عُثمانُ بن عفّانٍ رضى الله عنه ، وسألهُ أن يَهَبَه له ، فوهب له جُرْمَه . وأسلَم

الحويرث بن نقيذ

وأهْدَر صلى الله عليه وسلم دَمَ الحُوَيرث بن نُقيذ[1] بن بُجَيْر بن عبد بن قُصَىّ ، فضرَب علىٌّ رضى الله عنه عُنُقَه ، وكان مؤذِياً لله ولرسوله

هبار بن الأسود

وأهْدَر دَمَ هَبّار بن الأسود بن المُطَّلِب بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىٍّ الأسدىِّ القرشىِّ ، فأسْلم

ابن خطل

وأخرج أبو بَرْزَةَ الأسْلَمِىُّ عبدَ الله بن خَطَل[2] — وهو مُتعلِّقٌ بأستار الكَعبة — فضرَب عُنُقَه بين الرُّكْن والمَقام . [ويقال قتله سَعيد بن حُرَيْثٍ المخزومىُّ . ويقال : عَمّار بن ياسِر . وقيل : نَضْلة[3] بن عَبد الله بن الحارث بن حِيَال بن رَبيعة[4] بن دِعْبِل بن أنس بن خُزَيمة بن حَديدة بن مازن بن الحارث[5] ابن سَلامان بن أَسْلم بن أَفْصَى بن حارِثة بن عَمْرو مُزَيْقِيَا[6] ويقال : شريك بن

(١) فى الأصل : « نقيد » ، وانظر ص (٣٧٨) ، والتعليق

(٢) انظر ص (٣٧٨) ، وقد اختلف فى اسمه فقيل : هلال بن خَطَل ، وقيل : عبد الله بن خَطَل

(٣) نضلةُ هذا هو أبو بَرْزة الأسلمى الذى أخرج ابن خطل وقتله كما ذكر قبل ، فهذا القول تكرار لا معنى له

(٤) فى الأصل : « ربيع » ، وانظر ابن سعد ج ٤ قسم ٢ ص ٣٤ ، و ج ٧ قسم ١ ص ٤ وقسم ٢ ص ١٠٠ . وفى بعض النسب اختلاف

(٥) فى الأصل : « الحرب »

(٦) نسب أبى برزة : نضلة بن عبد الله ، على سياقته هذه لم أجدْهُ

عَبْدَةَ العَجْلانيُّ[1] وأَثْبَتَهُ أبو بَرْزَة] . وفيه نزَلَتْ : « لا أُقْسِمُ بِهَـذَا البَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ » . وفى المستدرَكِ للحاكم ، عن السائب بن يَزيد قال : رأيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخْرَج عبد الله بن خَطَل من بَين أستار الكَعبة فقتله صَبْرًا[2] ، ثم قال : لا يُقْتَلُ أحدٌ من قريشٍ بَعد هذا صبْرًا

سارة وقُتِلت سارَة مولاةُ عَمْرو بن هشام[3] ، وهى التى حَمَلت كتابَ حاطِب ابن أبى بَلْتَعَةَ ، قَتَلَها علىٌّ رضى الله عنه . ويقال : غيرُه

أرنب وقُتِلت أرْنَب [أو قُرَيْبة] ، وأسلمت فَرْتَنَى

مقيس بن صبابة وقَتَل مِقْيَسَ بن صُبابة[4] نُمَيْلةُ بن عَبد الله اللَّيْثِيّ . وقيل : رآه المسلمون بين الصَّفا والمرْوَة فقتلوه بأسيافهم

مقالة أبى سفيان فى القتلى ولما قُتِلَ النَّفَر الذين أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتْلهم ، سُمِع النَّوْح عَليهم . وجاء أبو سفْيان بن حَرْب فقال : فِدَاكَ أبى وأُمِّى ! البَقِيَّةَ فى قَوْمِك[5] ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صبْرًا بعدَ اليوم ، [يعنى على كفر] . وفى رواية : لا تُغْزى قريشٌ بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة ، [يعنى على كفر]

الأمر بقتل وحشى وأَمَرَ عليه السلام بقتل وَحْشِيٍّ ، ففرَّ إلى الطائف حتى قَدِم فى وَفْدِهم فأَسْلم ، فقال له عليه السلام : غَيِّبْ عَنِّى وَجْهَك ! فكان إذا رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم تَوارى[6] عنه

(١) ويعرف باسم : « شريك بن سحماء » ، وسحماء أمه

(٢) قُتل صَبْراً : إذا قُتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، من الصَّبْر وهو الحبس ، فكأنه أمسك على الموت وحبس عليه

(٣) فى الأصل : « هاشم »

(٤) انظر ص (١٩٧)

(٥) البقية : الإبقاءُ على الشىء ، يريد : أبق عليهم ولا تستأصلهم بالقتل

(٦) فى الأصل : « تورى » . وتوارى : استتر منه

سلف رسول الله من بعض قريش

واسْتَسْلَفَ صلى الله عليه وسلم من عَبْد الله بن أبي رَبيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فردَّها عليه من غَنائم هَوَازن ، وقال : إنَّما جَزَاء السَّلَف الحَمْدُ والأَدَاء . وقال : بارَكَ الله لكَ فى مَالِكَ وَوَلَدِك ! واسْتَقْرَضَ من صَفْوان بن أُمَيَّة خمسين ألف درهم فأَقْرَضَه . واستَقْرَضَ من حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألفٍ قَسَمها بين أَهْل الضَّعْف ، فأصابَ الرَّجُلُ خمسين درهماً وأقلَّ وأكْثَر . وبَعَثَ من ذلك إلى بنى جَذِيمة

هدية الخمر

وأُهْدِى له يومئذ رَاوِيةُ خَمْرٍ فقال : إنَّ الله حَرَّمَها ! فسارَّ الرجلُ غُلامَه : اذْهَبْ بها إلى الحَزْوَرَة[1] فبِعْها . فقال : بِمَ أَمَرْتَه ؟ قال : ببَيْعِها ! فقال : إنَّ الذى حَرَّم شُرْبَها حَرَّم بَيْعَها ! ففُرِّغَتْ بالبَطْحاء . ونَهَى يومئذٍ عن ثَمَن الخمرِ ، وثَمَن الخِنْزِير ، وثَمن المَيْتَة ، وثمن الأصنَام ، وحُلْوانِ الكاهِن[2]

تحريم شحوم الميتة

وقيل له يومئذٍ : ما تَرَى فى شُحُوم المَيْتَة يُدْهَن بها السُّقَّاء ؟ فقال : قاتَلَ الله يَهُود ! حَرَّمَ عليهم الشُّحُومَ فباعُوها ، فأكلوا ثمنَها

وحَرَّمَ مُتْعَةَ النِّساء يومئذٍ

مكة

وقال يَوْمَئِذٍ : — وهو بالحَزْوَرَة[1] — : واللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أَرْض الله إلَىَّ ، ولولَا أنِّى أُخْرِجْتُ منك ما خَرَجْتُ[3]

العفو عن بعض أهل مكة

وهَبَط ثمانُونَ من أهلِ مكةَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من جَبَل التَّنْعيم عند صلاة الفَجْر ، فأَخَذَهم سَلْمًا[4] فعفا عنهم ، ونزل فيهم : « وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ

(١) الحزورة : سوق مكة ، ودخلت فى المسجد الحرام لما زيد فى بنائه

(٢) الحُلوانُ : ما يعطاه الكاهن من أجرة تجعل له على كهانته . والكاهنُ : هو الذى يتعاطى الخبر عما هو كائن فى مستقبل الزمان ، ويدعى معرفة الغيب والأسرار

(٣) فى الأصل : « أخرجت » . ولعلّ لفظ الحديث : « والله إنّك لأحبُّ ... »

(٤) سلم : أخذوا بغير حرب مستسلمين مذعنين منقادين

عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » (الفتح : ٢٤)[١]

حدّ شارب الخمر

وأُتِيَ بشارِبٍ فضربُوه بما فى أَيْدِيهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسَّوْط و بالنَّعْلِ و بالعَصَا ، وحَثَا عليه النبى صلى الله عليه وسلم التُّرَاب

إسلام جَبْر

وجاء جَبْر غُلام بنى عبد الدَّار — وقد كان يَكْتُمُ إسلامَه — فأعْطاه ثَمَنَه ، فاشْتَرَى نَفْسَه فعَتَق[٢]

نذر رجُل الصلاة فى بيت المقدس

وقال رجُلٌ يومئذ : إنّى نَذَرْتُ أن أُصَلِّيَ فى بَيْتِ المَقْدِس إنْ فَتَحَ الله عليكَ مكةَ ، فقال صلى الله عليه وسلم : والَّذِى نَفْسى بيَدِه ! لَصَلَاةٌ ها هُنا أَفْضَلُ من ألف صلاةٍ فيما سواهُ من البُلْدَان . وقالتْ ميمونةُ أمُّ المؤمنين رضى الله عنها : يا رسولَ الله ! إنّى جَعَلْتُ عَلَى نفسى — إنْ فَتَح الله عليكَ مكةَ — أَنْ أُصَلِّيَ فى بَيْتِ المَقْدِس ! فقال : لَا تَقْدِرِين على ذٰلك ، ولٰكنِ ابْعَثِي بزَيْتٍ يُسْتَصْبَحُ[٣] لكِ فيه به ، فكأنك أَتَيْتِه[٤] . وكانَتْ ميمونةُ تبعثُ إلى بَيْتِ المَقْدِس كلَّ سنةٍ بمالٍ لِيُشتَرَى به زيتٌ يُسْتَصْبَحُ به فى بيت المقدس ، حتى ماتَتْ فأوصتْ بذٰلك

نذر ميمونة أم المؤمنين

نساء قريش وجمالهن

وجلَس عبد الرَّحمٰن بن عَوْف رضى الله عنه فى مَجْلِسٍ فيه جماعةٌ — منهم سَعْدُ بن عُبادة رضى الله عنه — فمرَّتْ نِسْوَةٌ من قريشٍ فقال سعد : قد كان يُذْكَرُ لنا من نِسَاء قريشٍ حُسْنٌ وجمالٌ[٥] ، ما رأيْنَاهُنَّ كذلك ! فغَضِبَ عبد الرحمن بن عَوْف حتى كادَ أن يَقَع بسَعد وأغلظَ له[٦] ، ففرَّ منه سعدٌ حتى

(١) فى الأصل : إلى قوله تعالى « أظفركم عليهم »
(٢) عَتَقَ العبدُ : خرجَ من الرقّ إلى الحرية ، وأعتقه غيرهُ : جعله كذلك
(٣) استصبح به : استسرج ، أى أشعل به السراج
(٤) فى الأصل : « أتيته »
(٥) فى الأصل : « حسناً وجمالا »
(٦) فى الأصل : « وأغلظ »

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ماذا لَقِيتُ من عبد الرَّحمن ؟ فقال : وما لَهُ ؟ فأخبره بما كان ، فغضِبَ صلى الله عليه وسلم حتى كان وجهُه لَيتوَقَّدُ[1] ، ثم قال : رأيتهُنَّ وقد أُصِبْنَ بآبائهنَّ وأبنائهنَّ وإخْوَتِهِنَّ وأزْوَاجِهِنَّ! خيرُ نِساء رَكِبْنَ الإبِل نساء قُرَيْشٍ ! أَحْنَاهُ على وَلَدٍ ، وأبْذَلُه لزَوْجٍ بما مَلَكتْ يَدٌ

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأَهْدتْ هِنْد بنت عُتْبة بعد إسلامها هديَّةً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وهو بالأبْطَحِ — مع مولاةٍ لها ، جَدْيَيْنِ مَرْضُوفَيْنِ وقَدٍّ[2] . فانتهتِ الجارية إلى خَيْمَته ، فَسلَّمَتْ واستأذَنَتْ فأُذِنَ لها ، فدخلتْ ورسولُ صلى الله عليه وسلم بين أُمِّ سلَمة ومَيْمُونةَ ونساء بنى عبد المطَّلب، فقالت : إنَّ مَوْلاتى أرْسلَتْ إليك بهذه الهَدِيَّة ، وهى مُعْتذِرَةٌ إليك ، وتقول : إنَّ غَنَمنا اليوْم قليلةُ الوالدَة . فقال : بارَكَ الله لكم فى غَنَمكم ، وأكثرَ والدَتَها ! فسُرَّتْ هندُ لمّا أخبرتْها مولاتُها بذلك ، ورأوا من كثرةِ غَنَمِهم ووَالدَتها ما لم يكنْ قبلُ ولا قريباً . وكانت هندُ تقولُ : هٰذا بدُعاء رسول الله وبَرَكته !

إحدى نساء بنى سعد وخبر وفاة حليمة السعدية

وأتَتْه إحْدَى نِساء بنى سَعد بن بَكْر — إمَّا خالةٌ أو عمَّةٌ — بِنِحْيٍ[3] مملوء سَمناً وجِرابِ أَقِطٍ[4] — وهو بالأبطحِ — فعرَفَها ، ودَعاها إلى الإسلامِ فأسلَمت ، وأخبرته بوَفاةِ حَليمةَ[5] فذَرَفَتْ عَيْناه ، وقالت : أَخَواك وأُخْتاك

(١) توقَّد : تلألأ وبَرَق واحمرّ ، وذلك عند الغضب وما يفعل فعله

(٢) فى الأصل : « بجدين » . المرضوف : المشوىّ على الرَّضْف ، والرضف حجارة يحمى عليها على النار ، حتى إذا احمرّتْ طرحت فى جوف الجدْى أو الحَمَلَ حتى ينشوى . والقَدّ : سقاء صغير متَّخذ من جلد السخلة يكون فيه لبن

(٣) النِّحى : الزقّ من الجلد يكون فيه السَّمْن خاصّة

(٤) الأقط : يُتَّخذ من ألبان الإبل ، فيمخضْ ، ثم يطبخ ، ثم يترك حتى يَنْصل ، أى يتميز ماؤه ويقطر

(٥) حليمة السعدية ، ظئرهْ وحاضنته ومرضعته صلى الله عليه وسلم

مُحتاجون ! فأمرَ لها بكُسوة وجمَل ومائتى دِرْهم ، فقالت : نِعْمَ واللهِ المكفولُ كنتَ صغيراً ، ونعمَ المرءُ كنتَ كبيراً ، عظيمَ البرَكة

السرايا هدم الأصنام

وبثَّ صلى الله عليه وسلم سَراياه ، وأمرَهم أن يُغيروا على من لم يُسْلِمْ . فخرج هِشامُ بن العاص فى مائتين قِبَل يَلَمْلَمَ . وخَرَج خالدُ بن سَعيد بن العاص فى ثلاثمائة قِبَل عُرَنَة . وبعثَ خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى فى ثلاثين فارساً فهدَمَها لخَمْس[1] بَقِينَ من رَمضان ، وكانت بنَخْلَة . وبعثَ الطُّفَيل بن عمرو بن طريف بن العاص ابن ثعلبة بن سُلَيْم بن فَهْمٍ[2] الدَّوْسِىّ إلى ذى الكفَيْن صَنَم عَمْرِو بن حُمَمَة [الدَّوْسىُّ][3] فحرَّقه بالنَّار . وبَعَثَ سعد بن زَيْد الأشْهَلى إلى مَناةَ بالمُشَلَّلِ فهدَمَه . وبعثَ عمرو بن العاص إلى صنَمِ هُذَيْل سُوَاعٍ فهدَمَه . ونادَى منادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يَدَعَنَّ فى بَيتِه صنَماً إلا كسرَهُ أو حرَّقَه ، وثمنُه حرَام . فجعلَ المُسْلمون يكسِرون الأصنام ، ولم يكن رجُلٌ من قريشٍ بمكَّة إلا وفى بيته صنَمٌ : إذا دخل مَسَحَهُ وإذا خَرَج مسحه : تبرُّكاً به . وكان عِكْرِمة بن أبى جهل لمَّا أسلم لم يَسمَعْ بصنَمٍ فى بيتٍ إلا مشَى إليه حتى يَكْسِرَه . وجعلتْ هندُ بنت عُتْبة تَضْرِب صنَماً فى بيتها بالقَدُومِ فِلْذَةً فِلْذَةً[4] وهى تقول : كُنَّا منكَ فى غُرُورٍ ! !

مدة المقام بمكة

وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة — على ما فى صحيح البخارىّ — خمسَ عشرة ليلة ،

(١) فى الأصل : « بخمس »

(٢) فى الأصل : « سالم بن فهر » ، وانظر ص (٢٨) ، إسلام الطفيل الدوسى ذى النُّور

(٣) ما بين القوسين زيادة ، وكان عمرو بن حممة من حكام العرب ، قالوا وكان حاكما على دوس ثلاثمائة سنة ، ويقال إنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه مات فى الجاهلية . أما ابنه « جندب بن عمرو بن حممة » ، فأسلم وقتل يوم أجنادين . وانظر ما يأتى ص (٤١٥)

(٤) الفلذة : القطعة

[وفى روايةٍ تسعَ عشرة ، وفى أبى داود تسعَ عشرة ، وفى الترمذى ثمانى عشرة ، وقيل : عشْرًا ، وقيل : بِضْعَ عشرة ، وقيل : عشرين ليلة] يصلِّى ركعتين ، ويأمر أهل مكة أن يُتِمُّوا ، كما رواه النَّسائى . وأفْطَر بقية شهر رمضان

بعثة خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة وقتلهم ، وكانوا مسلمين

ولما رَجَع خالدُ بن الوليد من هدْمِ العُزَّى ، بعثَه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى جَذِيمة بن عامر بن عمرو بن مناة بن كِنانة يدعوهم إلى الإسلام . فخرج أوَّلَ شوال فى ثلاثمائة وخمسين إلى أسْفَل مكة وانتهى إليهم ، فقالوا : نحنُ مُسْلِمون ! فقال خالد : استَأْسِرُوا ! فكتَفَ بَعْضُهم بَعْضًا . ودفع خالدٌ إلى كلِّ رجُل من أصحابه رجُلًا أو رجُلَيْن ، فباتُوا فى وَثَاقٍ إلى السَّحَر . فنادَى خالدٌ : مَنْ كان معه أَسِيرٌ فليُدَافِّهِ[1] . فقتَل بنُو سليم من كان فى أيْدِيهم ، وكانوا قريباً من ثلاثين رجُلًا . وأمَّا المهاجرون والأنصارُ فأرْسَلوا أُسَارَاهم ، وقالوا : أذْهَبُوا حيث شئْتُمْ ! فغضِب خالدٌ عَلَى مَنْ أرسل أسيرَه . فقال له أبو أُسيدٍ السَّاعدىّ : أتَّقِ اللهَ يا خالد ! ما كنَّا لنَقْتُلَ قوماً مُسلِمين ! قال : وما يُدْرِيك ؟ قال : تَسْمَعُ إقرارَهم بالإسلام ، وهذه المساجِدُ بساحَتِهم ! فلما قَدِم خالدٌ عَلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عابَ[2] عبدُ الرحمن بن عَوْف عليه ما صنَع ، فتلَاحَيَا ، وأعانَهُ عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وأعرضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال له — وقد بلَغَه ما صنع بعبْد الرحمن بن عَوْف — : يا خالد ! ذَرُوا لِى أصحابى ! مَتَى يُنْكَأْ أنْفُ المَرْء يَيْجَع[3] ! لَوْ كان أُحُدٌ ذَهَبًا تُنفِقُه قيراطًا قيراطًا فى سبيلِ الله لَمْ تُدْرِك غَدْوَة أو رَوْحَةً من غَدَوَات أو رَوَحَات

(١) فى الأصل : « فليُذافه » ، وكلاهما صحيح ، والرواية أكثرها على ما أثبتناهُ ، ودافّه يدافّه ، ودفّف عليه ، وذافّه ، وذفّف عليه : أجهز عليه وحرّر قتْله

(٢) فى الأصل : « غاب »

(٣) فى الأصل : « متى ينكا أنف المرء وينكا » ، ولم أجد المثل ، ولكنى هكذا أذكرُه . ونكأ القرحة : قشرها . ووجع فلان يَوْجع ويَيْجعُ : اشتكى وتألم

عبد الرحمٰن بن عَوف ! ورفَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَيْه حتى رُؤِى بَيَاضُ إبطَيه ، وهو يقول : اللّٰهُمَّ إنّى أَبْرَأُ إليك ممَّا صنَع خالدٌ !

بعثة على بالديات إلى بنى جذيمة

وبعث عليًّا رضى الله عنه إلى بنى جَذيمةَ بمالٍ فوَدَى لهم ما أصابَ خالدٌ ، ودفَع إليهم مالهم . فبقيَتْ لهم بقيّةُ مالٍ ، فبعثَ عليٌّ أبا رافعٍ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ليَسْتزيدَه فزَاده مالاً ، فوَدَى لهم كلَّ ما أصابَ ، حتى إنّه لَيَدِى لهم مِيلغةَ[1] الكلبِ . وَبقِىَ مع عليٍّ شىءٌ من المال . فقال : هذه البَقيّةُ من هذَا المال لكمُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ممَّا أصابَ خالدٌ ، مما لا يَعلمُه ولا تَعْلَمُونَه . فأَعْطَاهم ذلك وعادَ ، فأخبرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بما صنَع فقال : أَصَبْتَ ! مَا أَمَرْتُ خالداً بالقِتال ، إنما أَمَرْتُه بالدُّعاء ! ثم أَقْبَل عَلَى خالدٍ رضى الله عنه وقال : لَا تَسُبُّوا خالدَ بن الوليد ، فإنما هو سَيْفٌ من سُيُوف الله سَلَّه عَلَى المشركين

فتح مكة

وقد اختُلِفَ فى فتح مكة ، فقال الأَوْزاعىُّ ، ومالكٌ ، وأبو حَنِيفة : إنَّها فُتِحَتْ عَنْوَةً ثمَّ أَمَّنَ أَهْلَها . وقال مجاهدٌ ، والشافعىُّ : فُتِحَتْ صلحاً بأَمان عَقَدَه . وقيل : فُتِحَ أَسفَلُها عَنْوةً ، وأعلاها صلْحًا

ورُوِى أنه يوم فتحِ مكة حامَ حمام الحَرَمِ[2] فأظلَّتْهُ صلى الله عليه وسلم ، فدَعَا لها بالبرَكة . وكان يُحِبُّ الحمام[3]

---

(١) فى الأصل : « مبلغه » . والميلغةُ : الإناءُ الذى يَلَغُ فيه الكلب ، أى يشرب بلسانه كفعله

(٢) فى الأصل : « الحرر »

(٣) فى الأصل : « وكانت تحت الحمام » ، وقد رووا عن عائشة : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترجّ وإلى الحمام الأحمر » ، قالوا : « وكان فى منزله حمام أحمر يقال له وردان »